مذكرات جاسوس

اسم الكتاب: **مذكرات جاسوس**

اسم المؤلف: **مروان منير**

تدقيق لغوي: **مِنن محمود**

إخراج داخلي: **مينا تادرس**

تصميم الغلاف: **يوسف السيد**

رقم الإيداع: **2023/3006**

الترقيم الدولي: **978-977-6966-69-5**

الطبعة الأولى ٢٠٢٣

جميع الحقوق محفوظة للناشـر©

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشـر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية والآراء والمادة الواردة.

وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

ارتقاء للنشر الدولي والتوزيع

darerteqaa@gmail.com

+201093337414

مروان منير

مذكرات جاسوس

ارتقاء للنشر الدولي والتوزيع

إهداء..

إلى كل من بذل الجهد والعرق؛ ليسهم في رفعة هذا الوطن الغالي..
"مـصـــــــر"
إلى كل من حارب بالسلاح... بالقلم... بالدعاء؛ للزود والدفاع عن وطن
يستحق أن يُبذل له النفيس والغالي.
تحيه لأرواح الشهداء في كل بقعة غالية من بقاع الوطن.

مروان منير

تحية خالصة من قلبي إليك أيها القارئ وأيتها القارئة؛ لتخصيص القليل من الوقت من يومك للمرور بعينيك وقلبك وعقلك علي صفحات هذه الرواية؛ لكي تشاركني متعة الفكر والخيال؛ لنرسم سويًا لوحة رائعة تزيد من متع الحياة واللحظات الجميلة التي نحتاجها وسط ضجيج يزداد يومًا بعد يوم.
شكرًا من قلبي...

مروان منير

شخصيات الرواية

- "أبو زيد الإسناوي"
- "زينب زوجة أبو زيد"
- "حامد شقيق زينب"
- "كاميليا ابنة أبو زيد"
- "نديم ابن أبو زيد"
- "لونا زوجة أبو زيد الإنجليزية"
- "ميلاد صائغ"
- "عم حجازي صاحب محل أحذية"
- "فكري الصباغ ضابط بالجيش المصري"
- "أنطون (طوني) بقال يوناني"
- "نارفارا زوجة طوني"
- "لاريسا ابنة طوني"
- "يوسي كاتسير ضابط بالجيش الإسرائيلي"
- "إميليا صديقة يوسي كاتسير"
- "صبري عبدالهادي ضابط مخابرات مصري"

- "بهاء إسماعيل ضابط مخابرات مصري"
- "شاؤول بن عامي ضابط مخابرات إسرائيلي"
- "حاييم جدعون ضابط مخابرات إسرائيلي"
- "شكري صديق نديم"

تنويـــــــه

كل ما ورد في هذا العمل من أحداث وشخصيات لا يمت للواقع بصلة، وما هو إلا من قدح زناد وفكر المؤلف.

حتى وإن دارت في مجريات أحداث تاريخية حقيقية.

مروان منير

سارت بخطوات بطيئة وهى تنظر ناحية اليمين وناحية اليسار إلى أن استقر بها الحال وجلست على مقعد بجوار النافذة، داخل القطار المتجه إلى بورسعيد، هبت نسمة هواء تداعب وجهها الرقيق، أخذت معه نفسًا طويلًا، شهيقًا كم كانت تحتاجه قبل البدء في رحلة لا تعلم ماذا يخبئ لها القدر بين تفاصيل تلك الرحلة.

انتبهت إلى صفارة طويلة معلنةً بها إعطاء الإذن للقطار للتحرك ومغادرة محطة قطار سيدي جابر بالإسكندرية، مرورًا بمدن ومحافظات عدة حتى الوصول إلى محطته الأخيرة... بورسعيد.

إنها كاميليا ذات العشرين عامًا، جميلة، بوجه جذاب يلحظه الناظر فيها.

فتحت حقيبة بها بعض الكتب والأدوات الشخصية، أخرجت كتابًا من الكتب الجامعية لتراجع بعض الدروس التي لم تستطع مُدارستها في الأيام السابقة.

فهى تدرس بكلية الآداب، قسم لغات شرقية، وتحديدًا اللغة اليونانية واللغة العبرية، والعبرية تحديدًا وقع اختيارها عليها نظرًا لكرهها الشديد لمن يتحدث تلك اللغة، وعملًا بالمقولة التي معناها "أعرف عدوك".

وإذا بعيناها تشردان وهى تنظر من خلال النافذة، لكنها لا تدرك ما تراه عيناها، إذ قادها عقلها لتذكر سنوات طويلة فائتة تعود إلى عشر سنوات مضت من عمرها، تتذكر ما حدث وكأنه البارحة، كل ركن في المكان، كل كلمة وهمسة، كل حركة.

هى الفتاة الصغيرة بوجه بريء وفستان بسيط للغاية وشعرها الأسود تجمع في ضفيرة واحدة مسدلة بطولها على ظهرها، والذكاء يعلو وجهها الصغير.

تلعب في الشارع المقابل لبيتها مع أخيها "نديم"، الذي يصغرها بعامين، وصديقه "شكري"، وبعض الفتيات والفتيان من أبناء الحي.

وإذا بهم يسمعون ضجيجًا وأصوات عالية رجت أركان الحي الصغير في بورفؤاد وكأنه الزلزال، صوت رج أركان الرصيف الذي يجلس عليه الأولاد وهم يلعبون السيجة بالحجارة الصغيرة في الليل الخافت تحت أضواء مصباح صغير.

نظر الصبية ناحية الصوت العالي القادم من المقهى الصغير في نهاية الشارع.

لم يدرك هؤلاء الصبية بالطبع أنها الفرحة الطاغية، إنه النصر المعنوي والسياسي والاقتصادي على من جثم بغشاوة على صدر الأمة.

إنه البيان المذاع من الراديو القديم فوق رف خشبي في المقهى الصغير، الذي كان مفاده أن مصر أعلنت تأميم قناة السويس لتصبح شركة مساهمة مصرية.

هذا ما قاله الرئيس جمال عبدالناصر عبر خطاب قوي للغاية هز أركان العالم أجمع، وكأنها المطرقة التي هبطت على رؤوس الدول الاستعمارية آنذاك.

وردت كلمات إلى مسامع الصبية من المارة العائدين من المقهى وكل أب ينادي على ابنه أو ابنته أن يعود إلى المنزل، "يكفي هذا لقد تأخر الوقت كثيرًا" كلمات وضحكات متناثرة هنا وهناك تُحدِث حماسًا ودفئًا بين الرجال.

"أخيرًا... ضربة معلم... أيوه كده... كفاية استعمار...".

ولكن على النقيض قال بعض الرجال: "ربنا يستر من القادم أكيد مش هيسكتوا"، "قرار متهور وغير مدروس..".

لكن ظهرت الفرحة والسعادة على الغالبية.

سارت "كاميليا" و"نديم" خلف والدهما "أبو زيد الإسناوي" إلى أن دخلا المنزل، حيث استدارت كاميليا لتشير بالتحية إلى "شكري"، الذي انتظرها قبل العودة إلى بيته الصغير "مع السلامة".

صعدت كاميليا الدرج وهى تسأل أباها: "لماذا كل هذا الفرح.. ماذا حدث يا أبي؟".

لم يجبها "أبو زيد" الذي كان أكثر الناس سعادة؛ فقد كان أشد الناس كرهًا للإنجليز من أي شخص آخر رغم أنه ظل لسنوات محسوبًا على المعسكر الإنجليزي وأنه أحد رجالهم.

"الخادم الأمين.. كلب الإنجليز.. العميل..".

كلها كلمات أطلقها الناس على "أبو زيد" قبل سنوات عدة.

بالفعل هو عمل لدى المعسكر الإنجليزي، أخلص لهم، أعطاهم أفضل فترات شبابه.

جلس "أبو زيد" في الشرفة الخشبية ناظرًا إلى السماء، أشعل سيجارة وراح يتذكر كل ما حدث له في الماضي، لم يعد يهرب من ماضيه، لم يعد رافضًا للحديث أو تذكر كل ما مر به، الإهانة... الذل... والطرد.

وكأن كلمات الرئيس عبدالناصر أعادت له بعضًا من الكرامة الملقاة تحت أقدام هؤلاء الأنجاس، تأميم القناة هو القلم والصفعة التي رفعت رأس أبو زيد.

يذكر أنه ترك قريته بصعيد مصر بحثًا عن العمل في القاهرة، كما فعل الكثير من أقرانه في البلد، إذ هاجروا إلى القاهرة، غابوا فيها لسنوات عدة، ليعودوا بعدها بالأموال التي تكفي لشراء الأرض والبيت والزوجة، ويصبحوا من الأعيان.

شد رحاله بصحبة جاره وصديقه "حامد"، الذي سار إلى جواره قبل الفجر إلى محطة القطار وقلبه يتمزق بين طموحه وأحلامه بالسفر إلى القاهرة وتحقيق حلم المال والثراء، وبين حبيبته "زينب" شقيقة "حامد" التى كان يحبها في صمت يجعل عينيه تتراقص كلما وقع بصره عليها.

وصلا إلى محطة القطار بعد أن غادر القطار المحطة مسرعًا، لم يستطعا اللحاق بالقطار، وما العمل الآن! القطار القادم يصل في نفس الموعد، السادسة صباحًا، ولكن في اليوم التالي بعد أربع وعشرين ساعة.

سارا نحو الطريق الزراعي السريع، رفع كل منهما يده يشير إلى سيارة تقلهم، وبعد فترة معاناة وقلق توقفت سيارة نقل ثقيلة تحمل أحجارًا، وبعد نقاش مع السائق الذي أخبرهما أنه ذاهب إلى القاهرة بالفعل، ركبا في الخلف مع الحجارة وسارت العربة تشق طريقها ببطء إلى القاهرة، إلى المجهول ذاته، راح كلاهما في سبات عميق بعد أن نالا قسطًا وفيرًا من الأتربة والرياح تضرب رأسيهما.

استيقظا على يد غليظة تنهرهما بشدة: "وصلنا.. يلا.. أنزلوا هنا".

هبطا من صندوق السيارة الخلفي محملين بالأتربة والرمال وآثار الحجارة.

نظرا حولهما، إنها الصحراء، إنها خاوية، لا أثر لبيوت أو أى مباني حولهما.

القاهرة مدينة كبيرة كما يسمع قاطني الجنوب، إنها العاصمة، أين هما الآن! لم يجدا إنسانًا واحدًا ليسألا عن هذا الفراغ الشاسع الرهيب والشمس الحارقة الموقدة فوق روؤسهم، وهم في حالة إعياء من أثر الطريق الطويل والغبار والأتربة، ليس لديهما من الماء أو الطعام شيئًا.

سارا لمسافة بعيدة إلى أن اقتربا من طريق أسفلتي تمر منه السيارات مسرعة وقد أصابهما الإعياء والوهن.

سقطا بجوار الطريق، كم مر من الوقت عليهما، الله وحده أعلم.

توقفت أمامهما سيارة نقل، نظرا سويًا، سيارة نقل ثانية!!

هبط منها عسكريان إنجليزيان، نظرا إليهما وتحدث واحد منهما إلى زميله ما يفيد أنهما لا يزالا على قيد الحياة، دار نقاش وصوت عال بين العسكري الإنجليزى وزميله الذي بدا معترضًا على رأي العسكري الأول الذي أراد أن يسمح لهما بالركوب معهما نظرًا لحالتهما الصحية السيئة.

ركبا في الصندوق الخلفي بمساعدة العسكري الأول وسارت السيارة لكن مسرعة بعض الشيء مع غياب الشمس حيث حل المساء وبعده الظلام إلى أن توقفت العربة أمام بوابة يحرسها عساكر إنجليز مُسلحين.

دخلت السيارة إلى الداخل والتف بعض العساكر حول "أبو زيد" و"حامد".

تلاشت الصورة شيئًا فشيئًا مع أصوات متداخلة تتحدث بلغة غريبة غير مألوفة.

كم مر من الوقت قبل أن يستيقظ "أبو زيد" ليجد أمامه قارورة ماء وطبق بداخله قطعة من الجبن وبعض حبات من الزيتون وعدد من أرغفة الخبز.

نظر حوله مع شعاع من ضوء الشمس عابرًا نافذة صغيرة وسط قماش خيمة صغيرة وممدد بجواره صديقه "حامد".

ربت على كتفه بشدة: "استيقظ يا حامد!".

وبعد أن أطال النظر حوله حاول النهوض فلم يستطع من شدة الألم والإعياء الذي أصاب أغلب أعضاء جسده النحيل، وقبل أن ينطق بكلمة

دخل إلى الخيمة نفس العسكري الإنجليزي الذي انتشلهم من صحراء الطريق القاسية.

ابتسم لهما وأشار إلى الطعام أن يأكلا فتناولا الطعام في نهم غير عابئين ماذا يأكلان، أهو خبز أم جبن أم شيء آخر، مرت دقائق شهدت عودة الحياة إلى أبدانهم، وبدأ العقل في التركيز في المكان، فيما حولهما، إنهما في خيمة من القماش.

نظر حامد من الفتحة الصغيرة في الخيمة ليشهد حركة عساكر وضباط بهيئة وملابس لا تبدو مصرية ففهم أنهم من الجيش الإنجليزى.

يا إلهي! كيف وصلنا إلى هنا؟ وهل نحن ما زلنا داخل مصر أم خارجها؟ بدأ الحديث بين أبو زيد وحامد في شد أطرافه، انتهى بخروجهما من الخيمة ليجدا من يدفعهما بقوة إلى الداخل، قائلًا بلغة عربية ركيكة للغاية أنهم غير مسموح لهم بمغادرة الخيمة حتى يأتي إليه الإذن بذلك.

مرت ساعة وقد دب الخوف والرعب في بدنيهما، الإنجليز أعداء محتلون وهما مصريان، فلا بد وأن يقتلوهما أو يضعوهما في السجن كأي أسير لكنهما ليسا بأسرى فهما لم يدخلا حربًا مع الإنجليز.

آخر ما تذكروه هو الصحراء القاحلة التي أحاطت بهما بعدما غادرا عربة النقل ظنًا منهما أنها القاهرة أو كذلك أخبرهما سائق السيارة النقل، يا لها من بداية سيئة لهجرة الأهل والقرية بحثًا عن العمل وادخار المال، يا للعار والمهانة إذا علم أهل قريتهما أنهما أسيران في خيمة في معسكر الإنجليز، مر الوقت بطيئًا حتى دخل إلى خيمتهما نفس العسكري

الإنجليزي الذي انتشلهما من الصحراء، وأخبرهما أنهما يستطيعان المغادرة، وقد رتب لهما سيارة تقلهما إلى أقرب بلدة من بورفؤاد.

نظرا إلي بعضهما البعض قائلين سويًا: "بورفؤاد!! أين تقع هذه المدينة؟".

أجابهما أنها تابعة لبورسعيد على قناة السويس، وشدد عليهما القول أن هناك عملًا لهما داخل الكامب الإنجليزى أو الأورنوس كما كان يطلق عليه هذه الأيام.

إذا أرادا العمل فليعودا ويسألا عليه شخصيًا، اسمه "روبرت".

غادر أبو زيد وحامد ساحة المعسكر أو الكامب الإنجليزى أو الأورنوس فرحين كمن غادر السجن بعد سنوات طويلة من الحبس.

والأمر كله لم يتعد يومًا وليلة، لكنه كان أثقل الأوقات على قلب حامد، وعلى العكس فقد أحب أبو زيد التعامل مع العسكري الإنجليزي وكرمه الزائد في الاهتمام بهما وتقديم الطعام إليهما، وعقد العزم على أن يعود في الغد للعمل كما وعدهما ذلك العسكري أحمر الوجه "روبرت".

استطاعا بعد البحث والسؤال الحصول على مسكن في بورفؤاد، حجرة صغيرة في بدروم إحدى البنايات القديمة.

حل عليهما التعب مجددًا واستسلم كل منهما إلى النوم والأفكار تتلاعب برأسيهما مع خيالات للأحداث التي مرت بهما منذ أن تركهما قطار القاهرة؛ ليواجها مصيرًا مختلفًا تمامًا عما كان من الأماني والأحلام بالعمل

والعيش في القاهرة وأمنية النفس بزيارة الأولياء، والدعاء لكل من حملهما أمانة الدعاء بمساجد أولياء الله الصالحين.

في صباح اليوم التالى هم حامد بالخروج للبحث عن عمل، أي عمل في المدينة الصغيرة المجهولة، وأيقظ أبو زيد من نومه ليصطحبه في رحلة البحث عن عمل، لكنه فوجئ برد غير متوقع من صديقه أبو زيد وبعد أن استفاق من دهشته دار بينهما حوار ونقاش ساخن للغاية.

حامد: "ماذا تعني أنك لست بحاجة للبحث عن عمل؟".

أبو زيد: "نعم ولِمَ أبحث وقد أوكل إلى عمل بالفعل".

حامد: "أي عمل تتحدث عنه؟ إياك أن تقصد العمل لدى الأعداء!!".

أبو زيد: "إنهم ليسوا بأعداء، من قدم لي المعروف والطعام فجميله فوق رأسي إلى أن أموت، بالإضافة إلى أننا نحتاج للعمل سريعًا، فلم يتبق معى إلا بعض القروش القليلة بعد أن دفعنا نقودنا في هذا المكان الخرب".

قالها وهو يتلفت حوله بنظرة يملؤها الاشمئزاز والقرف.

حامد: "قل الحمد لله أننا وجدنا مأوى في ظروفنا الصعبة هذه، يجب أن تعلم أن الإنجليز هم أعداؤنا، يحتلون أرضنا، نهبوا وسرقوا خيراتنا طيلة عشرات السنين، هل نسيت ما درسناه في كتاب الشيخ "عبدالحميد"؟ هل نسيت دنشواى؟ هل نسيت قتلهم للمصريين في كل حادثة، إنهم أعداؤنا، ولن يستقطبونا ببعض القطع من الخبز والنوم على الأرض في خيمة من القماش.

إنهم مثل الشيطان يعطيك من حلو الكلام ويأسرك بالمعروف ويطالبك برد الجميل إلى أن تكون عبدًا لديه، فيهينك ويزيد في إهانتك، ثم قبل أن يسلبك روحك يتبرأ منك وكأنه لا يعرفك.

هم كذلك الإنجليز أو أي محتل، ربما يحسن إليك لكنه ينتظر الثمن والرد الباهظ الذي يفوق طاقتك.

"هل أنت على استعداد لذلك يا أبو زيد.. عد إلى عقلك!!".

أبو زيد: "لا.. لن يحدث هذا، إنه مجرد عمل أتقاضى عليه أجرًا مثل أي عمل لدى أي مقاول أو مصنع".

استمر النقاش طويلًا بينهما، غضب على إثرها حامد وترك الغرفة متخذًا طريقة لاكتشاف المدينة والسؤال والبحث عن عمل، أي عمل حلال، مع تذوقه لمرارة الحسرة والألم من موقف صديقه أبو زيد، الذي شعر أنه قد وقع بينهما حدث جلل ربما يعكس صفو صداقتهما، والمرارة الأخرى التي شعر بها في حلقه هو بعده عن القاهرة وعدم قدرته على الوفاء بالوعد وزيارة أولياء الله الصالحين.

قابل "روبرت" العسكري الإنجليزي أبو زيد بالترحاب، واصطحبه إلى المكان الذي سيعمل به، وإذا به يعطيه بعض أدوات تنظيف الطرق مطالبًا إياه بالقيام بتنظيف طرقات المعسكر الضيقة وجمع القمامة، شعر أبو زيد ببعض الإهانة وتكومت غصة في حلقه، لكنه ابتلع ريقه وأجاب بنفس مهانة محدثًا نفسه: "وماله.. دي فقط البداية وربما إذا أثبت كفاءة في العمل قد أترقى وانتقل إلى عمل أفضل".

اشتغل بجد شديد وفي آخر اليوم بدا عليه التعب وناوله "روبرت" بعض النقود المعدنية، راتبه أو يوميته عن اليوم الأول.

فرح أبو زيد بالنقود واتخذ طريقه عائدًا إلى المجرة الصغيرة في بدروم العمارة، وأشترى بعض أرغفة الخبز وقطعًا من الجبن القديم، وجد حامد جالسًا بالغرفة ناظرًا إلى السقف القديم المتهالك، هم أبو زيد بإعداد الطعام، وإذا بحامد يشكره ويرفض الأكل، فسأله أبو زيد إن كان قد وجد عملًا فجاءته الإجابة بالرفض.

حامد: "بحثت كثيرًا لكن المدينة صغيرة ولا يوجد أي مكان شاغر لأي عمل".

أبو زيد: "ولا يهمك.. تعالى ناكل سوا وبكرة ربنا يفرجها".

حامد: "من أين لك بهذا الطعام؟ أهو من الأورنوسي! كامب الأنجاس؟".

هكذا كان يطلق حامد على معسكر الإنجليز.

أبو زيد: "لا.. إنه من مالي.. أول يومية أتقاضاها.. من أول أيام العمل".

ثم قص عليه أبو زيد ما كان من يومه الأول داخل الأورنوس، مما زاد من رفض حامد تناول الطعام من الراتب القادم من الأنجاس، أورنوس والإنجليز الأوغاد.

وظل هكذا حامد على هذه الحال لمدة ثلاثة أيام متتالية، رافضًا مشاركة أبو زيد طعامه، كان لا يتناول إلا المياه من الصنبور، حاول خلال الأيام الثلاثة أثناء عمل أبو زيد لدى هؤلاء الأعداء لكن من دون فائدة إلى أن تلا

عليه آية من القرآن كان قد درسها من كتب الشيخ "عبدالحميد" محاولًا تذكيره بشرح هذه الآية.

حامد: "هل تذكر يا أبو زيد شرح هذه الآية؟".

أبو زيد: "أية آية؟!".

حامد: "بســـــــــم الله الرحمن الرحيم"

سورة إبراهيم "٢٢":

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ۖ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أليم)

صدق الله العظيم

بعد أن جاب "حامد" الأرض طولًا وعرضًا لجأ إلى المسجد للصلاة والراحة قليلًا، وإذا بيد تربت على كتفه، إنه شيخ وإمام الجامع، بعد أن بادله التحية عرف منه معاناته في البحث عن عمل.

ألقى الشيخ بالاطمئنان في قلب "حامد"، وطلب منه أن يمر عليه في الغد ربما يستطيع أن يساعده في الحصول على عمل، ثم قام بإعطائه بعض الطعام.

عاد "حامد" أدراجه سائرًا ببطء إلى الحجرة، تناول طعامه في نهم بعد أن ترك نصفه لأبو زيد ثم خلد إلى النوم الذي لم يذُق طعمه منذ أيام.

وفي اليوم التالي توجه إلى المسجد لصلاة الظهر، والتقى بالشيخ الذي بادره بالبشارة أنه تحدث مع مقاول أنفار يعمل في تمهيد الطرق أحيانًا أو في ترميم المباني، اتفق معه أن يذهب إليه ليتسلم العمل لديه.

بالفعل توجه "حامد" إلى المعلم "شندي"، وتسلم عمله وسط مجموعة من العمال في تمهيد أحد الطرق.

سمع أبو زيد بعض كلمات الإعجاب من "روبرت"، والثناء على عمله، وأن القادة في الأورنوس أو الكامب الإنجليزي سعيدون بنظافة المكان وقرروا منحه زيادة في راتبه، وقد يوكلون إليه ببعض الأعمال الإضافية، وبالفعل طلبوا منه أن يقوم بحمل أقفاص الخضروات والفاكهة من عربة المتعهد بتوريد الخضروات واللحوم إلى داخل حجرة تخزين الطعام.

وبينما كان أبو زيد يحمل تلك الأقفاص لاحظ سوء جودة الخضروات وأنها مقاربة على التعفن.

تحدث مع "روبرت" بلغة عربية أحيانًا وبعض الكلمات الإنجليزية التي تعلمها خلال عمله أن هذا الخضار والفاكهة ليست طازجة وأنها بحالة ليست جيدة، ثم عرض على روبرت أن يُحضر إليه في الغد بعض الخضروات والفاكهة الطازجة وبسعر أقل كي يرى الفرق بنفسه.

وبالفعل توجه أبو زيد في الصباح التالي إلى سوق الخضروات الجملة، وابتاع بعضًا من الخضروات والفاكهة بعد أن تفحصها بنفسه وتوجه بها إلى الأورنوس، وهناك ذُهل "روبرت" ورفاقه من جودة تلك الخضروات

وأسعارها، مما أثار غضبهم وخنقهم على ذلك المتعهد اللص الذي على مدار سنوات يأتي إليهم بالقديم وبسعر باهظ.

قام "روبرت" بطرد المتعهد بعد أن منع دفع أموال الشحنة الأخيرة ثم أوكل مهمة توريد الخضروات واللحوم والمواد الغذائية إلى أبو زيد، ومن يومها صار أبو زيد هو المتعهد الجديد للأورنوس.

ولكن في الحجرة التي تجمعه وحامد ظل الاثنان على موقفه لا يتشاركان الطعام، يأبى "حامد" أن يأكل مما يجلب أبو زيد معلقًا أنها نقود نجسة من مكان نجس من المحتل الإنجليزي، وتحسنت أحوال أبو زيد المالية وظهرت عليه آثار النعمة.

فلبس الغالي من الملبس ووضع في إصبعه خاتمًا من الذهب الخالص، بينما "حامد" يعود كل ليلة متعبًا بملابس رثة متسخة من أثر العمل في تمهيد الطرق بين الرمال والزلط والحجارة والأسمنت، وفي أحد أيام الجمعة حيث يوم إجازتهما.

جلس أبو زيد إلى جوار "حامد" ليفتح له قلبه مصارحًا إياه باتخاذه القرار بالزواج، وأنه منذ فترة كان يحلم بالزواج من شقيقته "زينب"، فبدا الاستغراب والاندهاش على وجه "حامد" مع بعض الشعور بالغضب.

حامد: "أختي أنا يا أبو زيد! لماذا؟".

أبو زيد: "إني أرغب في النسب منك، وأرى في زينب مثالًا للأخلاق والزوجة التي أحلم بها".

حامد: "لكن يا أبو زيد لا تؤاخذني فيما سأقوله أنت تعلم الخلاف فيما بيننا، فلوسك ملوثة ولا أقبل على أختي أن تأكل من طعام مصدره نقود المحتل الإنجليزي".

أبو زيد: "لا تكن قليل العقل، إنني أعمل وأتعب مقابل تلك الأموال، ولا يهم أين أعمل أو من يعطيني أجري، المهم أنني أبذل الجهد والعرق وربنا عالم بذلك".

حامد: "لا تخدع نفسك بهذا الكلام يا أبو زيد، لك الحرية في اتخاذ قرار الزواج لكن ليس من أختي "زينب"، أنت تفهم يا أبو زيد اختر فتاة أخرى تخدعها بهذه الآراء، لكن أبي وأمي لن يوافقا على الارتباط بك عندما يعلمان طبيعة مصدر رزقك".

لم يهتم أبو زيد كثيرًا بكلمات "حامد" القاسية وموقفه الجامد تجاهه، وقام باستئجار منزلًا صغيرًا، واستأذن الأورونس "روبرت" في الغياب لثلاثة أيام لأمر مهم، وسافر عائدًا إلى قريته محملًا بالأموال والهدايا".

ومنذ أول يوم وطأت قدمه في القرية حتى انتشر خبر عودة أبو زيد أو المعلم أبو زيد في هيئة ثرية ومعه الأموال والهدايا.

زار عائلة "حامد" وتقدم للزواج من "زينب" وقد أخبر أباها كذبًا أن "حامد" يبارك هذه الزيجة وفي أشد حالات الفرح، ولولا صعوبة الحصول على إجازة من عمله لكان صاحبه في تلك الرحلة إلى القرية ليشهد بنفسه زفافه على أخته "زينب".

أتم "أبو زيد" كل شيء في ثلاثة أيام وعقد قرانه على "زينب" بعد أن قدم مبلغًا كبيرًا من المال لأبيها والعودة بها بصحبته إلى منزله الجديد في بورفؤاد.

لم يصدق "حامد" ما فعله أبو زيد من وراء ظهره، يتزوج أخته رغم علمه برفضه لتلك الزيجة، إنه يتعمد كسره وإهانته.

لا بد أن أقتله!! أكمل "حامد" طريقه إلى بيت "أبو زيد" لكن توقف قبل الصعود عندما سمع صوت "زينب"، وهى تهلل فرحًا من شرفة المنزل عند رؤيتها "حامد" قبيل صعوده للمنزل.

توقف "حامد" للحظات لا يدري ماذا يفعل، لقد عقد العزم على قتل "أبو زيد" لتأديبه، لكن ما ذنب هذه المسكينة، "زينب" أختي الصغرى إنها البنت الوحيدة على ثلاثة ذكور أنا أكبرهم.

لا تعلم بمعارضتي للزواج من هذا الحقير "أبو زيد" صديقي الوفي.

إنها الآن زوجته، لا أستطيع كسر خاطرها وقلبها، إنها بريئة كما أن أبي أيضًا بريء، لم يتخيل أحد أن أبو زيد خدعهم وأدعى مباركتي للزواج به، يا إلهي! ماذا أفعل الآن! أأقتل زوجها في أيام الزواج الأولى؟

هل أُخبرها بما حدث وكذبة "أبو زيد" أم ألقي عليها القنبلة الحارقة عندما تعلم بطبيعة عمل زوجها وأنه خادم لدى الأعداء، هل أصارحها أنه يعمل مرمطون لدى الأورنوس؟ الكامب الإنجليزي النجس، أن ماله حرام وأنه عدو للبلد ومد يده للتحالف مع الشيطان.

صعد ببطء وقابلته "زينب" مسرعة على الدرج، وألقت بنفسها على صدره وبين أحضانه، فقد كانت تحب "حامد" كثيرًا لأنها لم تجد الحنان والاهتمام والتدليل إلا منه.

حاول "حامد" أن يحيطها بذراعيه وهى مرتمية على صدره، لكن ذراعاه لم تقويا على احتضانها، كما أن لسانه عجز عن أن ينطق بكلمة مباركة بالزواج "مبروك.."، كلمة بسيطة لكنها في تلك اللحظة صار لها ثقل ووزن يفوق الجبال، لم يعتد "حامد" على إظهار عكس ما بداخله، ومن دون أن يلحظ فرت دمعة من عينه، وهو الرجل الذي لم يبكِ طوال حياته وفي أصعب الظروف وما أكثرها، دمعة فرح أم حزن! لا! إنها دمعة قهر... قهر الرجال.

أشد ما يمر به الرجل أن تكون يداه مكبلتين بالأغلال، أغلال حبه لزينب والخوف عليها من إفساد فرحتها، أغلال وضعها "أبو زيد" بقلب قاس من دون الاعتبار للصداقة بينهما أو حتى نخوة وشهامة أهل الجنوب.

لطالما حلم "حامد" و"زينب" بيوم زفافها والفستان الأبيض البسيط الأنيق ناصع البياض والسعادة والفرحة تملأ القلوب، لكن ما حدث هو اختطاف، أقرب إلى الاغتصاب، فقد طعنه "أبو زيد" بخنجره البارد من دون رحمة، وإذا به يخرج آهة من صدره ويصرخ بداخله وصوت مكتوم: "لا يا أبو زيد.. كله إلا زينب!!".

توالت الدمعة بدمعة أخرى وثالثة ورابعة وإذا بزينب تلحظ تساقط دمعة على وجهها.

زينب: "مالك يا خوى؟!! مالك؟!".

حامد: "إنها.. إنها دموع فرحة بك..نعم فرحة بك".

ثم دفعها برفق وهبط الدرج عائدًا إلى الشارع وسط ندائها إليه بالعودة.

آخر ما سمعه: "أمي أرسلت لك بعض الزاد.. تعالى خذه".

ياه... آه... كم يشتاق حامد لطعام أمه وكم كان في أشد الحاجة لتذوق طعام تربى عليه طيلة حياته، لكن هذا الطعام جاء في التوقيت الخاطئ، كيف له أن يتذوق طعامًا ولو كان من يد أمه وهو مكسور، مقهور، يشعر بالمرارة ولا يستطيع تغيير أو فعل أي شيء، أخته هى نقطة ضعفه.

حتى وإن قتل "أبو زيد" فالأذى سيقع أيضًا على أخته نقطة ضعفه، آه يا أمي كم أشتاق إلى طعامك هل يستطيع المذبوح أن يفتح فمه ويضع به قطعة من لحم دجاجة مذبوحة من قبل، كيف لمذبوح أن يأكل الذبيحة!

سار ببطء لخطوات عدة إلى نهاية الشارع، خارت قواه، وجد الأضواء الخافتة في الشارع تتراقص أمامه، جلس على الرصيف أمام محل يبيع ويصلح الأحذية.

هرع إليه صاحب متجر الأحذية "حجازي"، الذي قاده إلى داخل المحل وقدم إليه الماء وتركه يستريح، وهو يراقب بقايا قطرات من دمع تخرج من مقلتيها من دون أن يدري.

وضع له كوبًا ساخنًا من الشاي الثقيل ووضع عليه غطاءً.

في الوقت الذي تمدد فيه "حامد" كجسد مكسور مقيد بلا حراك، فقد وضع "أبو زيد" و"زينب" بذرتهما الأولى في أرض زينب الخصبة بذرة صارت بعد تسعة شهور، فتاة جميلة تدعى "كاميليا".

لم تفهم "زينب" سبب اختفاء "حامد"، وعدم زيارته لها طيلة فترة حملها، وكلما تسأل عليه زوجها أبو زيد كان يخبرها أنه دائم التنقل والسفر مع المقاول، لكن الحقيقة كانت غير ذلك فقد كان يزورها لكن من بعيد، يقترب من البيت وعندما يشاهد أضواء النوافذ يشعر بالاطمئنان، ثم يذهب لزيارة صديقه الجديد "حجازي"، الذي حل محل الصديق القديم الخائن "أبو زيد"، أرسل الله إليه "حجازي" ليكون فيه العوض عن الخذلان الذي شعر به تجاه أبو زيد، فقد كان "حجازي" كما يُطلق عليه "ابن بلد"، يتسم بالشهامة والجدعنة بجانب حسن السمعة وحب الناس لأمانته، كذلك الوطنية الشديدة التي يتمتع بها وكم الغضب والكره الذي كان بداخله تجاه المحتل الإنجليزي، لم تكن "زينب" تعلم عن طبيعة عمل زوجها أكثر مما أخبرها به أثناء اصطحابها من البلدة إلى بورتوفيق، إذ أخبرها أنه متعهد توريدات مواد غذائية إلى الجيش فقد ظنت أنه يقصد الجيش المصري، لم تكن تعلم، تدري أو يقترب من مخيلتها أنه يعمل لدى الجيش الإنجليزي المحتل، وكانت هذه هى الخدعة الثانية بعد خدعتها الأولى الكبرى حين أخبروها أهلها أن "حامد" يبارك زواجهما، وكان هذا أيضًا سر عدم زيارة "حامد" لأخته فقد كان غاضبًا وعاتبًا عليها.

كيف لها أن تقبل العيش مع رجل خائن، يعمل لدى الأعداء، من يقبل أن يبيع وطنه فليس له أي ولاء أو انتماء لأي شيء إلا النقود، كيف لها أن تأمن على نفسها مع هذا الوغد، فمن يخون مرة يخون ألف مرة، كيف لها أن تقبل هذا الأمر، كان لا بد وأن ترفض، تثور، تمتنع عن أكل الطعام النجس برائحة المحتل الإنجليزي.

وكان "حامد" بريئًا من تهمة مباركة الزواج.

كانت "زينب" أيضًا بريئة من تهمة علمها بطبيعة عمل زوجها "أبو زيد"، رجل فاسد واحد استطاع بكذبتين أن يفسد أجواء أسرة بأكملها وينشر السم في قلب كل منهم.

"زينب" تشعر أن أخاها تغير منذ تركه القرية، وصار لا يهتم بها وهى لا تجد سبيلًا لهذا، وكذلك "حامد" شعر أن "زينب" تم غسل مخها، وصارت تسير وراء "أبو زيد" حتى فى أكل الحرام.

وكانت السلوى الوحيدة لحامد هى الفضفضة مع الصديق الوفي الوحيد "حجازي"، الذي كان يبذل جهده لتصفية الأجواء، وكان يرى الأمور من زاوية أخرى، لم يكن يُلقي باللوم على "أبو زيد" وكان يصرخ دائمًا.

حجازي: "لولا وجود المحتل الإنجليزي الجاثم فوق صدر الأمة منذ عشرات السنين الناهب لثرواتها والسارق لخيراتها، لما كان هناك خونة أو خيانة أو أى باب مفتوح يدخل منه أمثال "أبو زيد" بضعفهم وحبهم للمال.

لو لم يكن هناك محتل لم يكن هناك خونة، إذ يصبح الناس متساوين في الإحساس بالوطنية.

أعلم أن "أبو زيد" أخطأ، وكان لا بد وأن يرفض ويكره وجودهم لا أن يرتمي بين أحضانهم، لكن أعود لأكرر أن وجود المحتل هو سبب كل الفساد، ولا بد من الخلاص منه أيًا كان الثمن، أرواحنا وممتلكاتنا فداء للوطن وثمن بسيط للتخلص منهم.

آن الأوان أن ينعم المصريون بخير بلدهم من دون أن يقاسمهم فيها المحتل الذى ينعش اقتصاد بلده البعيدة على حساب اقتصادنا وازدهارنا".

استمع "حامد" باهتمام وقد خففت كلمات "حجازى" موجات الغضب العارمة داخله، وكأنها قطعة ثلج فوق حديد ساخن لا تطول برودتها طويلًا سرعان ما تتلاشى أمام سخونة الحديد.

لم يكن القدر رحيمًا بقلب "حامد"، وكأن الضربات عقدت عقدًا موثقًا على زيادة الضربات ولكمات اليد يومًا بعد يوم.

فقد علم أن أخته "زينب" وضعت مولودها الأول، إنها فتاة جميلة، وأسموها "كاميليا".

فقد حُرم من رؤية من جعلته يحصل على لقب "خال"، حرمان تلو الآخر، حرمان من زفاف أخته، حرمان من طعام أمه وريحة الحبايب، والآن حرمان من حمل وتقبيل أول مولودة لأخته الوحيدة.

ما أقسى القدر!!

انتفض واستفاق على من يسحب أحد الكراسى ليجلس بجواره في المقهى الوحيد في الشارع، إنه الصديق الجديد "حجازي" الذي طلب من "حامد" أن يأتي معه إلى محل الأحذية فهو يريده في أمر مهم.

سار خلفه ودخلا المحل سويًا فقد كان محلًا واسعًا مقسمًا إلى قسمين..

القسم الأمامي محل لبيع الأحذية الرجالي فقط والقسم الخلفي ورشة تصنيع وإصلاح الأحذية.

دخلا معًا إلى الورشة في الداخل بعدما ألقوا التحية على العامل في القسم الأمامي.

المتجر..

حجازى: "اسمع يا حامد نحن الآن نعرف بعضنا لمدة تفوق العام، وهذا وقت كافٍ ليعرف أحدنا الآخر، ويشهد الله أني وجدت فيك الإنسان والصديق المخلص الصالح الغيور على بلده المحب لهذا الوطن، وهذا هو أهم شيء مشترك بيننا لذا فقد وقع الاختيار عليك".

حامد: "أشكرك.. أنا أيضًا أبادلك نفس الشعور وأكثر، فلقد أرسلك الله ووضعك في طريقى في الوقت المناسب، الذى كان يوجه لى برسالة، معناها أنك فقدت صديقًا، فبدلك الله بصديق خيرًا منه، وهذا الجزاء يشعرنى بعدل السماء، فيقل غضبى وتهدأ ثورتى..

لقد تحملتنى كثيرًا، وكنت سببًا كبيرًا في شفاء جروحى ومواساتى، لكن ماذا تقصد بوقع على الاختيار؟!!".

حجازى: "اسمع يا حامد، أنت تعلم أن هذا الوطن الغالى يحمل فوق بعض أجزاء منه المحتل الغاصب، الذى يلوث تراب هذا البلد الطاهر، ونحن لا نكون رجالًا حتى نطردهم ونعيدهم إلى حيث أتوا..

ولن يهنأ لنا عين حتى يتحقق المراد، الجلاء عن بلدنا..

ولقد رأيت فيك خير الرجال لتشاركنا هذا الهدف، وبعد أخذ المشورة والرأى، فقد وافق أعضاء التنظيم على انضمامك إلينا".

حامد: "تنظيم؟! ماذا تقصد؟ أنا لا أفهم شيئًا".

حجازى: "إنه تنظيم سرى، ولكن بعلم قادة الجيش المصرى ومعاونته بالتدريب والسلاح، يقوم على مقاومة الاحتلال والتخلص من كل عسكرى إنجليزى ظن أنه يرتع في هذا البلد كما يحلو له..

لا.. هيهات لن يهنأ يومًا واحدًا.. وسنتخلص منهم كلما حانت لنا الفرصة.. وبالفعل فقد قمنا بعمليات عدة.. ربما وصل إلى مسامعك بعضًا من حوادث اختفاء أو قتل الكثير من الجنود الإنجليز".

حامد: "نعم سمعت، إذن أنتم وراء تلك الحوادث، عفارم عليكم، بارك الله في رجال أمثالكم، أنا معكم، لعلى أجد في هذا العمل بعضًا من رد الكرامة والأخذ بالثأر من أسياد "أبو زيد""".

قام "حجازى" إلى بعض الرفوف على الحائط الجانبى للورشة، وأزاح بعض علب الأحذية الكرتونية وأدار مقبضًا، فتح على إثره بابًا صغيرًا في الحائط، دخل منه وتبعه "حامد".

يهبطا ثلاث درجات، ليجد خمسة من الرجال مجتمعين حول دائرة مستديرة.

ودخان السجائر يملأ المكان..

بدأ التعارف بين الرجال الخمسة وحامد، إذ كان الرابط بينهم هو "حجازى"، وبذلك صار عددهم سبعة رجال.

وبدأ النقاش ووضع الخطط والخرائط بعد أن أقسم "حامد" على المصحف، قسم الولاء.

* * *

بينما كان "أبو زيد" منهمكًا في تفريغ العربة الكارو التي يحمل داخل صندوقها الخشبى كل المواد التموينية..

التقت عيناه بعينين زرقاوتين لفتاة شقراء، واقفة في شرفة أحد المبانى الخشبية القديمة، تسمر مكانه، فإذا بها تبتسم، وكأن الدنيا قد أشرقت وشمس أخرى أنارت السماء بجوار الشمس الحالية.. وعيناها ترسل خيوطًا ذهبية جديدة.

توقف عن العمل وأطال النظر مع خفقان قلبه بشدة..

زادت ابتسامتها بإشارة من أصابعها، إشارة تحية..

نظر خلفه، ثم حوله، لمن هذه الإشارة، كان وحده بالمكان، كان أقرب عسكرى إنجليزى على بعد أمتار عديدة منه.

بادلها الابتسام، فإذا بها تقطف زهرة من قصرية زهور بالشرفة، ثم تلقيها إليه، ينظر حوله ثانية، ثم يشير بإصبعه إلى صدره

"أنا!!".

أومأت برأسها..

التقط الزهرة الحمراء من على الأرض، وضعها على أنفه وبادل الفتاة الابتسام، وظل هكذا حتى سمع صوتًا يأتي من خلفه، إنه "روبرت" يطلب منه السرعة في إنزال المواد التموينية وتخزينها في مكانها المخصص في المخزن.

انتفض وواصل العمل وبعد دقيقة، نظر ثانية إلى الشرفة، كانت خاوية، أين الفتاة؟! أين الشمس الجديدة؟! العينان الزرقاوتان؟ الابتسامة الساحرة؟ أين الشعاع الخارق الواصل إلى قلبه؟!

لم يتوقف قلبه عن الخفقان رغم سرعة العمل، وعقله يكاد يجن، أين هى؟! هل يتخيل؟ إنها التهيؤات والخيالات.

وإذا به ينظر إلى الزهرة التي ما زالت في يده رغم حمله لصناديق الخضروات والفاكهة والمواد التموينية..

وضعها على أنفه ثانية، وأخذ شهيقًا ونفسًا عميقًا للغاية وكأنه يتنفس نسمات الجنة..

نفس نفس.. ونسى زوجته "زينب" وابنته الصغيرة "كاميليا".

وإذا به يجرى خلف "روبرت" بالسؤال، وأشار إلى الشرفة: "من يقطن هذه الشرفة؟".

وإذا بالجدية ترتسم على وجه "روبرت" وأجابه وكأنه يؤدى التحية العسكرية إنه "Major Smith"، إنه الماجور "سميث"، قائد المعسكر.

وأخذ يردد "أبو زيد": "قائد المعسكر، قائد الكامب، هل هى زوجته؟! من هى وماذا تفعل هنا؟!" لم يعتد أن يرى أي أثر لامرأة أو أنثى

في هذا المكان، إنه ثكنة عسكرية، أي مكان للجيش والجيش يعنى الرجال، الجنود والضباط والقادة.

لا مكان للنساء هنا، فماذا تفعل هذه الفتاة؟ ربما خادمة لديه، لكن الخدمة هنا للرجال حتى ولو كانت أسوأ أنواع الخدمة.

سار بخطوات ثقيلة وبطيئة وبين كل لحظة وأخرى يسترق النظر خلسة خلفه إلى الشرفة، وقبل أن يغادر بوابة المعسكر ومع آخر طلة ونظرة فإذا بها تخرج إلى الشرفة مرة أخرى بلباسها الوردى والأبيض.

إنها الشمس تسطع ثانيةً بعد أن اختفت، عاد أدراجه داخل المعسكر متعللًا لحراس البوابة أنه نسى شيئًا بالداخل.

وظل ناظرًا إليها تشير إليه مع نفس الابتسامة، ليبادلها الإشارة

مع ابتسامة تحولت إلي ضحكة بفعل خفقات وضربات قلب الشاب.

قاد عربة الكارو عائدًا إلي بيته، ظل واجمًا لا يسمع ما تقوله "زينب" ولا يسمع بكاء الصغيرة "كاميليا"، الذي طالما أزعجه وأشتكى منه.

لكنه لم يسمع إلا صوت العصافير والطيور البعيدة، وما زالت الزهرة في يده رغم أنها صارت في حالة يرثى لها بعد أن اختلطت بعرق يده المتسخة دائمًا.

ظل يشتم رائحتها ويقربها من أنفه ويقبلها وكأنه مقبل على التهامها وابتلاعها في فمه.

مرت الأيام، اليوم تلو الآخر، حيث هبطت الجميلة الشقراء من شرفتها العالية إلي أرض الوضيع "أبو زيد"، هكذا تميل بعض الفتيات إلى النقيض، تمل الواحدة من الرجال من بني جنسها وتشعر بالميل تجاه المختلف.

فتبحث إحداهن عن الرجل الأسمر لا الأشقر.. القوي.. الخشن.. بلغة مختلفة وثقافة مختلفة.. وهذا ما أعجبها في أبو زيد رغم حقارته ورثة ملابسه ورائحته غير المحببة للنفس.

إنها "لونا" ذات التسعة عشر عامًا، ابنة قائد المعسكر، "ماجور سميث".

لم يصدق "أبو زيد" ما سمعه، ابنة قائد المعسكر الإنجليزي، معجبة بي أنا!!

أنا أبو زيد!!

يا للطامة الكبرى، وماذا عن أباها!! ولكنهم من الجنس الآخر.. الإنجليز.. الذين لا يعرفون الغيرة أو النخوة مثلنا نحن الشرقيون.

وفى اليوم التالى، كان يومًا أسودًا على المعسكر الإنجليزى بأكمله، إذ دخلت عربة من عربات الجيش حاملة أحد الجنود الإنجليز مقتولًا بطعنات عدة في صدره ورقبته وبطنه.

حالة من الغضب تملكت من الجميع، وبعد أن فهمت "لونا" ما حدث، مقتل جندي إنجليزى على يد بعض المصريين، طلبت من "أبو زيد" أن يغادر المعسكر فورًا كى لا تنصب اللعنات فوق رأسه، ويرى ما لا يحب.

حتى وإن كان يعمل لدى الكامب الإنجليزى إلا أنه ما يزال مصريًا، فيصب عليه الجميع اللعنات.

وبالفعل، غادر "أبو زيد" مسرعًا، وانطلق بعربته الكارو وهو بين خفقان قلبه الذى أحب "لونا" وبين حزنه على سرعة المغادرة؛ بسبب مقتل

الجندي الإنجليزى، والذى لم يكن يعرفه بالطبع، أن مجموعة "حجازى" و"حامد" هم من قاموا بعمل الفخ للجندى الإنجليزى وقتله.

وضع "حامد" رأسه على وسادته مبتسمًا في أقصى درجات السعادة، يشد عنقه للأعلى وكأنه يريد أن يرفع رأسه مرة أخرى بعد أن كان مطقطقًا تلك الرأس لأكثر من عام، منذ اليوم المشؤم، يوم قدوم "أبو زيد" ومعه أخته أو زوجته.

جزء من جرحه التئم بمقتل ذلك الجندي الإنجليزي الكريه.. غير المرغوب في وجوده في شوارعنا وأزقتنا، كان يسدد له الطعنات وهو يتخيل "أبو زيد" أمامه، وكأنه ينتقم من "أبو زيد" ويثأر لنفسه وأخته ويغسل عار الخداع والكذب الذى مارسه "أبو زيد" وما يزال يمارسه على تلك المسكينة "زينب"، التي لا تعرف شيئًا عن حقيقة ما حدث حتى، وبعد أن أنجبت له الطفلة الأولى "كاميليا".

شعر "حجازى" بما يمر به "حامد"، لذا تركه يسدد اللكمات والطعنات للجندى الإنجليزى، وكأنه يسمع صوت صرخات عقله.

ظل "حامد" مبتسمًا، ثم قال بصوت خافت: "الأول"، واستسلم بعدها لنوم عميق.

انتشرت فرق دورية من عساكر الإنجليز في شوارع البلدة الصغيرة محاولة حل لغز مقتل زميلهم والقبض على الجانى أو الجناة، لكن مرت ثلاثة أيام من دون جدوى.

كان في هذه الأثناء، وفى مكان بعيد عن العمران، الرجال السبعة يتدربون على فنون القتال وعلى استعمال السلاح، وقد أظهر "حامد" براعة فائقة في إجادة إصابة الأهداف الثابتة والمتحركة.

وكان "حجازي" هو الرابط أو همزة الوصل بين الجيش المصري والرجال السبعة.

واستطاعوا في فترة وجيزة تنفيذ عمليات عدة أرهبت الجنود الإنجليز..

لدرجة أنهم امتنعوا عن الخروج من المعسكر إلا نادرًا، ولم يجوبوا الشوارع بكل غرور وغطرسة كما كانوا يفعلون في السابق.

ازداد تعلق "أبو زيد" بـ "لونا" الشقراء الإنجليزية الجميلة، ابنة القائد، وهذا ما كان يخيف "أبو زيد".

تعددت لقاءاتهم، وانتقلت من مرحلة اللقاء والحديث وتلاعب الأيادي إلي أكثر من ذلك، إذ وقع المحظور داخل حجرة صغيرة في مخزن المواد التموينية.

عاد "أبو زيد" من تلك الليلة وهو منتشي من السعادة، ولم يقرب أو يتحدث إلى "زينب" لأيام، وشعرت هى بذلك لكنها من طول صبرها كانت تجد له الأعذار الواحد تلو الآخر، كما أوصتها أمها قبل مغادرة البلدة.

"الطاعة والصبر والابتسامة"، إنها كلمات من ذهب، لها مفعول السحر في استمرار الحياة رغم الصعاب والمنغصات، هكذا تذكرت "زينب" كلمات أمها التي لم تنل أي قسط من التعليم لكن الحياة والمجتمع المحافظ علمها أفضل تعليم.

وبعد أن أعدت لأبو زيد طعام العشاء، أشعلت بعضًا من قطع بخور جاوي، وأشعلته فوق قطعة من فحم، ودارت به فوق رأس "أبو زيد" وهى تتمتم ببعض الكلمات والأذكار والآيات.

ولم يكن لهذا البخور أو التعويذات أي تأثير على "أبو زيد"، فقد لا زال في حالة النشوة التي تذوقها للمرة الأولى، ويبدو أنه لن يسلاها بعد الآن.

تعددت لقاءات "أبو زيد" و"لونا" الإنجليزية في ثوبها الجديد، لقاءات حجرة مخزن المواد التموينية، وتعددة معه جرعات العسل التي يشربها "أبو زيد" في كل مرة، وازدادت "لونا" دلالًا وجمالًا في كل مرة، مما سلب عقل "أبو زيد"، ولم تفلح كل المحاولات التي تبذلها "زينب" من أصناف الطعام والبخور الجاوي والحناء التي ترسم بها يديها، فقد صار "أبو زيد" أبعد عنها من أي وقت مضى..

وأبعد عن ابنته "كاميليا" التي لم يلاعبها أو حتى يحملها كما كان يفعل في السابق، وصار موعد عودته إلى المنزل مساءً يتأخر كل يوم ساعة أو أكثر إلى أن صار يدخل البيت مع أذان الفجر وخيوط النهار الأولى.

مرت الأيام، و"أبو زيد" يشرب من عسل "لونا" التي ظهرت على بطنها بوادر الحمل، انتفخت بطنها قليلًا لكن "أبو زيد" لم يلحظ هذا لانشغاله بخفقان قلبه، ونفس الأوقات هذه ازدادت عمليات فشل الجنود الإنجليز، وارتفعت هامة "حامد" أكثر وأكثر لدرجة أنه نسى كل إساءات أبو زيد.

والذي لم يعرفه "حامد" عن غرق "أبو زيد" في حب "لونا" إلى أن اختفت "لونا" لمدة أسبوعين.

وكاد عقل "أبو زيد" أن يطير من مكانه، ينظر إلى الشرفة يوميًا، في كل لحظة.

يمضي أوقات الليل في الحجرة، منتظرًا قدوم "لونا"، لكن من دون جدوى، لم يكن "أبو زيد" يدري بأية حال من الأحوال أن هذه الحجرة التي شهدت أجمل لحظات عمره، قطرات العسل، ستتحول لتصبح شاهدة على أسوأ وأسود أيام حياته، ففي أحد الممرات وهو معلق بصره على الشرفة يلمح "لونا"..

ربما هى غاضبة منه في شيء، لا إنه يعاملها بكل حنان ودلال وهى تبدو سعيدة بين ذراعيه، إذن فلماذا هذا البعد والاختفاء من دون تبرير؟!

لم يكن يعلم معاناة "لونا" مع الحمل، فقد كانت في حالة صحية صعبة.

والأصعب هو الحالة النفسية لعدم قدرتها للخروج إلى الشرفة أو لقاء "أبو زيد"، هذا بجانب المجهود الكبير الذي تبذله لإخفاء حقيقة حملها وانتفاخ بطنها بعض الشيء.

وفي هذه المرة تحديدًا التي رفع رأسه فيها لأعلى، إذا بضربة قوية من رجل يقف خلف "أبو زيد" على رأسه، يا إلهي، نظر "أبو زيد" بغضب، فإذا هو وجهًا لوجه أمام قائد المعسكر، "الماجور سميث".

لم يحسب حساب هذه اللحظة التي لا بد من قدومها لا محالة، وقع القفا الذي تلقاه "أبو زيد" موقع الإهانة في نفسه، رفع صوته..

وإذا به يتلقى الضربة الثانية، والتف حوله عدد من الجنود الإنجليز..

وقاموا بتسديد الضربات له الواحدة تلو الأخرى.. إلى أن انفجرت الدماء من أماكن كثيرة من وجهه ورأسه..

ثم سحبوه سحلًا على الأرض إلى الحجرة الداخلية، ليُسجن في مخزن المواد التموينية، نفس الحجرة، نعم هى نفس الحجرة التي شهدت عسل الحب، ملقى بها على الأرض ليتذوق حنضلها.

وآخر ما سمعه هو كلمات من "الماجور سميث": "لا تستحق حتى أن تلقى في حجرات السجن في المعسكر، شرف لن تناله أيها الحقير، فهو مخصص للجنود الإنجليز كعقوبة لمن يخالف التعليمات، ثلاث حجرات خاوية، زنازين، معدة كسجن جزئي".

وبعد ساعات عدة، فُتح باب الحجرة، وضع الجنود القليل من الطعام على الأرض، ثم أمسكوا "أبو زيد" ووجهوا له اللكمات، ثم ألقوه على الأرض مرة أخرى.

وفي اليوم التالي نفس الحال..

أراد" الماجور سميث" تجهيز مكانًا في أحد الميادين والساحات في بورفؤاد لتعليق وجلد هذا الحقير "أبو زيد" أمام أعين المصريين ليكون عبرة لهم.

كيف يتجرأ على ابنة قائد المعسكر، الذي أحسن إليه وأوكل إليه مهمة إمداد المعسكر بالمواد التموينية، وأجزل له العطاء والمال.

أشار إليه بعض أعوانه أن هذا التصرف سيثير غضب المصريين وإنه لا يجب أن يستهين بهم، ثم ذكروه ببعض العمليات العدائية وقتلهم للجنود

الإنجليز، وذكروه أيضًا بمشهد وصول الجثث إلى المعسكر، بدا الاقتناع على وجه "الماجور سميث"، ثم أمر بتجهيز العامود الخشب الذي سيربط عليه "أبو زيد"، ويتم جلده داخل المعسكر.

* * *

مرت أيام على "زينب" لا تعرف شيئًا عن "أبو زيد"، وقد اعتادت على ذلك، فقد كان يغيب عنها فترات طويلة بحجة العمل والتنقل بين أسواق الخضروات وتجار الجملة لجمع المواد التموينية للجيش، وهى تظن أنه جيش البلاد، الجيش المصري.

وبحس الأم وفطنتها، ومن دون استخدام أدوات طبية أو ترمومتر، شعرت بحرارة تخرج من وجه ورأس الصغيرة "كاميليا".

إنها ساخنة، الحمى تتملك منها، حاولت وضع بعضًا من قطع القماش المبلل بالماء على رأسها (كمادات)، تهبط الحرارة شيئًا قليلًا ثم تعاود بالصعود والارتفاع مرة أخرى، ماذا تفعل؟ أين أنت يا "أبو زيد"؟!

لا بد من الذهاب بها إلى المستشفى، لكن أين هى المستشفى؟! وفي أي اتجاه؟! وضعت الصغيرة في لفافتها وخرجت بها إلى الطريق، سارت لنهاية الشارع وهى تلهث وأنفاسها متلاحقة، لم تتمالك نفسها من البكاء.

شاهدت أربعة من الرجال يسيرون، نادت من خلفهم، فين أقرب مستشفى من فضلكم؟

التفت الرجال إليها، وإذا بها أمام "حامد" أخيها بصحبة "حجازي" وآخرين من المجموعة.

توقفت الدموع في عيناها، ونسيت طفلتها المحمومة، وتسمر "حامد" مكانه، غير مصدق أنها "زينب" أخته الصغيرة، الزوجة المظلومة.

مرت لحظات ودقائق بطيئة عليها، قبل أن ترتمي "زينب" في أحضان "حامد" وسط المارة، وانخرط كل منهما في البكاء، وقد بللت دموعهما وجه ورأس الصغيرة "كاميليا"، وكأن الدموع تقوم بعمل تبريد للحرارة المرتفعة للصغيرة.

عرض "حجازي" عليهما أن يعودا إلى المنزل "بكاميليا" وهو يعرف طبيب يسكن قريبًا سوف يحضره على الفور، ثم عرف العنوان من "حامد" الذي ما زال يتذكر عنوان أخته رغم ذهابه هناك لمرة واحدة.

شد وثاق الجنود الإنجليز جسد أبو زيد العارى على خشبة غليظة وسط معسكر تدريبات الكامب الإنجليزي.

وسط حضور كل من كان بالمعسكر من جنود وضباط، وحضر القائد "الماجور سميث"، وبدأ العد التنازلي لإنزال العقاب على الحقير الذي تجرأ على ابنة قائد المعسكر، وبدأت أولى الضربات بالسوط على ظهر "أبو زيد" العارى.

أطلق صرخة مدوية من شدة الألم، تلتها صرخة أخرى، لكن هذه الصرخة الأخرى لم تخرج من "أبو زيد"، لكنها خرجت من "لونا" الإنجليزية.

صرخة ألم الوضع، فقد كانت في حالة وضع، رغم مرور سبعة شهور فقط على حملها..

ومع ضربة السوط الثانية، تطلق "لونا" صرخة أخرى..

وتوالت الضربات، وأيضًا الصرخات إلى أن توقفت "لونا" عن الصراخ بقدوم طفل أحمر البشرة، بينما توالت صرخات "أبو زيد" إلى أن غشى عليه وهو موثوق بالعمود الخشبى، ثم أشار "الماجور سميث" لمن يقوم على ضربه بالسوط أن يتوقف، يكفى هذا، لم يتركه إلا بعد أن سالت الدماء من ظهره وأغشى عليه، كما راحت "لونا" في نوم عميق بعد وضع مولودها الأول.

أمضى الطبيب حوالي الساعتين في بيت "أبو زيد" بوجود "زينب" وحامد وكان "حجازي" منتظرًا في الخارج على ترقب للاطمئنان.

ما زال "حامد" غير مصدق لما حدث، فقد حمل الصغيرة "كاميليا" وهو عائد و"زينب" أخته إلى البيت، قبل أن يحضر "حجازي" الطبيب.

إني أحمل بين يدى ابنتك يا زينب، إنها أول من أعطاني لقب الخال، ثم توجه بالنظر إلى وجه "كاميليا" الكامن في هدوء واستشعر حرارة جسدها الصغير "أنا خالك يا كاميليا، أدلعك وأقولك إيه.. كراميلا؟

إيه رأيك؟ حلو كراميلا.. صح.. وزي ما كنت بدلع أمك زمان وأقولها زنوبة"، سمعت "زينب" كلماته وأجهشت في البكاء وهى تسير جواره ببطء، "إذن لماذا تركتني وحيدة يا أخي؟! لم تهتم بي مثل ذي قبل، لم تزورني ولا مرة ولم تسأل على أحوالي ولا مرة، لا أفهم لماذا؟! أنا زنوبة، أختك الصغيرة، تتركني هكذا"، لا يجد "حامد" من الكلمات والتبرير كي يدافع عن نفسه، فهى لا تعرف ما يعرف هو، لا يريد تشويه صورة زوجها في

نظرها حتى وإن كان يستحق ذلك، لكنها هى من تهمه، لا يستطيع كسر فرحتها وإفساد حياتها.

بعد مرور ساعتين، استطاع الطبيب السيطرة على حرارة جسد "كاميليا"، وأخذ "حامد" و"زينب" أن تلك الحرارة بسبب أمرين، عادة عندما يحدث أمر واحد فقط لا يتحمل الطفل، لكن هذه الصغيرة تعرضت لأمرين في آن واحد.

الأول هو نزلة معوية، ينبغي معه تطهير جهازها الهضمي..

والأمر الثاني هو أن ظهر ضرس في أسنانها، مما سبب لها الألم والارتفاع في درجة الحرارة.

وأثناء حديثه، سمع الجميع طرقات قوية على الباب..

فتح "حامد" الباب ليرى أمامه اثنين من الرجلين يحملان "أبو زيد" وهو في حالة إعياء شديدة، ومن ورائهم "حجازي" الذي ذهب بروشتة الطبيب لإحضار الدواء من أقرب صيدلية.

مرت أيام عصيبة على "زينب" و"حامد" ومن ورائهم "حجازي"..

من الاعتناء بـ "كاميليا" وأبيها "أبو زيد" حتى بدأ الاثنان في التعافي.

وكذلك الضيف الجديد، فقد كان "أبو زيد" ممسكًا بكل ما أوتى به من قوة بلفافة بها طفل رضيع حديث الولادة، عندما أحضره الرجال إلى منزله.

حاولت "زينب" الاهتمام بالرضيع، إنه ذكر، جميل البشرة، يختلف في ملامحه عن الأطفال المصريين، لم تفهم من هو ذلك المسكين الصغير، وكذلك "حامد".

قامت بإرضاعه فقد كان ثديها ما يزال يدر لبنًا.. منذ رضاعة "كاميليا" قبل فطامها.

يمر عليهم الوقت بطيئًا، وقد تعافت "كاميليا" تمامًا، وبدأ "أبو زيد" في التعافي، ووصلت إلى مسامعه بكاء طفل رضيع من الغرفة المقابلة له.

بدأ يدرك ما حوله شيئًا فشيئًا، لقد شاهد "حامد" في البيت، فقد أنزل وجود "حامد" في البيت بعد القطيعة المرور على قلبه وإنزال بعض آلامه، وتذكر معها كم كان نذلًا حقيرًا في كل أفعاله مع صديقه القديم، وخال ابنته "حامد"، دخلت عليه "زينب" للاطمئنان عليه ومن خلفها "كاميليا" ذات العامين تسير خلفها، وهى حاملة بين يديها المولود الصغير.

وتشير إليه، من هذا يا أبو زيد؟ ما اسمه؟ ابن مين؟! أسئلة كثيرة بلا إجابات وألغاز جديدة تضاف إلى الألغاز القديمة التي أحاطت بها لمدة ثلاثة أعوام كاملة، وأيضًا بلا إجابات هل ستستمر حياتها مع "أبو زيد" هكذا، لغز تلو الآخر علامات الاستفهام تحوطها وتؤرق نومها وتسرق كل فرحة تتمناها من حياتها الجديدة، هل هذا طبيعي؟! هل كل زوجة لا بد أن تتذوق طعم الغموض والحيرة، لا.. ليس الزواج هكذا.

كسر "أبو زيد" حاجز الصمت، وكأنه يطلق رصاصة على القفل الموصد لأبواب الحقيقه، أخيرًا سيفصح عن الأسرار ويفك طلاسم وألغاز أحاطت "زينب" لشهور طويلة.

أبو زيد: "قبل أي شيء، أريدك يا زينب أن تختاري اسمًا لهذا الصغير الجديد".

نظرت "زينب" إلى "حامد" ثم إلى الصغيرة "كاميليا"، من يكون هذا الجديد؟ هل وجدته أمام باب جامع؟ أم من يكون؟!

تدخل "حامد" واستأذن زينب أن يسميه هو باسم يحبه..

ما رأيك في "نديم"، أومأت "زينب" برأسها، واستحسن "أبو زيد" الاسم، وبعدها جثم على ركبتيه أمام زينب وعيناه تغرورقان بالدمع.

سامحيني يا زينب، أخطات في حقك كثيرًا ومن قبل أخطات في حق صديقي المخلص الوفي كما أخطات في حق نفسي من قبلكما.

قص "أبو زيد" كل ما حدث طيلة الثلاث سنوات الماضية منذ أن عارض صديقه "حامد"، وأصر على العمل لدى الأنجاس.. الأورنوس.. الكامب الإنجليزي إلى خداعه لها وأسرتها والزواج بها وإيهامهم بموافقة ومباركة حامد للزيجة، والعكس كان الصحيح.

ثم إيهامها أنه يقوم بتوريد المواد التموينية للجيش المصري، بينما كان للمحتل الإنجليزي، ثم أخيرًا إدعاؤه بعدم معرفته لأسباب مقاطعة أخيها "حامد" لها.

والآن الطامة الكبرى والاعتراف الثاني، علاقته بـ "لونا" الإنجليزية، وأن هذا الصغير الذي تحمله "زينب" فوق صدرها، هو ابنه من "لونا"، الذي أرضعته من صدرها منذ قليل، هو ابن زوجها "أبو زيد".

سقطت الدمعة وراء الأخرى فوق وجنتي "زينب" في صمت من دون أن تستطيع أن تنطق كلمة، تنظر إلى الصغير وهى تسمع وتصارع داخلها شعورين، شعور بكره ذلك الصبي، إنه من امرأة أخرى وفي السر، والشعور

الآخر، أنها أحبته وهو يلقم ثديها بلهفة ليتلقى أولى رضعاته، لم تقاوم حبها للصغير "نديم" والشعور بالعطف عليه الذي غلب الشعور بالمرارة مما فعله زوجها، وهى التي كانت تنتظره كل ليلة وتفعل كل شيء لإرضائه وإسعاده وهو غارق في عسله مع فتاته الخواجاية.

بكى "أبو زيد" بين قدميها، وطلب منها الصفح، كما طلب من "حامد"، مع وعد منه أنه سيرد اعتباره أيًا كان الثمن.

بعد إزالة الغموض أو الألغاز التي أحاطت حياة "زينب" بدا لها أن هذا اليوم هو أول يومًا في حياتها الزوجية، كل ما سبق كان خدمة وكذبة كبرى، أول يومًا تنعم فيه بنوم هادئ، أخيها "حامد" إلى جوارها، بعد أن صفح عن "أبو زيد"، وعادت صداقتهما لسابق عهدها، واهتمام "أبو زيد" بها و"كاميليا" و"نديم".

رغم الهدوء والسلام الذي عم بيته، لكن غليان الغضب ما زال يشتعل في قلب وكرامة "أبو زيد"، وعلى قدر شفاء جروح جسده إلا أن جروح كبريائه لا تزال تنزف بشدة.

وهو أن يقوم بأي عمل للانتقام من المحتل الإنجليزي، إلا أن "حامد" استطاع إيقافه وإثنائه عن القيام بأي عمل متهور.

"ليس هكذا تسترجع الحقوق، الصبر يا صديقي، الكثرة تغلب الشجاعة والجماعة خير من الفرد، لن تستطيع وحدك فعل أي شيء"، ثم أطلعه علي حقيقة اجتماعاتهم في محل الأحذية التابع لحجازي، وصار الرجل الثامن في المجموعة.

وتوالت اجتماعاتهم ومناقشات وأخذ الآراء للترتيب للقيام بعمل لرد اعتبار "أبو زيد" وكل مصري تعرض للإهانة.

تفاوتت الأفكار والاقتراحات، تجتذب الجميع إلا "أبو زيد" الذي ظل صامتًا وصامدًا، يستمع باهتمام إلى أن فرغ الجميع من المناقشات والمقترحات واستعراض المميزات والعيوب لأية عملية يمكن القيام بها من قتل أحد الجنود الإنجليز أو خطف أى جندي والمساومة عليه أو... أو... أو...

الكثير من الأفكار..

إلى أن خرق "أبو زيد" حاجز صمته وتكلم، قائلًا:

"أنا عندي فكرة، اسمعوني جيدًا".

استمع الجميع لما اقترحه وما جاء في خطة "أبو زيد" التي كان يغزل خيوطها منذ أن نزف أول قطرة دماء، وطرده ومولوده من المعسكر الإنجليزي.. الأورنوس.

بدأ الإعداد والتنفيذ بمساعدة باقي أفراد المجموعة..

استطاع "الماجور سميث" أن يفرض سيطرته وقناعاته والتأثير فى "لونا" لرؤية "أبو زيد" على أنه شخص حقير مد يده وأخذ ما لا يملك أو يستحق، وأن من حظها السعيد أن استطاعت التخلص منه ومن بذرته الحقيرة مثله، واستطاعت أن تتناسى تجربتها مع "أبو زيد" وتحاول البدء في حياة أو علاقة جديدة.

عرف "أبو زيد" أن "روبرت" أوكل مهمة الإمداد والتموين للمتعهد القديم الذي حل محله "أبو زيد" في الفترة الماضية، تواصل معه "روبرت" مرة أخرى ليعود إلى المهمة التي حرم منها من قبل، ويبدأ في إمداد الأورنوس بالمواد الغذائية التموينية المطلوبة، إنه "زكي مرزوق".

تقرب "أبو زيد" من "زكي مرزوق"، ووطد علاقته به..

وساعده في إنفاذ مهمته إذ عرفه على موردي المواد الغذائية بأسعار الجملة، وبذلك يستطيع توفير أموالًا أكثر وزيادة مكسبه ربما للضعف، فرح "زكي مرزوق" كثيرًا بمعاونة "أبو زيد" له، الذي أخبره أنه ترك الكامب الإنجليزي لأنه وجد فرصة أفضل في مكان آخر.

وبعد أسابيع عدة زادت ثقة "زكي" في "أبو زيد"..

وفي أحد الأيام، مرض "زكي مرزوق"، وطلب من "أبو زيد" مساعدته فى تجهيز بعض الخضروات والفاكهة والمواد التموينية التي يحتاجها الكامب الإنجليزي، وبالاتفاق بين "أبو زيد" وباقي المجموعة، وضع "أبو زيد" أصابع الديناميت والمتفجرات، وثبت معها تايمر أو ميقاتي في قاع كل صندوق ومن فوق الديناميت وضع الخضروات والمواد التموينية، وذهب بصحبة "زكي مرزوق" الذي تحامل على نفسه رغم أعراض المرض.

وقبل الوصول لبوابة الكامب الإنجليزي بقليل، استأذن "أبو زيد" ونزل من العربة الكارو، معللًا أن علاقته "بروبرت" ومسؤلي الكامب مقطوعة ولا يستطيع الدخول معه.

وكان قبلها قد قام بضبط التايمر على التاسعة صباحًا أي قبل دخول شحنة المواد التموينية مع المتعهد "زكي مرزوق" بثلاث ساعات تقريبًا، إذ اعتاد أن يدخل يوميًا فى السادسة صباحًا.

سار "أبو زيد" قليلًا إلى سيارة متوقفة في الشارع على بعد مائتى متر تقريبًا، يجلس فيها حامد وحجازى ورجل ثالث من المجموعة.

مر الوقت بطيئًا عليهم إلى أن اقتربت الساعة من التاسعة صباحًا وبدأت الأفراح، انفجارات هائلة في الأورنوس أو الكامب الإنجليزي النجس، وتعالت الصرخات والأصوات ودوي نفير الطوارئ في أنحاء المعسكر.

انطلق الرجال الأربعة بسياراتهم وهم يتلذذون بمنظر النيران المرتفعه إلى عنان السماء.

أجمل صوت وأنقى صورة أزالت الانفجارات، همًا كان جاثيًا على قلب "أبو زيد"، استرد كرامته.. ورفع رأسه ثانيةً، وكأنه بكل طلقة انفجارية يعود إليه جزءًا من كرامته وإصلاحًا لأخطاء ارتكبها في حق نفسه، "زينب"، "حامد"، "كاميليا"، وأيضًا "نديم".

هل الانفجارات والدماء المسالة والأعضاء البشرية المتناثرة يمكن أن تدخل السرور والفرح وتشرح صدر أي إنسان! يا للقدر العجيب!

دخل "أبو زيد" إلي منزله ليحتضن زوجته "زينب"، ويمطر "كاميليا" و"نديم" بالقبلات، ومشاهد الانفجارات لا تفارق عيناه وأصوات الصرخات وأجراس الإنذار المدوية في المعسكر لا تزال تطن في أذنه أجمل طنين.

لا كامب بعد اليوم، لا ماجور سميث، أو روبرت أو لونا أو حتى المتعهد زكي مرزوق.

فالنيران طهرت المكان، طهرت الأرض المصرية من الأوساخ، لتعود إلي سابق عهدها، والغريب أن الانفجار حدث فى أيام موسم الشتاء.

لكن أبت السماء أن تمطر فى هذا اليوم كي لا تطفئ نيران السعادة التي حرقت وأكلت أجساد المحتل الغاشم..

يا لروعة السماء عندما تتعاطف مع المظلوم ولا تقدم يد العون للظالم..

هل كان هناك اتفاق بين الرجال الثمانية وبين السحب في كبد السماء..

لا ترتطم ببعضها ولا تسقط نقطة مطر واحدة من بعد التاسعة صباحًا..

"الحمد لله" هذا ما ردده الرجال.

استفاقت "كاميليا" في القطار على صوت مفتش القطار يطلب منها مراجعة تذكرة الركوب، اعتذرت عن التأخير وقدمت له التذكرة، الذي أشر عليها وردها إليها، وإذا بها تسأل: "كم من الوقت متبقي كي نصل إلى بورسعيد؟".

فأجابها: "ربما ساعتين من الزمن إن لم يكن هناك أي تعطيل على الخطوط".

نظرت إلى الكتاب الذي فى يدها، ولم تقرأ منه كلمة واحدة، إذ راحت في استعراض شريط ذكريات امتد لسنوات قبل وبعد ميلادها.

كم استمعت لقصص من أمها "زينب" وأبيها "أبو زيد" وخالها "حامد".

من أحداث ووقائع منذ أيامها الأولى، كذلك أخيها "نديم"، جميل الصورة بوجهه الأحمر، وعيناه الزرقاوان، وشعره الأشقر، فكل من يراهما معًا لا يصدق أنها أخته.

حاولت النظر فى كتاب الجامعة، الأدب اليوناني من خلال شعر "كفافيس".

لكن هيهات.. ظلت الذكريات والأحداث الماضية تلاحقها وكأنها تلح عليها وتزيد من الإلحاح كي تقتحم عليها التفكير، ولا تسمح لها بالتركيز في الحاضر.

كانت في سن العاشرة، تلهو وتلعب مع أطفال الحي، تذكر منهم ميلاد ابن عم عويس الصائغ، وأيضًا شكري ابن عم عطوة الخباز، وأخيها نديم، وبعض الأطفال الآخرين، التي لم تعد تذكرهم.

تذكر يوم أن ألقى الرئيس جمال عبدالناصر خطابه الشهير ونطق أهم القرارات..

بتأميم قناة السويس لتصير شركة مساهمة مصرية، نعم مصرية، ولا بد أن تظل مصرية، واختلف الرجال فى مناقشتهم بين مؤيد، وهم الأغلبية، والقلة ممن عارض القرار، خوفًا من رد فعل الدول الكبرى، إنجلترا وفرنسا آنذاك.

وبالفعل، لم يمر أكثر من ثلاثة أشهر على هذا الخطاب الشهير..

إلا ودقت طبول الحرب من قبل تحالف الشيطان، الثالوث الشيطاني..
إنجلترا وفرنسا وإسرائيل (الكيان الصهيوني المحتل)..

يلتزم الجميع بيته، وعندما يبدأ القصف على بورسعيد، يتكدس السكان فى المخابئ أو يقبعون في بيوتهم من الظلام، وقت الحرب يُحظر إشعال المصابيح أو أي مصدر للإنارة.

صفارات الإنذار تدوي في المكان، وعندما تتوقف يخرج الناس لقضاء احتياجاتهم الضرورية..

وتترك الأسر العنان للأطفال للعب أحيانًا في الشرفات أو أمام المنازل..

انتشرت قطع العربات والدبابات الإسرائيلية في طرقات بورفؤاد..

وعندما تجمع الأولاد للعب فى إحدى الأمسيات ظهرت دبابة إسرائيلية في المكان ومن خلفها دبابة أخرى، اقترح نديم ذو الثمانية أعوام أن يمسك كل طفل بقطعة حجارة ويقذفونها في وقت واحد على الدبابة لعلها تصاب بالعطل.

توقفت الدبابة على مرمى البصر من الأطفال، فدبت الرهبة في قلوبهم، إنها المره الأولى التي يشاهدون فيها دبابة في الحقيقة، إنها ضخمة للغاية، وتحدث صوتًا مخيفًا للغاية فوق أسفلت الطريق.

ميلاد: "أنا خائف، دي إيه دي، بتتحرك إزاي! مين بيحركها! أكيد داخلها عفريت".

نديم: "لا يا أهبل دي الدبابة التي خلفها هى التي تدفعها للأمام"، نظر إليه ميلاد غير مقتنع ولسان حاله يقول "ومن يحرك الدبابه الخلفية إذًا؟!".

كاميليا: "لا يهم كل هذا، المهم إننا لازم نمنعهم من دخول شوارع بلدتنا، لكن ماذا تفعل تلك الماسورة الطويلة هذه؟ وأشارت إلى مدفع الدبابة".

شكري: "دعوكم من هذا الهراء، أنا أكبركم سنًا، وأذكر لكم أن ما قالته كاميليا هو الصواب، لا يجب أن نضيع الوقت قبل أن تمر الدبابه وتذهب بعيدًا، لا بد من مهاجمتها وإيقافها".

نظر الأطفال إلى بعضهم البعض، وذهب كل طفل في ناحية يجمع أكبر عددًا من الطوب والحجارة ويضعهم في مكان واحد. وبعد مرور دقائق عدة، سمع الجميع صوت ينادي من ميكروفون محمول باليد وبلغة عربية غير سليمة "لا داعي للمقاومة، عليكم أن تستسلموا أو تلزموا بيوتكم".

في هذة الأثناء، تجمع "أبو زيد" و"حامد" مع "زينب" في بيتها انتظارًا لحلول الظلام؛ كي يستطيعوا التحرك والاجتماع بباقى المجموعة مع "حجازي"؛ لينظروا في الأمر ويقرروا ما يمكن عمله، وكل بضعة دقائق تخرج "زينب" إلى الشرفة لتطمئن على الأولاد.

واصل الأطفال العمل بهمة في جمع الأحجار وتجمع لديهم كومة ممتازة من الحجارة والطوب، وانطلق الصوت من الميكروفون مرة أخرى.

"من القائد "يوسي كاتسير" إلى أهالي المنطقة، الزموا بيوتكم وإلا سوف تلقون مصير البلدة المجاورة لكم من تدمير وقتل كل من فيها".

ظهرت "زينب" وأطلت من الشرفة بعد سماعها هذا التنبيه وذكر اسم "يوسي كاتسير"، وإذا بها تصيح على الأولاد: "يالا يا أولاد أطلعوا، وباقي الأطفال تروح بيوتهم"، ثم أضافت: "ربنا يستر، خنزير قادم".

ترك الأولاد كومة الحجارة، وصعدت "كاميليا" وخلفها أخيها "نديم"، وانضموا إلى حديث الكبار ولكن كمستمعين فقط، وتردد اسم "الخنزير" طوال الجلسة، سألت "كاميليا" خالها "حامد": مين خنزير ده يا خال؟

ابتسم "حامد" ابتسامه باهتة: "إنه قائد إسرائيلى يعبث في بلدتنا، متواجد على أحدث دبابة، اسمه" يوسي كاتسير" ".

ثم أضاف وهو يطلق ضحكة ساخرة: "لكن الأهالي هنا حرفوا وغيروا اسم "كاتسير" إلى "خنزير"، يبدو أن نطق اسم "كاتسير" صعب عليهم، وأن "خنزير" يبدو أسهل لهم في النطق، أو ربما يرون في هذا القائد خنزيرًا؛ نظرًا لغبائه وشراسته وسهولة التدمير والقتل لديه..

هو صغير السن في بداية العشرينات من عمره لكنه بسبب شراسته وشدته تقلد المناصب والرتب العسكرية بشكل سريع ومذهل".

نظرت "كاميليا" إلى "حامد" بكل فخر واعتزاز، وسألتة: "لكن كيف لك يا خال معرفة كل تلك المعلومات عن "يوسى كاتسير" أو هذا الخنزير؟".

أجابها "حامد": "إنها كلمة واحدة يا كاميليا أبرك من ألف كلمة، أعرف عدوك، جمع المعلومات عن الأعداء يسهل عليك مهمتك وتحديد الخطة لضربهم والتخلص منهم".

وكان هذا هو أول الدروس التى تعلمتها "كاميليا" في سن العاشرة من مدرسة الحياة، "أعرف عدوك".

خلدت إلى النوم وهى تردد بسرية: "أعرف عدوك، أعرف الخنزير".

مرت الليلة بسلام رغم تواصل أصوات الطلقات وحركة العربات المصفحة، وجنازير الدبابات الهادرة، وأصوات الطائرات التي تجوب أجواء بورسعيد من دون رادع كافي كي تعود من حيث أتت.

اجتمع الرجال الثمانية في المكان السري داخل ورشة الأحذية الخاصة بحجازي..

ناقشوا الأمر من جميع الجوانب وكانت أكبر مشكلة تواجههم هى الحصول على السلاح المناسب لتمويل دخول قوات إسرائيل إلى حرب شوارع، وهنا ربما تكون الغلبة للمصريين نظرًا لعلمهم الجيد بطبيعة المكان.

فكانت المهمة الموكلة إلى "حجازي" هو التواصل مع قادة الجيش بمنطقه القناة لمحاولة الحصول منهم على السلاح والقنابل اليدوية.

وكان على باقي المجموعة هو ضم أكثر الأعداد من الرجال والشباب إليهم وتدريبهم بشكل سريع للمساعدة في مقاومة العدد الصهيوني.

في الظهيرة تجمع "أبو زيد" و"زينب" و"حامد" مع الصغيرين "كاميليا" و"نديم" حول مائدة الطعام، ليأكوا قطع الخبز الجاف مع القليل من شرائح الجبن والطماطم.

التهموا طعامهم وكانوا يضحكون وكأنهم في حالة اللا حرب..

يشعرون بأمان غريب، وكأن طائرات الصهاينة والإنجليز والفرنسيين تحرسهم ولا تضربهم.

وعندما اقتربت الشمس على المغيب، تجمع الأولاد فى الساحة، ونظروا إلى كومة الحجارة التي جمعوها بالأمس، لم تكن كافية، فانتشروا لجمع المزيد.

وإذا بأصوات الدبابات تدوي من بعيد تعلن قدومها إلى الشارع القريب من الساحة..

وهذه المرة كان الجنود الإسرائيليين يجلسون فوق الدبابة وكأنهم شعروا بالأمان وأنه ليس هناك حاجة للاختباء داخل الدبابة والاحتماء بجدرانها المقاومة للرصاص، وكما حدث بالأمس كانت الدبابة في المقدمة وخلفها دبابة أخرى.

توقفت الدبابة الأولى، ونزل جنود العدو ليقفوا إلى جوارها وهم يتلفتون في كل اتجاه، حاملين بنادقهم في حالة استعداد لقتل أي مقاوم، حانت اللحظة، التقط الأولاد الحجارة من الكوم الكبير الذي صفوه، وانطلقوا تجاه الدبابة والعساكر الإسرائيليين وألقوا عليهم ما بيدهم من حجارة.

حاول جنود الأعداء تفادي قصف الحجارة تجاههم، وبعدها طاردوا الأطفال وركضوا خلفهم، هرب الأطفال في الشوارع الجانبية، لكن الجنود الصهاينة استطاعوا الإمساك بـ "كاميليا" و"نديم".

وقادوهم بعنف إلى أن وقفوا أمام ضابط، يبدو أنه القائد، وسمعت "كاميليا" الجنود الإسرائيليين ينادونه "كاتسير"..

نعم إذًا إنه هو "يوسي كاتسير" أو الخنزير!!

كانت يد "كاميليا" اليمنى لا تزال قابضة على قطعة حجارة مدببة، نزل "خنزير" على ركبته أمام "كاميليا" وبجوارها "نديم"..

والجنود يحيطون بهما..

سألها "يوسى كاتسير": "لماذا تقذفوننا بالحجارة؟! نحن هنا لمساعدتكم كي تكون حياتكم أفضل".

ثم سألها: "أنتِ بنت مين يا شاطرة؟!"، وكان يتحدث العربية بلهجة شامية.

وتوالت الأسئلة، و"كاميليا" صامتة، وفجأة رفعت يدها اليمنى في حركه سريعة وضربت خنزير في وجهه بالجزء المدبب من الحجارة، سالت الدماء من وجهه، أصابت حاجبه وكانت قاب قوسين أو أدنى، أن تصيب عينه وتفقأها، فيصير أعورًا بعين واحدة.

ساعده أحد الجنود وربط رأسه بمنديل..

أنقض "يوسى كاتسير" على كاميليا ورفع بندقيته وكاد يقتلها، وصمت لحظة، ثم سألها: "أين بيتكم؟! أين تسكنين؟!".

لم تجبه "كاميليا" واستمرت على صمتها..

استشاط "خنزير" غضبًا فوق غضبه وجرحه النافذ، وتوجه إلى أخيها نديم، وسأله، "أين تسكن هذه الفتاة؟"، وأشار إلى "كاميليا"، وبالطبع لم يكن يعلم أنها أخته نظرًا لاختلاف الشكل والملامح بينهما.

صمت "نديم" أيضًا..

هزه "خنزير" بعنف، لكن من دون جدوى..

خنزير: "حسنًا سأجعلك تتحدث وتفصح عن مكان بيتها".

أمسك بـ "كاميليا" ووضعها على الأرض مستلقية على ظهرها أمام الدبابة، وأعطى الأمر لسائق الدبابة أن يمر فوق جسدها بجنزير الدبابة.

هنا انفجر "نديم" في البكاء، واستدار وأشار إلى البيت البعيد خلفه..

قامت كاميليا وركضت بسرعة وركض نديم خلفها وتوارى سويًا في أحد الشوارع الضيقة..

تحرك مدفع الدبابة المثبت على القرص الدائري فوق الدبابة بزاوية تسعين درجة شمالًا، وسار مواجهًا لبيت "كاميليا" و"نديم" وعلى مسافة ثلاثمائة متر تقريبًا..

انطلقت قذيفة من دانة مدفع الدبابة، أحدثت صوتًا هائلًا اخترق الصمت..

المكان..

استقرت الطلقة في وسط البيت الخشبى، الذي انهار بالكامل واشتعلت به النيران..

شاهدت "كاميليا" ما حدث وهى مختبئة تحت إحدى السيارات، ولا تعلم أين ذهب "نديم" أين يختفى؟!!

لم تتحمل الصغيرة "كاميليا" ما شاهدته من هدم بيتها وبداخله أهلها..

استرخت عيناها وهى تخرج من تحت السيارة لتستلقى على الأرض في إغماءة وآخر ما وصل إلى مسامعها هى ضحكة شيطانية مدوية من "خنزير"، "يوسي كاتسير".

ظلت ممددة على الأرض، ودموعها تهطل على وجنتيها، وشفتاها تنطق بالنداء على أمها.. أبيها.. وخالها.

لم تدر كم مر عليها من الوقت، بعد سماعها صوت ضحكة الشيطان "خنزير"، هى شجت رأسه، لكنه هدم بيتها وقتل أبويها وخالها، ظلت تهزي وهى ملقاة في عربة قديمة بجوار ضابط بالجيش المصري، الذي وجدها ما زالت على قيد الحياة، وهى ملقاة على الأرض، أخذها معه أثناء عودته إلى القاهرة.

هى الآن في طريقها إلى القاهرة، وما زالت في حالة إغماء، أين "نديم"؟ لقد ظل مختبئًا داخل إحدى البنايات المهدمة، وهو يبكي إلى أن وجده بعض الرجال الذين كانوا في حالة فرار من الطلقات العشوائية التي يطلقها المحتل في كل مكان، توقفوا أمام بكائه، أمسك به أحدهم وحملهُ بين ذراعيه، واستمر فى الركض إلى أن استقلوا سيارة قادتهم إلى خارج المدينة.

وبعد ساعات عدة، وجد "نديم" نفسه مع هذا الرجل، ممسكًا يده ويدخل به إلى بيت ريفى بسيط في قرية تابعة لمركز الحسينية بمحافظة الشرقية.

التف حوله ثلاث بنات وولد من خلفهم سيدة ريفية مكفهرة الوجه، لم تتوقف عن سكب سيل من الأسئلة فوق رأس الرجل الذي هو زوجها، وكل هذة الأسئلة حول "نديم"، من هذا؟!! أين وجدته؟!! وماذا يفعل هنا؟!! وماذا تنوى فعله؟!! هل سيعيش هنا معنا؟!! هو أحنا لاقيين نأكل؟!! لا لا اذهب به إلى العمدة أو سرايا الباشا، ممكن يتكفل به.

ظل "نديم" يتلفت حوله، ثم جلس على الأرض، وأغمض عيناه من فرط التعب.

رغم أن العدوان الثلاثي فشل في إحداث أي ضرر على الدولة المصرية أو إثناء القيادة المصرية عن قرار تأميم قناة السويس أو كسر هيبة الدولة.

لكنه أحدث بالغ الأذى والضرر لدى الكثير من الأفراد في أرواحهم وممتلكاتهم..

عرفت "كاميليا"، وعرف "نديم" معنى اليتيم، مات الأب "أبو زيد" وماتت الأم المخلصة البريئة "زينب"، كما فارق الحياة الخال المناضل الوطني "حامد"، وتهدم البيت، ووضعت فوق أطلاله ذكريات سنوات الطفولة الأولى.

ومخالب الشيطان "خنزير" أو "يوسى كاتسير" ما زالت آثارها باقيه، كما أن ضحكته الخبيثة الشيطانية لا زالت تنشر سمومها في أذني "كاميليا"، التي ظلت تعاني من الكوابيس لسنوات عدة، استطاع "حجازي" وما تبقى معه من الرفاق والرجال من إحداث بعض الخسائر في صفوف العدو الصهيوني، فدمروا بعض قطعه الحربية، وقتلوا عددًا من رجاله.

إنهم رجال يعرفوا معنى الكرامة ليس منهم لقمة سائغة في فم العدو النجس، لم يستمر العدو إلا أسابيع قليلة حتى غادروا بعدها الأراضي المصرية.

استقر جيشهم بسيناء حتى مارس ١٩٥٧، ثم عاد خائب الرجا يجر خيبته خلفه إلى الأراضي المحتلة، التي سرقها واغتصبها في عام ١٩٤٨، بعد معاونة الشيطان الأكبر في لندن.

استمر العمل والبناء في الدولة المصرية كما استمر بناء السد العالي رغم كل المحاولات والعراقيل التي وضعها البنك الدولى ومن ورائه أمريكا لإثناء مصر عن بناء السد، لكن الله كان دائمًا فوق كيد المعتدى.

وفي تلك الأثناء، وبعد تكوين أول الأجهزة للمخابرات المصرية، بقيادة نخبة من الضباط الأحرار..

كانت المعركة المخابراتية تدور بشدة بين رجال المخابرات المصرية وثعابين وخفافيش الظلام الصهيونية، التي كانت تحاول تخريب الدولة المصرية والعبث باقتصادها، ومن ناحية أخرى كانت تقوم على تكوين لوبي صهيونى عبر الجالية اليهودية في مصر.

في هذه الأثناء، بدأ انضمام الملازم أول/ صبري عبدالهادى، والملازم أول/ بهاء إسماعيل من صفوف القوات المسلحة إلى جهاز المخابرات العامة المصرى.

دارت الدراسات والفرق والدورات التعليمية بينهما وبين القادة أصحاب الخبرات ممن سبقوهم إلى عالم الغموض والجاسوسية، وكان جواسيس الأعداء منتشرين في الأراضى المصرية، يسقط منهم البعض، ويفلت البعض الآخر بالاختباء أو الهرب خارج الحدود المصرية.

واستطاع "صبري عبدالهادى"، وزميله "بهاء إسماعيل" إجهاض بعض التحركات الخفية لجواسيس اندسوا وسط الأحياء الشعبية؛ لنقل الرسائل عن أحوال الاقتصاد المصرى وتحركات الجيش إلى جهة

مجهولة، التي اتضح فيما بعد وبعد تتبع ترددات الموجات التي يتم عن طريقها إرسال الرسائل..

إنه الموساد الإسرائيلى، جهاز المخابرات الإسرائيلي، هو من كان على الطرف الآخر لتلقى تلك الرسائل.

ورغم هذا النجاح إلا أن الأمور كانت تزداد غموضًا وتعقيدًا..

وقد قدم كل أجهزة المخابرات في العالم مخترعاتهم لمحاولة معرفة كل معلومة وأية معلومة عن القيادة والجيش والأحوال المصرية.

فصار رجال المخابرات المصرية يواجهون الأساليب المختلفة فى عالم التجسس والحصول على المعلومة، كذلك الأجهزة الحديثة والدقيقة في تسجيل وتصوير وإرسال المعلومات بجانب متابعة الأفراد الحاملون لبطاقات هوية مختلفة وجوازات سفر من مختلف البلاد.

أمر صعب للغاية، ورغم ذلك حقق رجال الظل الكثير من النجاحات رغم ضعف وقلة الإمكانات..

استطاع الطفل "نديم" الاندماج فى الأسرة الجديدة التي لم يختر أن يعيش في كنفها، لكن القدر فرض كلمته، وفي ليلة وضحاها صار "نديم" طفلًا يتيمًا.

حاول أن يفهم ما حدث، وأين هو الآن؟ يقضى يومه فى الجلوس وسط الأسرة الجديدة، الأطفال يلعبون وهو جالس على جنب لا يريد أن يشاركهم اللعب.

تملك الحزن منه وكأنه ابن الثمانين عامًا، وليس ثمانية أعوام، ومن اليوم الأول شعر بالرفض من زوجة صاحب البيت، العامل في مصنع لتعبئة الفاكهة.

ولكن من حين إلى آخر، ينضم إلى فرق المقاومة الشعبية، إذ أنه استُدعى للجهادية "التجنيد"، ما زال في الجهادية منذ أكثر من عام، ويتم إرساله للتدريب مع فرق المقاومة الشعبية في منطقة القناة، لذا صحب "عطوة" نديم الصغير، خوفًا عليه من القتل، معه إلى بيته بعد أن فهم أن بيته قد تهدم وأسرته بالداخل.

أنا عاوز أختى "كاميليا" هكذا كان يصيح "نديم" من وقت لآخر، مما جعل "اعتماد"، زوجة "عطوة"، تضيق به ذرعًا ولم تعد تحتمله، خصوصًا أنها لديها ثلاث بنات وولدًا صغيرًا لا يتعدى الخمسة أعوام، دارت مشاجرة بين "اعتماد" و"عطوة" ووصل بعض من تلك المشاجرة إلى مسامع الأولاد الصغار و"نديم" وسطهم، الخوف يتملك منه، فلم يأكل منذ يومين ولم يتحمم أو يبدل ملابسه، فليس لديه أي ملابس.

اعتماد: "أحنا ناقصين يا "عطوه"! حرام عليك يا راجل تجيب لنا بطن أخرى، من يدري من هذا الولد؟ ملامحه لا تبدو مصرية، لا بد أنه أجنبي، لكن لغته تدل على أنه من أسرة مصرية، لا بد أن تعود به".

عطوة: "خفي على الولد يا "اعتماد"، حرام عليكى، ده بيتهم اتهدم ومات كل من فيه، أعتقد أبواه وبعض الأقارب ربما، خليه عندنا، ورزقنا ورزقه على الله".

اعتماد: "أي رزق تتحدث عنه فنحن نعيش بالكاد، ولولا أن البنات الثلاث يعملن في مصنع تعبئة الفواكه بتاع الباشا لما استطعنا أن نعيش ونأكل، ده حتى الولد الصغير اللي عنده خمس سنين يعمل في تركيب الأقفاص، ويجمع أعواد الجريد التي تجرح يداه كل يوم".

عطوة: "لازم تأكليه أى حاجة يا "اعتماد"، الولد لم يأكل منذ يومين حتى الآن، وأعطيه بعضًا من ملابس البنات التي تصلح له، كي يتحمم ويبدل ملابسه".

اعتماد: "كمان هنديله هدوم بناتنا، هم أصلًا عندهم أي هدوم يا حسرة".

خرقت كلمات "اعتماد" أُذن "نديم"، الذى ازداد خوفه، لكن كلمات "عطوة" بعثت بعض الطمأنينة في قلبه.

استسلم للنوم في مكانه من التعب..

فى الصباح استعدت البنات للخروج للعمل في مصنع الفواكه ومعهم أخاهم الصغير..

وقف نديم خارج البيت يشاهدهم، لكن ما شد انتباهه هو عدد لا بأس به من الصبية والفتيات يرتدين مرايل المدرسة الصفراء، ويمسكون حقائب.

ويسيرون في خط واحد كأنهم في طابور..

سأل "نديم": "إلى أين يذهب هؤلاء الأولاد؟!!"، أجابت إحدى الفتيات قبل أن تغادر: "إنهم ذاهبون إلى المدرسة، المدرسة الوحيدة بجوارنا، مدرسة" بحر البقر" ".

توجه "نديم" إلى "اعتماد" وطلب منها الذهاب إلى المدرسة، فإنه من المفترض أن يدرس في الصف الرابع الابتدائى.

أطلقت "اعتماد" ضحكة شريرة رجت ضلوع "نديم" في صدرهُ "كمان عايز تتعلم، يعنى أكل ولبس وتعليم، ما شاء الله..

أنت من بكرة سوف تذهب إلى مصنع الفواكه بتاع الباشا، علشان تساعد فى مصروف البيت".

ثم أمسكت به بقوة من ذراعه وكأنها قابضة على لص شديد الخطورة وساقته أمامها إلى حيث يتحمم، وألبسته فستانًا من فساتين بناتها القديمة البالية.

لم يتمالك "نديم" نفسه عندما شاهد جسده النحيل داخل فستان بتاع بنات..

وانخرط في البكاء، ثم تسلل من وراء اعتماد وأخذ ملابسه القديمة..

التى وضعتها اعتماد مع الملابس المتسخة التي ستغسلها بعد قليل..

وضع الفستان مع الملابس المتسخة، وأعاد ارتداء ملابسه التى كان بها منذ قدومه من بورفؤاد، نعم إن رائحتها كريهة لكن رجولته وكرامته التي يعتز بها، تجعل ملابسه الرثة مفضلة ومحببة لديه على أي ملابس من ملابس البنات.

كانت "اعتماد" تعمل بجد في ضرب العجينة وقرصها وقلبها على كل جانب..

وبعدها أشعلت نيران الفرن ببعض قطع فروع الأشجار الجافة.. وبدأت في خبز بعض قطع الخبز.. وصلت رائحة الخبز الطازج الشهى إلى أنف "نديم".

سار وراء أنفه وحاسة الشم القوية إلى أن وصل إلى حيث تجلس "اعتماد" أمام فتحة الفرن الصغيرة، وهى تُخرج أرغفة مخبوزة وتضع مكانها عجينة مستديرة.

مد "نديم" يده إلى أحد الأرغفة الطازجة الساخنة، وإذا بيد "اعتماد" تهبط على يده الصغيرة لتضربه بعنف مع صياحها فى وجههُ: "أنت مجنون، عايز تأكل العيش قبل أولادى، انتظر حين يعودون من المصنع..

أنت جابوك منين!! منك لله يا عطوة".

وقبل أن تُكمل كلامها كان "نديم" قد اختفى من أمامها وجلس خلف النافذة ذات القضبان الحديدية يراقب عودة الأولاد من المدرسة وهم يسيرون في خط واحد كما فعلوا في الصباح.

سار "نديم" في صباح اليوم التالى خلف البنات وأخوهم الصغير..

أدخلوه إلى الريس "مندور"، ملاحظ الأنفار، والكل في الكل، كما يطلق دائمًا على نفسه.

نظر إلى "نديم" بعمق، ثم أطال النظر، وسأله: "أنت بتتكلم عربى؟!".

أجابه نديم في تردد: "نعم".

"مندور": "أومال شكلك عامل كده ليه زي الأجانب ولاد الخواجات؟!!".

"نديم": "لا أدرى".

"مندور": "بتعرف الأرقام؟!! يعني تعد واحد.. اثنين.. ثلاثة.. وهكـذا".

"نديم": "نعم، أنا كنت شاطر جدًا في الحساب ودايمًا أجيب الدرجه النهائية".

"مندور": "حساب إيه؟!! هو أنت بتروح المدرسة؟!! أومال أنت هنا في الصباح بتعمل ايه؟!! ليه سايب مدرستك؟!!".

"نديم": "أنا كنت بروح المدرسة، لكن شكلى كده مش هشوفها تاني أبدًا".

ثم أطلق تنهيدة عميقة، خلعت معها قلب "مندور"..

"مندور": "ولا يهمك يا بني، شكلنا كده هنتكلم كتير، لكن لا وقت الآن، ثم طلب منه أن يقرأ بعض الأوراق أمامه كى يختبر قدرته على القراءة".

قرأ "نديم" بإجادة، مما أسعد "الريس مندور"..

فلم يوكل إليه بأقل الأعمال وأحقرها كما يفعل مع كل صبي أو فتاة وافدة جديدة، بل أوكل إليه مهمة القيام بعد الأقفاص الممتلئة بالفاكهة، وتدوين العدد بالكشف مع تحديد كل صنف في صفحة خاصة، وحدد له راتبًا يزيد عن البنات والأخ الصغير، عمل "نديم" بإجاده تامة فقط كانت مهمته سهلة لمن يجيد القراءة والكتابة.

وفي نهايه اليوم، انتفض الريس "مندور" واقفًا رافعًا يده بالتحية، وجسده يرتعش من الفرحة وصاح في الجميع، جميع العاملين "الست هانم"، ثم دخلت سيدة أنيقة منمقة، تبدو عليها آثار العظمة.

ثم بادرت بسؤال "الرئيس مندور": "إيه الأخبار؟! الشغل عامل إيه؟!".

أعطى الرئيس مندور تقريرًا شفويًا ومفصلًا، وذكر لها الوافد الجديد "نديم"، التفتت "الهانم" إلى "نديم" واستدعته لتسأله: "هل أنت مصري؟!".

أومأ "نديم" برأسه وعلامات الدهشه على وجه "الهانم"، ثم استدارت عائدة من حيث أتت.

أخذ "نديم" طريقه خلف البنات والأخ الصغير في العودة..

وهو ما بين الفرح بعمله الجديد وحزنه على حرمانه من الذهاب إلى المدرسة.

حُرمت نعمة الإنجاب، وظلت لسنوات تسمع وتشاهد أنباء وأخبار كل سيدة من أسرتها أو أصدقائها تُرزق بمولود جديد، فما عليها إلا تقديم الهدايا مع بضع كلمات تُبارك بها الأم مولودها الجديد مع ابتسامة منغمسة بالحزن والألم الذي يعتصر قلبها كل ليل ونهار.

جابت عيادات الأطباء، ووصل بها الأمر إلى استعمال الوصفات الشعبية..

لكن كلمة الله نافذة، لم تحمل أحشاؤها بطفل من زوجها ضابط الجيش "فكري الصباغ"، الذي دخل عليها بعد غياب لأيام طوال للدفاع عن الوطن ضد المعتدى الإسرائيلي على الأرض ومن فوقها طائرات إنجليزية وفرنسية وأيضًا إسرائيلية.

لكن الله خذل الأعداء وكان النصر حليف لمصر، وخرجوا من البلاد يجرون أذيال الخيبة.

دخل عليها وفي يده فتاة سمراء جميلة بشعر طويل يملؤه التراب..

وملابس متسخة وهى في حالة إعياء شديد من أثر البكاء طوال الطريق من بور توفيق إلى القاهرة.

صورة ما حدث من شجها لرأس الثعبان الحقير "يوسى كاتسير" أو "خنزير" لا تفارق عيناها، لينتقم من طفلة صغيرة بقتل أباها وأمها وخالها وهدم منزلها أمام عيناها ولولا هربها والركض بعيدًا لدهسها تحت جنزير دبابته اللعينة.

وما زالت آثار الدموع على وجنتيها ظاهرة للعيان..

شرح "فكري" لزوجته "إسعاد" ما حدث..

انشرح قلبها وهي تسمع حكايه الطفلة الصغيرة رغم اعتصار قلبها بالألم لما حدث لها إلا أنها شعرت أنها ربما تكون مكافأة من الله على صبرها وحرمانها من الإنجاب.

اهتمت بـ "كاميليا" كثيرًا، وقدمت لها الطعام وحممتها بالماء الساخن، وألبستها بعضًا من الملابس التي كانت كبيرة عليها للغاية، مما جعلها تنخرط في ضحك متواصل وهى تراها في ملابسها الواسعة.

وضعتها في السرير إلى جوارها، وآخر ما سمعته من "كاميليا" قبل أن تسقط جفناها إيذانًا بالبدء في نوم عميق.

"أبي.. أمي.. خالي..."، أين أخي "نديم"؟ هل تاه؟ ضاع أخي!!".

استعد "فكري الصباغ" في اليوم التالي في اجتماع بالقيادة العامة للقوات المسلحة مع حضور لبعض عناصر من المخابرات العامة والحربية للاجتماع.

وبعد تقديم "فكري الصباغ" لتقريره عن حرب ٥٦ وحصر الخسائر، دار نقاش مطول بين الرجال، وكان واضحًا جليًا أنه لا بد من إعادة هيكلة الجيش المصري وتنظيمه وإعادة تسليح وتدريب القوات، وأيضًا لا بد من امتلاك منظومة للدفاع الجوي لصد الأعداء بطيرانهم عن العبث بالسماء المصرية وحماية تراب الوطن الغالي.

فتحت حركات تنقلات واسعة بين الضباط، وتم اختيار الأكثر خبرة وكفاءة منهم لقيادة بعض المناطق، فتم وضع "فكري الصباغ" في أولوية الضباط الموكل إليهم إنشاء القيادة الشمالية للقوات المسلحة، فتقرر نقلهم الى الإسكندرية للإعداد وإنشاء قاعدة عسكرية تحمى شمال البلاد.

غمرت "إسعاد" "كاميليا" بكم وفير من الحب والرعاية، مما خفف من آلام وجروح الصغيرة، لم يكن سهلًا عليها ما مرت به فى أيام قلائل، وفقدانها لأسرتها وأخيها.

التحقت "كاميليا" بالمدرسة لفترة قليلة قبل انتقالهم جميعًا للعيش في الإسكندرية وتحديدًا في حى العطارين، وهو حى عريق ذا تاريخ وباع في انتشار المتاجر ذات الطابع الفنى والذوق الرفيع من متاجر أثاث وأقمشة ولوحات فنية تعبر عن الذوق الرفيع التي عرفت به مصر في تلك الفترة.

وحي العطارين به خليط من جنسيات مختلفة تقطن به وتتعايش في سلام وحب، إذ كانت الإسكندرية وعرفت بأنها مدينة "كوزوموبوليتانية" أي جاذبة لكل الجنسيات مع اختلاف أديانهم، وكان فيها جاليات من اليونان وإيطاليا، ومالطا، وأرمينيا، وغيرهم كثر مع اختلاف الأديان، فانتشرت فيها الكنائس والمعابد اليهودية.

وكانت تضم أيضًا جالية يهودية ضخمة يسكن أغلبها في تجمع سكاني عُرف باسم حي اليهود، وقد سهم وجود الأجانب في ازدهار الاقتصاد المصري.

انتقلت أسرة "فكري الصباغ" وزوجته "إسعاد" والشغالة "سنية" وبالطبع معهم "كاميليا" إلى شقة في حي العطارين في بناية صغيرة، وكان الجيران في غاية اللطف، إذ استقبلوهم بترحاب شديد.

خصوصًا جارهم الجريجي "اليوناني"، "أنطون" أو "طوني"، كما كان يناديه البعض وهو يملك محل بقالة، وزوجته "نارفارا"، التى تعمل خياطة،

وابنتهما "لاريسا"، التي كانت في مثل عُمر "كاميليا" تقريبًا، وأسرة أخرى يهودية، لكنهم يبعدون عنهم بأمتار عدة، وفي الأيام الأولى استطاعت كاميليا التعرف على بعض الفتيات والأولاد في الحي أثناء اللعب سويًا، وفي إحدى المرات كانت "كاميليا" تشكل فريقًا مع "لاريسا" الجريجية ضد فتاة مصرية وأخرى يهودية.

وفاز فريق "كاميليا ولاريسا" في اللعب على فريق الفتاة المصرية والفتاة اليهودية، وإذا بالفتاة اليهودية تغضب بشدة وتتهم كاميليا ولاريسا بالغش في اللعب.

مما آثار غضب "كاميليا" وانفجرت في وجهها بأقصى العبارات ووصفتها أنها هى وكل جاليتها بالغشاشين والكاذبين والمحتلين، إنها تكره اليهود كافة.

عادت كاميليا إلى بيتها باكية، ودموعها تنهمر بشدة من إثر ما حدث، فهى لم تقبل أن تُتهم بالغش ولم تتخيل أيضًا أن مثل هذا الأمر البسيط يخرج كل ما فيها من غضب وكأنها ضغطت على زر خلفه الخنزير أو يوسي كاتسير.

فتذكرت كل ما حدث منذ زمن قريب فى بورتوفيق، وهدم بيتها أمام عينها ووضعها أمام الدبابة على الأرض، وفقدانا لأخيها، غير موت أبيها وأمها وخالها، وكأنها كانت تنتقم في صورة تلك الفتاة اليهودية.

استقبلتها "إسعاد"بلهفة وقلق، مسحت دموعها واحتضنتها وأخذت تربت على كتفيها.

خرج "فكري الصباغ" من حجرة النوم حيث كان يبدل ملابسه بعد عودته من العمل على صوت نحيب وبكاء "كاميليا"، وبعد أن استمع إليها وقد قصت ما حدث بكل أمانة وكيف أن الفتاة استفزتها وأخرجت كل ما فيها من حقد وغضب على اليهود، أجلسها "فكرى" إلى جانبه وابتسم في وجهها وأخبرها أنها ليست مخطئة، لكن هناك أمرين لا بد أن تتعلمها طيلة حياتها، الأولى أن الإنسان القوي هو من يستطيع التحكم في غضبه وكبح جماح نفسه وأن يعرف متى وأين يخرج غضبه ويطلق له العنان..

أما الأمر الثاني وهو كره اليهود..

فكري: "هذا خطأ كبير وهناك لبس في معلوماتك ومفاهيمك، دعيني أشرح لك، اليهود هم أُناس مسالمين ما لم يأتِ منهم فعل شنيع، اليهودية ديانة مثل الإسلام والمسيحية، فلا ينبغي أن نكره أصحاب أية ديانة نحن كمسلمين مطالبين أن نؤمن بها وبكتابها ونبيها، لكن إذا كرهت دولة إسرائيل المحتلة لأنها سرقت أرض فلسطين واحتلتها، فأنتِ على صواب، لأنني شخصيًا أكره هذه الدولة المحتلة لأراضينا العربية، وإذا كرهت الحركة الصهيونية العالمية، فأنتِ أيضًا على حق".

وهنا أوقفته "كاميليا" بعد أن جفت دموعها تمامًا وهدأت وهى تسمع باهتمام وبادرت بالسؤال: "يعني إيه الحركة الصهيونية العالمية؟".

فكري: "إنها حركة عالمية أو منظمة أسسها رجل يدعى "تيودورهيرتزل"، في ٢٩ أغسطس عام ١٨٩٧، وكلمة صهيونية نسبة إلى جبل "صهيون" الواقع في فلسطين..

ربما في مناسبة أُخرى أشرح لك كل التفاصيل..

لكن ما أطلبه منك هو أن تفرقي بين اليهودي المسالم والصهيوني.. والإسرائيلي المحتل..

الآن.. اخرجي إلى البقال المجاور لنا واشتري بعض الحلوى واذهبي إلى بيت الفتاة اليهودية، هل تعرفين أين تسكن؟!!" -أومأت "كاميليا" بنعم- وقدمي لها الحلوى واعتذري لها، وعودا صاحبتان كما كنتما، والآن أعطي بابا فكري حضن كبير".

عاد "نديم" إلى سجنه في بيت "عطوه واعتماد"، وظل قابعًا خلف النافذة ذات القضبان الحديدية، وكأنه مسجون ينتظر إعلانه بموعد الإفراج عنه، لم يشعر ودموعه تجري على خديه بعد أن تذكر أخته كاميليا.

وفي الصباح كالعادة، ذهب إلى العمل في مصنع الفواكه بنفس ملابسه التي حضر بها من بور توفيق وقد اتسخت بشكل لافت للنظر وصارت له رائحه غير محببة للنفس.

يسير خلف البنات وأخيهم الصغير وعيناه تراقب الأولاد الذاهبين إلى المدرسة..

بعد أن انتصف النهار، انتفض الجميع وقوفًا وساد الصمت المكان فقد حضرت الهانم، وبعد أن تفقدت سير العمل نظرت إلى "نديم"، وأطالت إليه النظر وظهرت على وجهها مسحة من الحزن وأغرورقت عيناها بالدمع، لكنها تمالكت نفسها وسيطرت على كل قطرة تريد الخروج، حبستها داخل مقلتيها، ثم رفعت رأسها، وتقدمت إلى نديم، وسألته:

لماذا ترتدى نفس الملابس؟!! فهى تحتاج إلى الغسيل، لماذا لا تغسلها؟ أقصد تعطيها إلى "اعتماد"، زوجة "عطوة" لغسلها"، صمت "نديم" لفترة، ثم أجاب بخجل: "أنا لا أملك غيرها".

هنا لم تستطع "الهانم" السيطرة مجددًا على نهر وشلال الدموع فانخرطت في البكاء، واستمرت لدقائق في حالة بكاء، والجميع ينظر إليها في حالة ذهول، فهى دائمًا المرأة القوية التى تدير المكان بدلًا من زوجها الباشا نظرًا لانشغاله الشديد، وهى دائمًا حازمة وصارمة مع الجميع، الآن تبدو ضعيفة في حالة من الانكسار لم يعهدها أحد في المكان من قبل.

وكأنهم يكتشفون جانبًا طالما كان خفيًا مظلمًا، لم يظهر أبدًا للعيان، نهضت من مكانها وهى تخفى وجهها بيدها وسارت ببطء من دون أن تنطق بكلمة إلى أن اختفت عن الناظرين، والجميع يهمس ويتساءل: "إيه حكاية "نديم" الوافد الجديد مع الهانم؟ لماذا يستحوذ على اهتمامها بهذا الشكل؟ فهى لم تهتم بأي من أولاد الفلاحين أو بناتهم".

وتقدم الريس "مندور" من "نديم" ليسأله: " أنت كنت تعرف الهانم قبل كده؟!!".

مرت ساعة وعقل "نديم" الصغير لا يتوقف عن التفكير فيما حدث..

شعر بالخوف، هل الهانم غاضبة منه، ربما لا يؤدي عمله بالكفاءة المطلوبة، هل هى غاضبة بسبب رائحته وملابسه المتسخة؟!.. معها كل الحق، فهو يعمل في الفاكهة، ولا بد أن يكون على درجة من نظافة البدن.

ظلت الأسئلة حائرة داخله، مما أصابه بالتوتر، فأخطأ في عد بعض صناديق الفاكهة وقام بعدها مرة أخرى خوفًا أن يُخطئ في العدد قبل أن يدونها في الكشف.

عادت الهانم مرة أخرى، وتكرر المشهد ذاته، صمت الجميع وانتصبوا في حالة وقوف، لكن ما تغير هو وجه الهانم الذي اعتلته الابتسامة وبدا عليها نضارة وإشراقة غطت على مسحة الحزن السابقة.

ثم تقدمت إلى "نديم" ومدت يدها إليه بحقيبة صغيرة وقالت: "هذه لك، الآن تستطيع أن تستحم وتبدل ملابسك كل يوم"، ثم توجهت بحديثها إلى بنات عطوة وأوصتهن أن يقمن بالاهتمام بنديم، وأن يبلغن "اعتماد" أن الهانم توصيها على "نديم".

قضى "يوسى كاتسير" أو "خنزير"، كما كان ينادونه أهل بورسعيد أسوا أيام حياته، إذ تلقى الأوامر بالانسحاب من سيناء، إذ أن القوات الإسرائيلية بعد انتهاء حرب ١٩٥٦، التى استمرت تسعة أيام ثم تمركزت فى سيناء وظلت بها حتى السادس من مارس عام ١٩٥٧، وصدرت الأوامر من القيادة السياسية وعلى رأسها "ديفيد بن جوريون"، رئيس الوزراء الإسرائيلي، بانسحاب جميع القوات من سيناء لتعود إلى الضفة المحتلة.

ثار "يوسى كاتسير" وهاج وظل يصرخ فيمن حوله، أنه يرفض الانسحاب، يرفض الأوامر، وقيل له أنها صادرة من "بن جوريون" شخصيًا.

لكنه هاج أكثر وأكثر، وظل هكذا في جدال مع قادتهم في المعسكر فى سيناء، إلى أن فقد أعصابه، وهدد بأن يقوم بعمل جنونى إذا لم يتراجع وزير الدفاع ومعه رئيس الوزراء الإسرائيلى عن هذا القرار.

وظل يهذى أنه يكره المصريين وأن سيناء هى أرض الميعاد هى أرض "موشى" أو "موسى"، فقد علم والده الحاخام اليهودى "كاتسير"، أن أرضهم شاسعة فهى من النيل إلى الفرات أي أنها تشمل مصر كاملة وباقى الدول العربية إلى العراق.

وهو يرتضى الآن بأن تكون البداية من سيناء، لكن تطلبون أن ننسحب من أرضنا، نعم هى أرضنا وليست أرض المصريين.

زاد جنونه، سحب بعدها سلاحه الآلي وفتح النار على من حوله، قتل ثلاثة ضباط وجنديان، وأصاب تسعة آخرين، إلى أن استطاع الباقي السيطرة عليه وأوثقوه بالحبال حتى تنفيذ قرار الانسحاب والعودة.

وما أن عادت القوات الإسرائيلية، تم تقديم "يوسي كاتسير" إلى محاكمة عسكرية عاجلة، كانت نتيجتها أن تم تجريده من رتبته العسكرية وحرمانه من أي مستحقات مالية وفصله من الجيش، بالإضافه إلى إيداعه بالسجن الحربي لمدة ثلاثة أعوام، ثار وهاج أثناء اقتياده إلى محبسه، واستخدم كل الحركات والألفاظ للإعلان عن استيائه وغضبه من غباء القادة والظلم الواقع عليه، ثم ختم هذا المشهد البشع بجملة: "مفيش حد فاهمني"، على الجانب الآخر كان هناك من يتابع وقائع قضية قتل "يوسي كاتسير" لثلاثة من زملائه وإصابة تسعة، كما كان يتابعاها عن كثب أيضًا،

ضابط المخابرات الإسرائيلي، "شاؤول بن عامي"، وزميله الضابط "حاييم جدعون".

اللذان يعملان في "الموساد" جهاز المخابرات الإسرائيلي منذ أعوام عدة.

وكانا موكلان بمتابعة نشاط المصريين في أوروبا، وتحديدًا في اليونان، وقد كان رجال الموساد في هذه الفترة يعانون من نقص شديد في المعلومات عن مصر.. القيادة.. الجيش.. الوضع الداخلي.. الاقتصاد بشكل عام.

وكان أكثر ما يقلق الساسة والقادة في إسرائيل، وعلى رأسهم "بن جوريون"، رئيس الوزراء، وأيضًا كان يشغل منصب وزير الدفاع منذ عام ١٩٥٥..

هو الإجابة على سؤال واحد "هل يستطيع العرب، وعلى رأسهم مصر، الهجوم على إسرائيل وطردهم من فلسطين وإغراقهم في البحر كما كان يدعي بعض القادة؟".

ما هى الإمكانات والاستعدادت ومستوى تسليح الجيش المصري على الأفرع كافة، خصوصًا قوات الطيران والدفاع الجوي والبحرية، نشط رجال الموساد بكثافة في تجنيد الكثير من الجواسيس داخل مصر وخارجها، ولكن في الوقت ذاته كان الجهاد فى المخابرات المصري لهم بالمرصاد إذا استطاع الإيقاع بعدد لا بأس به من الشبكات التجسسية داخل مصر وأيضًا خارجها.

فكانت الحرب مشتعلة بين الجانبين..

وكان رجال الموساد بحاجة إلى عملاء جدد يتسمون بالوطنية والولاء لدولة الكيان الصهيوني (إسرائيل) مع الخبرات العسكرية المناسبة بالإضافة إلى المظهر اللائق واللباقة والتحدث بلغات عدة إن أمكن.

كشف "شاؤول بن عامى" و"حاييم جدعون" اجتماعاتهم وعرض أمامهم الكثير من الأسماء، لكن تقدم "حاييم" برأى فاجئ به "شاؤول"، إذ أخرج ملفًا وضعه أمام "شاؤول" مكتوب عليه قضية "يوسى كاتسير".

كان "حاييم" يرى أن "يوسى كاتسير" هو الشخص المناسب لزرعه داخل اليونان لمحاولة تجنيد الشباب المصرى المهاجر والهارب من بلده نتيجة يأسه وبؤسه وعدم قدرته على إيجاد وظيفه للعمل مما يزيد معها حقده وكرهه للنظام، والمقصود به "عبدالناصر" وأيضًا على البلد ذاتها.

نظر إليه "شاؤول" واستغرق دقائق في التفكير قبل أن يُعقب شاؤول: " أنت أكيد تمزح يا حاييم، "يوسى" هذا شاب مجنون ومتهور، وهذا ضد أبسط قواعد المخابرات التي تعلمناها، فسوف يسقط من أول يوم ويكشف كل شيء، إنه عنيف وحاد الطباع وجميع زملائه كانوا يشتكوا منه قبل أن يقتل ويصيب منهم ما استطاع".

حاييم: "أعرف كل هذا، وهذا سبب ترشيحى له، ولدى الأسباب..

أولًا: هو وطنى للغاية ويكره المصريين.

ثانيًا: له خبرات عسكرية عريضة وهذا بشهادة قواده.

ثالثًا: وهذا هو الأهم، أنه ليس له نقطة ضعف، فهو لا يهتم بالنساء وليس مقامرًا أو سكيرًا ولا يعرف في حياته إلا الجندية والعسكرية وكفى.

حتى أبوه الحاخام الذى كان متعلقًا به فقد مات العام الماضى، لذا أراه مناسبًا للغاية، يبقى فقد شيء واحد".

شاؤول: "وما هو؟!!".

حاييم:"شراسته ورد فعله المتهور والعنيف، وأنا أرى أنه بالتدريب والصبر عليه من الممكن ترويضه والسيطرة على غضبه وشراسته".

شاؤول: "وهل تعتقد أن هذا الصنف من الناس يقبل الترويض أو حتى تعديل في السلوك؟!! إذا قرأت في ملف خدمتة فستجد أن أكثر شكوى القادة منه هو عصيانه للأوامر، وأنه كما يقول المصريين "ماشى بدماغه"..".

ضحك الاثنان، وامتدت الجلسة بينهما لساعات طويلة استعرضا فيها كل الجوانب في شخصية "يوسى كاتسير" أو خنزير..

وبعد جهد، بدا الاقتناع واضحًا على "شاؤول"، واتفقا على عرض هذا الأمر على رئيس جهاز الموساد شخصيًا ليبُت في الأمر، إذ أن الوقت ضيق وهم يسابقون الزمن لزرع عنصرًا جديدًا في اليونان، للتعامل مع الجالية المصرية هناك ومحاولة الإيقاع بعدد من الجواسيس للاستفاده منهم داخل مصر وخارجها في جمع أكبر قدرًا من المعلومات.

انتفض الجميع في مصنع الفاكهة وقوفًا، بعد أن دخل الخفير، وهو ينادي ويصيح بأعلى صوته: "الباشا على وصول، الباشا جاي، كله انتباه"، مرت لحظات ودقائق ثقيلة على الجميع، قد تسمع ضربات قلب أحدهم من سرعتها وشدتها، خصوصًا "نديم" الذي يسمع عن الباشا فقط ولم يره أو يقابله، بل لم ير ويقابل أي باشا في حياته.

وصل صوت الباشا جهوريًا من الخارج إلى مسامع الجميع، وبين كلمة وأخرى يسمعون صوت فرقعة السوط يهوى به على الأرض أو على ظهر أحد الفلاحين المهملين والمقصرين في عملهم.

انخفض وقل شعاع الشمس مع دخول الباشا إذ حجب بجسده الضخم بعضًا من نور النهار..

نظر نديم من الأسفل إلى الأعلى، بوت أسود طويل يصل إلى أعلى الركبة..

وبنطال بني اللون واسع بعض الشيء، ثم جاكيت أسود، وفوق الجاكيت رقبة عريضة محاطة بمنديل مربوط بعناية حول العنق، وفوقهم رأس كبير بوجه شديد البياض مع بعض الحمرة، وشعر رمادي ناعم وعينين زرقاوين، وشارب رمادى.

حالة من الصمت سادت المكان مع تقدم الباشا ومن خلفه الهانم..

حتى وصل إلى منتصف المصنع، وإذا به يهوى بالسوط على الأرض يحدث فرقعة عالية ويصيح: "لما تتوقفون عن العمل، هيا أشتغلوا".

وعادت خلية النحل للعمل مرة أخرى، وأسرع من ذى قبل بكثير، تقدمت الهانم من أُذن الباشا، وبذلت مجهودًا واضحًا كي ترفع من رقبتها وتشرأب إلى أعلى كى تطال أُذن الباشا، وهمست ببضع كلمات.

نظر بعدها الباشا إلى نديم..

أطال النظر ثم مد يده إلى جيب الجاكيت العلوي وأخرج نظارة طبية ارتداها وأطال النظر إلى "نديم"، خلع النظارة، ونظر إلى الهانم ثانيةً، التي قالت: "مش قلت لك يا باشا"، ثم أشارت إلى "نديم": "تعالى هنا".

تلفت "نديم" حوله، ونظر إلى الباشا، وأشار إلى صدره وهو ينطق بلا صوت، تحريك الشفاه فقط: "أنا!؟".. أنا!؟"، تقدم "نديم" في خوف وعينه مثبتة على السوط في يد الباشا اليمنى.

ينتظر أن ترتفع ليسلخ السوط جلد "نديم" النحيل..

وإذا بالباشا، حشمت باشا رستم، ينحنى وينظر إلى "نديم" نظرة عميقة، نظرة حانية، وزادت النظرة حنانًا أكثر، التفت الباشا إلى الهانم: "فعلًا.. عندك حق.. يا ربى.. لا أصدق".

تشجع "نديم" بعد سماعه تلك الكلمات، ورفع رأسهُ إلى أعلى بعد أن أمن غدر السوط، والتقت الأربع عيون الزرقاء.

طالت النظرات تلتها ابتسامات ثم مد "حشمت باشا" يده إلى يد "نديم" وصحبه وسار به إلى الخارج ومن خلفه الهانم والابتسامة لا تفارق وجهها.

وعلى العكس فقد خيم الوجوم على جميع العمال والاستغراب، فهم نادرًا ما يشاهدون حشمت باشا رستم.. ودودًا.. عطوفًا لهذه الدرجة.. وعيناه تتحدث بدلًا من السوط.

وكان أكثر المذعورين هم الريس مندور والبنات الثلاث، وقد شهد "عطوة" بعضًا مما حدث.

طال الصمت بين الجميع وسط تبادل النظرات بعيون مفتوحة على آخرها والكفوف تضرب بعضها بعضًا، بدأ الهمس والتساؤلات وتناثرت علامات الاستفهام في كل مكان فى أرجاء المصنع، فهى المرة الأولى التى يشاهدون بها الباشا بقسوته وجبروته وشدته ونظراته الصارمة، هكذا كالطفل الودود على ركبتيه أمام "نديم".

وقع ارتطام شديد استفاقت على إثره "كاميليا"، وهى ما زالت متابعة في مكانها كرسى القطار الخشبى، وهى ممسكة بشدة وعصبية في حركة لا إرادية على كتابها، ولكن عقلها قد عاد إلى سنوات طويلة مضت.

تذكرت الكثير من المواقف..

دق قلبها بشدة مع صوت الارتطام العالى، حاولت أن تفهم ماذا حدث؟

تلفتت حولها فلم تجد مفتش القطار لتسأل، لكنها سمعت بعض الجمل والعبارات تتناثر هنا وهناك فهمت منها أن هناك عطلًا في خط القطار، ربما سيتسبب في تأخير القطار بعض الوقت، شعرت بالجوع، أخرجت من حقيبتها لفافة بها بعض قطع البسكويت قد صنعتها ماما "إسعاد" خصيصًا لها، فهى تعرف أنها تحب طعم جوز الهند، فصنعت لها تلك الحلوى بجوز الهند.

ماما "إسعاد"، كم هى حنونة، آه.. إنها طيبة للغاية، وتحبها كثيرًا وكأن الله قد حرمها الإنجاب ليدخر لها كل الحب المتراكم منذ سنوات في قلب

"إسعاد"، لينهمر فوق "كاميليا" كالشلال الهادر ليعوضها عما مرت به وهى لا زالت طفلة من أهوال الأيام الأخيرة في بورتوفيق.

الدبابة.. الخنزير.. هدم البيت.. موت الأبوين والخال.. وأخيرًا فقدان الأخ "نديم".

ساد الصمت داخل العربة التي يجرها الخيل، ويجلس فيها الباشا وبجواره الهانم، وفي مقابلهما يجلس "نديم"، الذي حاول الابتسام عندما تلتقي عيناه بعين الباشا أو الهانم، وبداخله عشرات الأسئلة بلا إجابات، والخوف يتملك من أعضائه، لدرجة أن لسانه لا يعينه أو يساعده على النطق بالسؤال المنطقي.. أين أنا ذاهب؟! أين تذهبون بي؟ ماذا حدث؟

يبدو أن الأمر ليس ضدي فى شئ، فالابتسامات والود الذي ألقاه من الباشا عكس ما سمعت عنه تمامًا.. فدائمًا الحديث عنه يأخذ منحي الشدة والغلظة التي تصل إلى الضرب بالسوط أحيانًا، الجميع يهابه ربما لاختلاف ملامحه عنهم جميعًا، فهو أبيض بوجه يميل للاحمرار وعينان زرقاوان.

شكل الخواجات أبعد ما يكون عن الملامح المصرية، يقولون أنه من أصل تركي من ناحية الأب ومن أصل إنجليزي من ناحية الأم.

هذا يفسر لماذا هو مختلف الشكل وملامح الوجه عن بقية المصريين.

وهنا قفزت إلى رأس "نديم" ملاحظة، إنه هو أيضًا بوجه أبيض يميل للاحمرار وعينان زرقاوان وملامح ليست مصرية ودائمًا ما يسمع تعليقات كل من يقابله حول هذا الأمر، ويسألونه هل هو مصري أم ابن خواجة،

وكيف لي أن أكون بملامح غير مصرية، أبي "أبو زيد" وأمي "زينب" يختلفان في الشكل إلى أبعد الحد عن شكلي، وكذلك أختي "كاميليا".

لا بد في المسألة من لغز يحتاج إلى حل كأشياء كثيرة تمر بى كالألغاز تحتاج أيضًا إلى حل، لماذا أنا هنا في العربة مع الباشا والهانم؟

ولماذا تعاملني خالتي اعتماد بفظاظة وقسوة، دائمة الصراخ في وجهي؟ ولماذا أخذت حقيبة الملابس التي أعطتني إياها الهانم واختارت لي قطعة واحدة ووزعت الباقي على بناتها؟

وأين أختي كاميليا؟ وإلى متى سأبقى هنا؟ وماذا لو طردني عم "عطوة" وخالتي "اعتماد" خارج منزلهم، إلى أين أذهب؟! ليس لي أقارب ولا أعرف أحدًا من أسرتي، كُنت أسمع أن أبي أصوله من الصعيد وكذلك أمي وخالي حامد.. "الله يرحمهم جميعًا".

* * *

استغرق الاجتماع الذي ضم "شاؤول بن عامي" و"حايم جدعون" ومدير الموساد الإسرائيلي ساعات عدة، بحثوا فيها جميع جوانب قضية "يوسي كاتسير" أو "خنزير"، وأيضًا الدوافع الكامنة داخله والنابعة من كرهه للمصريين وأيضًا توصيات أبيه الحاخام اليهودي أن أرض مصر وسيناء هى ملك لليهود كما ورد في التلمود.

استعرضوا أيضًا أهدافهم ومدى قدرته على تنفيذ تلك الأهداف..

خرجوا من هذا الاجتماع أن هناك أمرًا واحدًا بالغ الصعوبة، وهو السيطرة على الثور الهائج "يوسى" كما وصفه "حاييم جدعون"، فهو

سريع الانفعال، سريع الغضب، لا ينصاع للأوامر بسهولة بالإضافة إلى استخدامه العنف كحل أول إذا ما واجهته أية مشكلة.

ولكن بعد محاولات من "شاؤول" و"حاييم" لإقناع رئيس الموساد الإسرائيلي أنهما قادران على السيطرة عليه، وسوف يتضح ذلك من خلال البرنامج التدريبى الموضوع له، وعلى ضوء تلك الفترة سيتأكد لديهم إن كان يصلح أم لا!

وافق رئيس الموساد على فترة تدريب بدنية وذهنية وأيضًا على العمل المخابراتى وكشف المراقبة والتجسس وجمع المعلومات وأيضًا إرسال الرسائل المشفرة باستعمال أنواع مختلفة من الشفرة.

وإذا نجح في ذلك، سيتم تدريبه على كيفية انتقاء عملاءه وطرق تجنيد كل عميل حسب حالته وظروفه.

ولكن يتبقى السؤال المهم، ماذا لو رفض "يوسي كاتسير" من البداية فكرة الانضمام لجهاز المخابرات الإسرائيلي "الموساد" وطلب إعادته لصفوف الجيش؟!!

دخلت "الكارته" -العربة التي يجرها حصان- وعلى متنها الباشا والهانم و"نديم" عبر حديقة قصر الباشا أو "السرايا" كما كان يطلق عليها أهل البلد.

حديقة بديعة للغاية، منظمة ومنسقة بعناية محاطة بأشجار النخيل والصفصاف والزهور فى كل مكان فى أحواض منفصلة مقسمة حسب الألوان، وفى ركن من الحديقة توجد برجولا خشبية وحولها مرجيحة

حديدية مكسوة بالقماش البرتقالى اللون، وفى وسط الحديقة وأمام مدخل القصر توجد نافورة من الرخام الأبيض محاطة بأربعة تماثيل تأخذ الشكل الإغريقى، صعد "نديم" الدرج الرخامى الأبيض خلف الباشا والهانم، وقد هرع بعض من الخدم لتحية الباشا والهانم، وهم ينظرون خلسة لمن يسير خلفهما.

وبعد اجتياز باب القصر تسمر "نديم" في مكانه وهو يتلفت حوله وينظر في كل اتجاه، السقف عالٍ للغاية ويتدلى فى وسطه نجفة كريستالية ضخمة، اللوحات الفنية في كل مكان سواء لمناظر طبيعية بديعة أو لأشخاص بالملابس الباشاوية الرسمية، وبعضهم يرتدى وشاحًا أخضر اللون بعرض الجسد وبعض النياشين والأوسمة.

الزهور الطبيعية موزعة في كل مكان، كل شيء فخم جدًا، مُبهر جدًا..

المرة الأولى التى يرى فيها "نديم" قصر لأحد النبلاء أو الأغنياء، كما كان منذ ساعة للمرة الأولى يرى فيها باشا والهانم حرم الباشا، والمرة الأولى التى يعتلي "كارته" عربة باشاوية يجرها حصان.

أحداث سريعة ومتلاحقة تمر به وكلها تجارب يخوضها للمرة الأولى، فُتح أحد الأبواب الجانبية، وخرجت منه إلى بهو القصر سيدة أنيقة، وهى تدفع أمامها كرسي ذو عجلات، تجلس فوقه فتاة في نفس عمره تقريبًا.

يهرع إليها الباشا ومن خلفه الهانم يقبلها الباشا كثيرًا ويداعبها ولاحظ "نديم" بوادر دموع أغرورقت بهما عين الباشا الزرقاوين، التي مال بياضها إلى اللون الأحمر.

لا يمكن أن يكون هو نفس الباشا الذي يحكي ويتحاكى عنه أهل البلدة وعمال المصنع..

هكذا يتمتم "نديم" في سره، إنه عطوف، ودود، وطيب للغاية، مرهف المشاعر، بالإضافة أن "دمعته قريبة" كما يقولون..

ثبتت الفتاه القعيدة فوق الكرسي ذو العجلات بصرها على "نديم"..

لاحظت ذلك الهانم، تقدمت إلى "نديم" وقربته منها، وإذا بالفتاة تصرخ وتهلل، تضحك تارة وتبكي تارة أخرى..

والباشا يقف على مقربة.. يتابع ما يحدث..

لا يعرف "نديم" كيف يتصرف.. لماذا تبكى؟! هل بسبب منظره وهيئتة المتواضعة؟ هل لا زالت له رائحة غير محببة؟ أو ربما لأنه غريب وهى لا تعتاد أو تألف الغرباء؟!

وإذا بالهانم تقول للفتاة: "لا يا "إيفا"، ليس هو".

حاولت الفتاة "إيفا" الحديث وبصعوبة قالت: "نبيل".

تقدم إليها الباشا وجثم على ركبتيه قائلًا: "لا يا "إيفا" إنه يشبه "نبيل" أخوكي، إنه فتى يعمل لدينا في مصنع الفواكه".

ازداد ضيق الفتاة وزاد بكاؤها وهى تنظر إلى أعلى وكأنها تتذكر شيئًا من الماضى..

أشارت الهانم إلى السيدة التى تقف خلف الكرسى ذو العجلات أن تعود بـ "إيفا" إلى داخل الحجرة..

وبعد دقائق سمعوا جميعهم أصوات عالية وأشياء تنكسر من داخل الحجرة، هرع الباشا إلى هناك، وإذا بلعبة أعطتها السيدة لـ "إيفا" ملقاة على الأرض مكسورة.

شعر "نديم"بخوف شديد من "نبيل" هذا، ولماذا تصرخ الفتاة هكذا؟!!

أدار جسده وتوجه إلى باب القصر مغادرًا..

وإذا بصوت من خلفه بنبرة حادة: "استنى هنا".

توقف "نديم"، إنه الخادم يسأله إن كان يريد شيئًا فعليه أن يستأذن الباشا، وماذا يريد أن يشرب؟!

إن كان سيقدم له مشروبًا، فلماذا أوقفه بحدة وأمره أن يستأذن الباشا، الأمور هنا تبدو غريبة وغير منطقية، الألغاز تزداد والإجابات غائبة.

طلبت الهانم من نديم الدخول إلى الحجرة حيث "إيفا" وتركتهما في حضور السيدة التي عرفت نفسها أنها دادة "علية"، وبعد مرور بعض الوقت ساد الهدوء المكان، وعادت الهانم للحجرة لتجد "نديم" يلعب ويشارك "إيفا" بعض ألعابها، وهى سعيدة للغاية وكأنها تراها على هذة الحالة من السعادة للمرة الأولى.

ثم طلبت "إيفا" أن تخرج للتنزه مع "نديم" في الحديقة..

دفعت دادة "علية" الكرسى ومعهما "نديم" إلى الحديقة..

كانت "إيفا" سعيدة بالزهور وبعض الفراشات المتناثرة على مقربة منها، تقدم "نديم " وقطف زهرة حمراء وقدمها إلى "إيفا"..

وأثناء التجول، قصت الدادة "علية" حكاية "إيفا" و"نبيل"، وقد أزال ما سمعه الكثير من الغموض..

علية: ""نبيل" هو شقيق "إيفا" الأصغر، ومنذ عامين ألح في الطلب من أبيه الباشا الذهاب إلى المصيف، إذ كان الجو هنا في العزبة حارًا للغاية في شهر أغسطس"..

وكان الباشا مشغولًا للغاية في بعض الأمور السياسية والاجتماعات مع الحزب الذي ينتمي إليه، ويقال أنه ربما يوكل إليه حقيبة وزارية..

اقترحت الهانم أن يسمح لهم بالسفر مع الخدم ومعي أنا "علية"، لكن الباشا كان يخاف أن يسبح "نبيل" وحده في البحر من دون رعايته الشخصية، إذ كان الباشا يجيد السباحة وحصل على بطولات عدة في السباحة في فترة شبابه..

والمعروف عن العجمي، حيث تقع الفيلا الخاصة بهم، وهى مصيف العائلة، أن بحر العجمي صعب السباحة فيه وأحيانًا تكون هناك دوامات..

واقترحت الهانم أيضًا أنهم يمكن أن يصطحبوا "مجاهد" ابن ناظر العزبة، فهو حصل على بطولات عدة في السباحة، إذ كان مجندًا في القوات البحرية بالإسكندرية..

وافق الباشا على مضض بعد أن أوصى "مجاهد" بالاهتمام بـ "نبيل" وقت السباحة، وأنه لا بد أن يعلمه أساسيات السباحة في البحر المالح وأن عيناه لا بد أن لا تغيب عنه لحظة واحدة..

ثم أعطاه مبلغًا كبيرًا من المال نظير عمله..

وقبل السفر إلى العجمي، كان الباشا قد توجه إلى القاهرة لمباشرة أعماله، ظهر "مجاهد" ليستأذن الهانم إذا كان بوسعه أن يصطحب معه خطيبته إلى العجمي، فإنها لم يسبق لها أن ذهبت إلى مكان خارج البلدة..

وافقت الهانم ورحبت بهما..

وبعد مرور أيام عدة..

كان "نبيل" يعوم ويسبح في البحر أمام الفيلا، والهانم تجلس في الشرفه تستمع للمذياع..

تركه "مجاهد" وحده ووقف على الرمال على الشاطئ مع خطيبتة ثم أمسك يدها وسارا سويًا يتمشيان على الشاطئ، مرت فترة من الوقت، وإذا بالجميع يسمع صراخًا..

أن هناك من يغرق داخل البحر..

نظر الجميع، قفز مجاهد إلى المياه، نظر حوله يبحث عن "نبيل" لم يجده، سبح بأقصى ما يمكنه من طاقة إلى أن وصل إلى من كان يكافح الغرق، إنه نبيل، لكن الوقت كان قد فات، مات نبيل غرقًا، وخرج مجاهد حاملًا نبيل بين ذراعيه من الماء ووضعه على الأرض، فعل كل ما تعلم من إسعافات أوليه لإنقاذه لكن الروح كانت أسرع من مجاهد ومحاولاته وخرجت عائدة إلى ربها آمنة راضية مرضية".

هنا توقفت دادة "علية" عن الكلام، و"نديم" ينظر إليها في شغف، "وماذا بعد؟؟!".

ولكن نظراته إليها لم تكن كافية لينتزع منها باقي الأحداث، سألها بشكل مباشر: "ماذا حدث بعد ذلك؟ ماذا فعل الباشا؟ وماذا كان رد فعل الهانم؟ ولماذا هى هكذا؟!!"، وأشار إلى "إيفا" القابعة فوق الكرسي المتحرك.

تنهدت دادة "علية" وأخرجت أنفاسًا ثقيلة طالما كانت جاثمة فوق صدرها، ثم أخرجت المزيد من الزفرات..

"علية": "لا أستطيع أن أصف لك تلك الأيام يا ولدي، ومدى الحزن والجرح الذي ضرب الباشا والهانم في مقتل، وبعد أن انتهت أيام الحداد وعاد العقل إلى صوابه، طار العقل ولكن في اتجاه آخر..

فقد علم الباشا أن "مجاهد"، الذي أوكل إليه الباشا مهمة العناية بـ "نبيل" بيه وتدريبه على السباحة قد انشغل عنه وتركه ليتسامر مع خطيبته، وأهمل في العناية به إلى أن لقى حتفه..

تحول الباشا الطيب الودود المسالم إلى وحش كاسر..

أخرج السوط من خزانة قديمة بها أغراض كان والده يستعملها، وعزف عن الكلام باللسان، وصار الكلام والتفاهم فقط بالسوط "الكرباج"..

أمسك بمجاهد وأبيه (ناظر الزراعة) وخطيبته وأسرتها"، توقفت دادة "علية" ثانية والدموع تسقط من عينيها.

"لا أستطيع أن أصف لك ماذا فعل بهم جميعًا، لا داعي لذلك، لكن في النهاية وبعد أن فعل كل ما يطفئ ناره بفقدان ولده "نبيل" بيه، قام بطردهم جميعًا من البلدة بعد أن هدم بيوتهم، وأحدث في مجاهد عاهة تمنعه من

ممارسة السباحة إلى الأبد، وأيضًا عاهة أخرى تمنعه من الزواج من خطيبته التي ترك ولده يغرق من أجل مغازلتها..

أيام صعبة يا ولدي، لم أتخيل أن أعيش أحداثها بنفسى وأراها تحدث أمام عيني، ومنذ ذلك اليوم لم يعرف الباشا لغة الحنان أو الود إلا اليوم فقط أراه على غير صورته، عاد الحب والود إليه، لك الفضل يا ولدي".

لم يفهم نديم هذة الجملة الأخيرة رغم هول كل ما سمعه، وازدياد رعبه بعد أن علم جزءًا مما حدث "لمجاهد" ومن حوله..

"لك الفضل"، كيف يكون لي الفضل، لا أفهم شيئًا، لماذا أنا هنا؟ رغم سعادتى بوجودي داخل قصر الباشا، السرايا التى لم يحلم قط بالمرور حتى أمام أسوارها الشاهقة، والآن هو يتنزه فى الحديقة بصحبة بنت الباشا والدادة، ويعامله الباشا الحازم القاسى كما يقولون عنه أو يروجون الأساطير عن شدته وجبروته ويجمع أهل البلد أن "إيده طايلة" حتى عمدة البلدة يهابه ويحسب له ألف حساب.

والهانم تحنو على بشدة أكثر من خالتى اعتماد وعم عطوة اللذان أعيش في كنفهما وأعطيهما كل ما أربحه من المصنع، أطلق "نديم" العنان للسؤال الجاثم على صدره، وسأل دادة "علية"..

وصرح لها بما يدور داخله..

فإذا بها تبتسم في ود: "ببساطة يا ولدى لأنك تشبه سيدى "نبيل" بيه إلى حد كبير، فكل من يراك يظنك هو..

والفرق بينكما هو الهيئة الخارجية والمظهر، فسيدى "نبيل" بيه كان دائمًا منمقًا لامعًا، يرتدى أفخم الثياب والأحذية في أبهى صورة، ابن باشا..

أما أنت يا ولدي، غلبان مثلنا، هل فهمت الآن؟!"، وقبل أن يجيبها "نديم" صرخ صرخة عالية، فقد انهارت قطعة من الحجارة على ظهره آلمته كثيرًا.

التفت خلفه لمح شبح إنسان يركض بسرعة ويختفى خلف شجرة في الحديقة..

وإذا بالدادة "علية" تضحك بصوت مرتفع..

توجه "نديم" إلى مكان الشجرة وسار بحذر ليرى جسد نحيل يختبئ خلفها..

فإذا بها فتاة في مثل عمره تقريبًا، وقبل أن يتقدم "نديم"خطوة أخرى سمع صوت دادة "علية" تصيح: "تعالي يا" فايزة" ".

فإذا بالفتاة الصغيرة المختبئة خلف الشجرة تركض بسرعة لتختبئ ثانيةً، ولكن خلف ثياب دادة "علية"، عاد نبيل إليهم وإذا بـ "إيفا" تضحك وتبدو سعيدة وتقول: "فايزة".

إنها "فايزة" ابنة دادة "علية"، ودائمًا ما كان يحدث بينها وبين "نبيل" شجارًا يصل إلى حد القذف بالحجارة، ودائمًا كان "نبيل" هو الفائز في هذة الجولات.

ظنت "فايزة" أن "نديم" هو "نبيل"، كان غائبًا وقد عاد..

لكن أمها اطلعتها على الحقيقة وأن من قذفتة بالحجارة هذه المره ليس سيدي "نبيل" بيه، وإنما هو شاب بسيط مثلنا واسمه "نديم"، انضمت فايزة إليهم أثناء التنزه في الحديقة.

مر اليوم في سعادة من الجميع، شعر الباشا حينها أن الله عوضه بنديم المتحرك.. المرح.. الذي يحبه الجميع.. عوضًا عن ابنه الوحيد "نبيل".

فهل حقًا يستطيع أن يعوضه غرق وموت ابنه أو حالة الشلل التي عليها ابنته "إيفا" التي لم تستطع السير على أقدامها طوال حياتها.

فهى ولدت هكذا بعيب خلقي في الجهاز العصبي، ولم تستطع المشي، فهى هكذا قعيدة طيلة عشر سنوات كاملة.

وقبل الغروب، عاد "نديم" داخل "الكارته"، العربة التي يجرها الحصان، وحده هذه المرة، إلى بيت "عطوة" و "اعتماد".

* * *

تحركت مجموعات عدة بأمر وتعليمات من "شاؤول بن عامي" و"حاييم جدعون"، مجموعة تراقب تصرفات "يوسي كاتسير" داخل محبسه في السجن الحربي، ومجموعة أخرى تقوم بجمع المعلومات المفصلة عن سلوكه عندما كان في الجيش، وآراء زملائه فيه وكذلك آراء رؤسائه وقادته، وكل ما كان يقوم به وتحديدًا في فترة دخول القوات إلى بورسعيد، ثم عودتها إلى سيناء والعريش وبقاء القوات هناك لفترة، ثم العودة والأمر بالانسحاب إلى داخل حدود الأراضي المحتلة منذ عام ١٩٨٤، إلى الحادثة المشهورة وقتله لزملائه.

وكيف تعامل مع المصريين من أهل بورسعيد، وكذلك كيف كان سلوكه مع أهل العريش من بدو سيناء.

وقد حرص ضباط المخابرات (الموساد) وكذلك المخابرات الحربية على التعتيم الكامل وفرض السرية الشديدة على عمليه قتل "يوسي كاتسير" لثلاثة وإصابة تسعة، فهى فضيحة بكل المقاييس، فضيحة للجيش الإسرائيلى أمام العالم، وكذلك أمام العرب الأعداء تحديدًا، إذ يبدو الجيش غير متماسك ومهلهل والضباط يقتلون بعضهم، وهذا عكس ما أرادت إسرائيل إيصاله للعرب والعالم، بأن جيشها متماسك وقوي ومنظم للغاية وليس هناك أى مجال للعبث بداخله وأن كل شيء يدار بشكل علمي حسب قواعد العسكرية، وأحدث نظم التدريب والتسليح، وبعد أسبوع تقريبًا قدمت كل مجموعة تقريرها المفصل إلى اللجنة المشكلة برئاسة رئيس الموساد شخصيًا، وعضوية "شاؤول بن عامى" و"حاييم وجدعون"، وهى اللجنة الموكلة في البت في أمر "يوسي كاتسير" أو "خنزير" للاستعانة به فى العمل المخابراتى.

صارت الأمور بشكل رائع في حياة "كاميليا" الجديدة وسط رعاية وحب "إسعاد" والضابط "فكرى الصباغ"، وكانت سعيدة بصداقتها للفتاة اليونانية الجميلة "لاريسا"، واستطاعت بعد فترة ليست بالطويلة تعلم اللغة اليونانية وإتقانها، فقد ساعدتها "لاريسا" على تعلمها، وأيضًا تعرفت على عادات الجريج أو اليونانيين في مختلف مناحى الحياة، وكان "طونى" و"نارفارا" يحبان "كاميليا" للغاية، ولم يكن هناك ما يؤرقها أو ينغص عليها العيش إلا حزنها على فقدان أخيها "نديم"، الذى تحلم به كثيرًا فى نومها.

وعدها الأب الجديد "فكرى الصباغ" عن طريق علاقاته بمحاولة البحث عن "نديم" أو حتى معرفة أية معلومات عنه، لكن للأسف لم يتلق أى رد إيجابى ممن اتصل بهم ويعملون فى بورسعيد.

هكذا هى الحياة لا تعطى كل شيء، تعطيك وتمنحك الكثير من الأشياء لكنها تحرمك أيضًا من أشياء أخرى، إنه الرزق يوزعه الله بالعدل بين عباده، ولن يحصل الإنسان على كل ما يتمناه، لا بد أن يكون هناك حرمان كى تسع وبجد للحصول عليه، "وليس للإنسان إلا ما سعى"، هكذا كان شرح وتفسير بابا "فكرى" لكاميليا حين تذمرت وتساءلت عن سبب حرمانها من أخيها وضياعه.

حكمة الأب تتدخل دائمًا في الوقت المناسب..

اجتهدت اللجنة المصغرة القابعة في مبنى الموساد في قراءة كل تفصيلة صغيرة فى التقارير..

اتفق ثلاثتهم أن التقارير جميعًا تصب في صالح القرار بضم "يوسى" إلى رجال الموساد..

لكن أكثر ما كان يؤرقهم هو تطابق بعض الجمل التي وردت من كل مجموعة علمًا بأن كل مجموعة لا تعرف الأخرى..

هى أن "يوسى كاتسير" اعتاد منذ انضمامه للجيش تدوين مذكراته..

فهو يكتب يوميًا قبل أن يخلد في النوم كل ما يحدث في يومه، يكتب عن كل شيء، عن التدريب وأنظمه الجيش، والأسلحة التى يتدرب عليها وزملائه.. إلخ.

كذلك يكتب عن انطباعه الشخصى في كل من حوله ونوع العلاقة معه..

كما كان يكتب عن أبيه الحاخام قبل موته وبعدها ومدى تأثيره عليه..

والعمل بما كان يوحى به أو يقوله، يدون كل شيء، ويحتفظ بتلك الأوراق في مكان ما لا يعلمه إلا هو..

يا للكارثة، هكذا قال ثلاثتهم في صوت واحد..

إذا وقعت تلك الأوراق في يد أى عميل أو جاسوس يعمل لدى المصريين..

فسوف تكون بمثابة كنز من المعلومات، لا بد من إيجاد هذه الأوراق..

فنحن بالكاد استطعنا إخفاء حادثة قتله لزملائه الثلاثة وإصابة تسعة والتعتيم على الخبر، فلم يعلم بهذه الحادثة إلا من كان شاهدًا عليها فى ذلك الوقت..

وتم التنبيه عليهم ألا يتحدثوا عنها مطلقًا مع التحذير والتهديد لهم بويل العقاب والجزاء إذا خرجت منهم معلومة واحدة بهذه الحادثة، فلا بد أن يتناساها الجميع تمامًا وكأنها لم تكن، الآن مذكرات!! إنها الطامة الكبرى.

* * *

لاحظ "نديم" التغير في معاملة "اعتماد" و"عطوة" والبنات أيضًا بعد عودته من سرايا الباشا، صاروا يعاملونه بلطف واحترام شديد لكن أيضًا بحذر شديد وبعض الخوف.

كذلك في المصنع، كان الجميع يعمل له ألف حساب حتى رئيسه، الريس "مندور" تغيرت معاملته، وتوقف عن إعطائه الأوامر أو توبيخه إذا أخطأ.

لم يشعر "نديم" بهذا التغيير رغم ظاهره الذي يبدو فيه الراحة والارتياح والمكانة المرموقة لكن خلفه نوع من الحقد الدفين والكره لشخصه.

وفي نهاية اليوم في المصنع، هم "نديم" على السير إلى بيت "عطوة" كما يفعل كل يوم، إلا أنه وجد من يناديه، إنه سائق الكارته، يطلب منه الركوب معه، قائلًا: "الباشا والهانم أمرا أن تذهب معي إليهما في السرايا"، فرح "نديم" لكنه شعر بالحرج عندما شاهد جميع العاملين وقد توقفوا عن السير إلى منازلهم وظلوا يراقبونه وهو يصعد إلى الكارته، والحصان البني الجميل، يسير بهمة في طريق مختلف عن طريقهم جميعًا، إنه الطريق إلى سرايا الباشا.

راقب عيونهم التي امتلأت بالغيرة والحقد عليه، مع سماع بعض همسات أصواتهم التي وصلت إلى الاستنكا، ووصل إلى مسامعه قول إحداهن "اشمعنى هو يعنى؟!!".

هل من الجائز أن يجتمع الكثير من أهل البلدة والعاملين في مصنع الفواكه المملوك لحشمت باشا رستم على تغذية روح الكره داخلهم، لتتحول من نبتة كره صغيرة إلى فروع وأغصان من الحقد والنقم على ولد لم يبلغ الثانية عشرة من عمره؟! هل لأنه غريب عن أهل البلدة؟! هل لكونه

وحيدًا، مجهول النسب، لا يُعرف من هم أبواه؟! أم لأنه يختلف عنهم جميعًا في الشكل والمضمون، مظهره يشبه الأجانب، الخواجات، ملامح ليست مصرية، وأخلاقه مختلفة، فهو قليل الكلام، قليل المشاكل، لا يتزمر، كما يفعل باقي الصبية في مثل سنه، لا يبحث عن اللهو واللعب طوال الوقت يتتوق شوقًا إلى استكمال دراسته، يقرأ كل ما يقع أمامه من كتب أو جرائد أو حتى قصاصات من الورق البالى.

جاءت الموافقة المبدئية على إخراج "يوسى كاتسير" من محبسه لينضم إلى رجال الموساد الإسرائيلي، ولكن ليس قبل أسبوع، يتم أثناء ذلك الأسبوع التحقيق معه ومحاولة معرفة مكان مذكراته.

وفى نفس الوقت، يقوم رجال الموساد بتفتيش دقيق لبيته من دون ترك أى أثر ورائهم بحثًا عن مذكراته، التي تحوى أسرارًا خطيرة حسب زعم كل من تحدث في هذا الأمر.

في حجرة جدرانها مكسوة باللون الأسود، وعلى طاولة مستطيلة، جلس "كاتسير" مكبل اليدين، (فقد كانوا يخشون غضبه وثورته).

وقبل البدء بأى سؤال موجه إليه، طلب علبه من السجائر، وساعده المحقق فى إشعال أول سيجارة ومعها كوب من القهوة، عرض عليه المحقق كاسًا من النبيذ إذا رغب، لكنه أجاب بأنه يكره الخمور على عكس عادة الإسرائيليين فجميعهم يعشقون الخمور، وربما تخلو منازلهم من الطعام ولكنها لا تخلو من أنواع الخمور المختلفة.

فكما قيل عنه ليست له نقطة ضعف، لا يهوى النساء، ولا يشرب الخمر، أى أنه ليس بسكير، ولا يلعب القمار، لكن هى المذكرات اللعينة التي تؤرق ذهن كل من يشترك في ضم هذا الثور الأهوج إلى رجال المخابرات الإسرائيلية، والسؤال القائم دائمًا "هل من الممكن ترويضه؟!".

بعد أن أخذ النفس الثاني من سيجارته التي يضعها بصعوبة في فمه نظرًا للقيود الموثقة حول معصميه، تقدم المحقق وفك قيوده، قائلًا: "هذا فقط بشكل مؤقت كي تستطيع تناول القهوة والسيجارة".

وبدأ المحقق في إلقاء السؤال الأول..

نظر إليه "يوسي كاتسير" أو "خنزير" نظرة طويلة ثم أطلق ضحكة ساخرة فى أرجاء الجدران السوداء، وهو يدور بنظره إلى السقف والجدران من حوله وإذا به يبادر المحقق بسؤال بدلًا من أن يجيبه على سؤاله.

أين تضعون الكاميرات؟ وهل الحائط الذي على يميني أم على يساري هو من يقف خلفه رؤساؤك وأسيادك يراقبونني ويحللون حركاتي وسكناتي وكل انفعالاتي؟

ترى هل أبدو أنيقًا بملابس السجن؟ وهل أدخن السيجارة بشكل راقي أم مقزز؟ وهل أرشف قهوتي وأحدث صوتًا عاليًا أم أحاول تصنع الرقة والذوق؟!

ثم ضحك ثانيةً ضحكة طويلة، وصمت بعدها وتبدلت ملامحه للغضب استعدادًا للثورة، وأضاف بصوت مرعب وصراخ عالٍ للغاية، كفاكم عبثًا ودعكم من هذه الأساليب القديمة.

ليس لدى ما أقوله، أريد العودة الآن إلى زنزانتى..

ثم أمسك بكرسيه بعد أن نهض من فوقه وألقاه على المحقق الجالس في الجهة المقابلة من الطاولة..

دخل بسرعة رجال حراسته القابعين خلف الباب، وأنقضوا عليه وأعادوا وثاقه واقتادوه إلى محبسه ثانيةً، سار معهم وهو يضحك ساخرًا.

استطاع رجال المخابرات الدخول إلى مسكن "يوسي كاتسير" في جُنح الظلام من دون أن يشعر أى أحد من الجيران بأي حركة غير عادية، وبعد قضاء أكثر من ثلاث ساعات من التفتيش الدقيق، فشلوا في العثور على أثر لمذكرات هذا "الكاتسير".

قررت بعدها اللجنة الموكله ببحث حالته بتوصية من "شاؤول بن عامي" وزميله حاييم جدعون" سرعة البدء في تدريبه كى ينخرط في العمل المخابراتى نظرًا لحاجتهم الشديدة لمن هم في مثل مهاراته ووطنيته.

وبعد أن وافق على العمل لدى الموساد، بدأ على الفور في البرنامج التدريبى، لإكسابه المهارات على الهدوء والرزانة و الثبات الانفعالي، جمع المعلومة، طرق التخفي، وكذلك كشف المراقبات والهروب منها، وأشياء ومهارات أخرى كثيرة، بالإضافة إلى الوسائل السرية في المراسلات كاستعمال الحبر السرى، وأجهزة الإرسال عبر شفرة مورس وغيره.

الغريب ورغم تمرده لكنه أبدى تعاونًا أبهر الجميع وكان شعلة نشاط في التعلم..

وصارت أكبر مشكلة تواجههم هى كيفية ترويضه والسيطرة عليه، هى أبسط الأمور، لكن بين الحين والآخر، يظهر بصورة وحشية عكس ما هو عليه طوال فترة التدريب، ولم يحاول كتابة أى مذكرات أثناء تواجده في فترة التدريب، فهل توقف حقًا عن كتابة وتدوين ما يحدث له أم أنه ما زال يكتب ولكن بعيدًا عن أعين رجال المخابرات القائمين على تدريبه.

ربما استسلم بالفعل لأوامرهم، أو أنه يتقن اللعب معهم ويستطيع فعل كل ما يريده من دون أن يشعرون ولا يرون فيه إلا الابتسامة لكنه في الخفاء يفعل ما يريد.

* * *

تكررت زيارات نديم إلى قصر الباشا والهانم بعد انتهاء يوم عمله في المصنع كل مساء، فقد لاحظت الهانم وكذلك الباشا أثناء تواجد "نديم" في السرايا بصحبة "إيفا" و"علية"، أن حالة التلعثم في الكلام التي صاحبت "إيفا" منذ غرق شقيقها "نبيل" قد تحسنت كثيرًا واستطاعت أن تتحدث بجودة أقرب إلى الطلاقة، وكذلك رفضها للعلاج الطبيعي وطرد أخصائي العلاج الطبيعى إلى تقبل العلاج الطبيعى والانقياد لأوامر الأخصائى في تحريك أرجلها من وقت لآخر، وذلك كله بحضور وتشجيع "نديم".

وعلى النقيض، فلا زالت "فايزة" تتناحر وتتشاجر مع "نديم" من وقت لآخر وسط مراقبة وضحكات أمها "علية"، وطلبت الهانم فى تلك الأثناء من الباشا أن يوافق على اقتراحها بأن يسمح لـ "نديم" بالعيش معهم في السرايا بصفة دائمة؛ نظرًا للتطور الهائل الذى حدث لابنتهما "إيفا".

وبعد سماع الباشا لاقتراح الهانم، نهض من مكانه غاضبًا..

"نعطف عليه نعم، نرحب به نعم، أشعر أنه فيه شيء ما قريبًا مننا، لكن يعيش معنا، فلا.. لا.. لا..

أنا لم أنس ولن أنسى ماذا فعل الرعاع بنا عندما أعطيناهم الأمان والثقة في مراعاة المرحوم "نبيل"، تركوه يغرق وهما يتغازلان ويتبادلان عبارات الحب..

لن أسمح أن يحدث هذا ثانيةً لابنتي الوحيدة "إيفا" وأتركها ليلًا نهارًا مع هذا الولد، الذي لا نعرف له أصلًا..

فمن كنا نعرف أصلهم خذلونا.. فما بالك بالغريب!!

نعطف عليه ونعطيه الهدايا، لكن ليقيم معنا بصورة دائمة فهذا أمر مرفوض ولا تحادثيني فيه مرة أخرى".

تحدث الباشا بما يراه وربما كان محقًا.. ولكن ما لا يعلمه هو عدم قبول "نديم" بالتواجد في السرايا أو العيش لديهم، فهو لا ينسى نظرات أهل البلدة وعمال وعاملات المصنع كل مساء وهمساتهم والغمز واللمز الحادث.

فهو لا يستطيع أن يأكل طعامًا شهيًا وهناك أحد الجائعين الذين ينظرون إليه..

لن يستطيع بلع اللقمة، كذلك الحال بتواجده في السرايا، فهو يتمنى ألا تحضر "الكارته"؛ لأنه لا يقوى على رفض الذهاب إلى هناك للسرايا..

فقد أحسنت إليه الهانم وأحسن إليه الباشا، وهو يكره أن يكون جاحدًا ولا يرد الجميل..

لا ينكر شعوره بالسعادة في وجوده وسط "إيفا" و "علية" وحتى "فايزة" التي تناكفه وتشاجره كثيرًا..

لكنه يكره لحظة ركوبه الكارته، والسير بها وسط طرقات البلدة، نظرات الأهالي تقتله، وكذلك همسات عمال المصنع تقطع من جسده بلا رحمه..

لحظه ثقيلة عليه للغاية لحظة صعوده الكارته يتمنى وقتها أن تنشق الأرض وتبتلعه كما يقولون، ويجد نفسه داخل سرايا الباشا، من دون ركوب الكارته ومن دون السير في طرقات البلدة فهو يحب السرايا منذ أن دخلها لكن يكره ما قبل ذلك.

* * *

سادت لحظة صمت رهيبة، الوجوم على وجه "إسعاد" تحول بعدها إلى بكاء.. ثم إلى نحيب..

فتحت "كاميليا" باب حجرتها لتراقب ما يحدث في صالة البيت، الضابط "فكرى الصباغ" يربت على كتف "إسعاد" محاولًا تهدئة روعتها..

قائلًا: "إنها فترة بسيطة ستمر سريعًا، ولن تنقطع الخطابات والمراسلات بينهما".

خرجت "كاميليا" إلى الصالة مذعورة: "لماذا تبكي يا ماما "إسعاد"؟".

وبعد محاولات مضنية، علمت "كاميليا" أن أبيها "فكرى الصباغ" تم اختياره ضمن مجموعة من الضباط للحصول على فرقة تدريبية لمدة ثلاث سنوات فى موسكو بالاتحاد السوفيتى..

لم تتمالك "كاميليا" دموعها التي هطلت بسرعة عجيبة فكانت تحب أباها الجديد، فدائمًا كان يداعبها ويحنو عليها ويشرح لها كل الأمور الصعبة ويساعدها في استذكار دروسها المدرسية، كيف تكون الحياة دونه لثلاث سنوات طوال، لماذا عندما نعتاد على وجود السند ونميل بأجسادنا لنستند عليه يختفى فجأة لتسقط أجسادنا!!

نحاول النهوض ثانيةً لكن لا نجد إلا الفراغ لنستند عليه..

بصعوبة بالغة.. استطعت أن أتناسى فراق أبي وأمي، عوضني الله بكما واستقرت حياتي أخيرًا وعرفت معنى السعادة رغم غياب أخي وشقيقي "نديم"، لكن حبكما ورعايتكما كانت فيها كل العوض.

والآن.. نقطة ومن أول السطر.. نعود إلى نقطة الصفر.. يغيب الأب.. السند.. العائل.. الرفيق..

نظرت إليها "إسعاد" بشفقة وحب وشدتها إلى أحضانها لتحتضنها بقوة..

ومد الأب يده ليداعب شعرها محاولًا تخفيف وطأة الخبر عليها، محاولًا بكل الكلمات بعث الأمان وإحياءه داخلهما..

كانت كلماته لها مفعول السحر، فقد كانت له شخصية قوية لكن مملوءة بالحنان الذي يكفي العالم بأسره..

وبعدها أضاف: "هيا ارتديا أجمل ثيابكما، أنا عازمكم على العشاء في أجمل وأفخم مطاعم الإسكندرية".

كم هو جميل أن يُحاط الإنسان بمن يُحبهم ويُحبونه، لكن هل يمن علينا القدر بوقت أطول من السعادة؟ أم أنه من نواميس الحياة أن نُحرم ممن نحب! ماذا اقترفناه من ذنوب لنعاقب بفقد الأحباب؟!!

يتلاشى معه الشعور بالأمان..

وهل تستمر الحياة مع غياب الأمان؟!

* * *

بعد مرور سنوات عدة...

توقفت سيارة كبيرة تابعة للجيش المصرى وخلفها سيارة أخرى صغيرة..

أمر بواب قصر الباشا "السرايا"، رجل ذو هيئة عسكرية، تلعثم أمامه حارس البوابة، وطلب منه أن ينتظر حتى يستأذن الباشا في السماح لهم بالدخول بالسيارتين إلى الحديقة، وإذا بالرجل ينفعل عليه بشدة، ويأمره ثانيةً وهو يشير للرجال بالنزول من العربية، وقبل أن يجيب حارس البوابة طلبهم بفتح البوابة، قام الرجال بدفعه وتوثيقه ووضعه جانبًا وفتحوا البوابة لتدخل السيارتان.

دخل الرجل ذو الهيئة العسكرية يحدث ضجيجًا مرتفعًا بأقدامه وحذائه الثقيل ومن خلفه الرجال الذين انتشروا في المكان، خرج الباشا من حجرة مكتبه غاضبًا من الأصوات العالية، فإذا به أمام الرجل الذي يعرفه بنفسه، إنه من "لجنة التطهير".

ذهل الباشا بعد استماعه لشرح سريع من الرجل، لجنة التطهير هى المنوط بها جرد ممتلكات الباشا والهانم، إذ صدر ضده قرار التأميم.

جلس على كرسيه لا يدرك ما يحدث حوله، والرجال منتشرون يعبثون بالتحف واللوحات الفنية النادرة، وقطع الأثاث الفخمة، وبعضهم في الطابق العلوي يعبثون أيضًا بمجوهرات الهانم، وكل غالٍ ونفيس بالقصر.

نعم إن قرار التأميم نابعًا من قانون الإصلاح الزراعى الذى أصدره الرئيس جمال عبدالناصر، مصادرة وتأميم أموال الباشوات والأغنياء أو الإقطاعيين، كما كان يُطلق عليهم في ذلك الوقت.

لم تشفع دموع الهانم أو ذهول وغضب الباشا الذى مُنع من استعمال الهاتف وقت مصادرة كل ممتلكات، ولم يتبق له شيء في القاهرة أو العزبة التي بها السرايا، ولكن لم تكن تعلم لجنة التطهير أي شيء عن فيلا العجمى "المصيف" فقد كتبها الباشا باسم "إيفا" منذ ولادتها.

انتشر الخبر بين أهل البلد فالمصنع لم يعد مصنع الباشا، فتم وضع الحراسة عليه، والسرايا بالحديقة لم تعد ملكًا للباشا بكل ما فيها من مقتنيات حتى الكارته والحصان تمت مصادرتهما.

فرح أهل البلدة وهللوا وحمدوا الله على حضورهم مشهد ذل الباشا وإهانته..

وقال كل فلاح كلمته التي توحدت في جملة واحدة: "الحق رجع لأصحابه"، وتبدلت نظرة الجميع إلى كل من كان قريبًا من الباشا، اختفى الاحترام والهيبة والخوف، وحط مكانهم التشفى والفرح والأفكار الانتقامية.

وبينما كان نديم يسير عائدًا من السرايا إلى بيت عطوة واعتماد قابلته امرأة عجوز، لتخبره أن الجميع يبحث عنه للانتقام والتشفى فيه، وأولهم اعتماد وبناتها..

"لا تذهب إلى هناك يا ولدي، سينكلون بك، سوف تهان وتعامل أحقر معاملة وتطرد ويقذفون بك وسط الكلاب الضالة".

لم يجد "نديم" أمامه إلا الهرب والتنقل من مكان لآخر حتى استطاع الوصول إلى محطة الحافلات التى استقلها متوجهًا إلى الإسماعيلية، وهناك عد ما تبقى معه من نقود وكانت بالكاد كافية لأن يستقل حافلة أخرى لتقله إلى بورسعيد، مسقط رأسه.

* * *

بدأ "يوسى كاتسير" الخنزير عمله الجديد في شركة مصايد أعالى البحار، وهى الغطاء أو الساتر الذي سوف يعمل من خلاله في تجنيد عملاء جدد من المقيمين في اليونان من المصريين والعرب؛ لإغراقهم في خيانة الوطن لجمع المعلومات والتجسس لصالح إسرائيل.

وقد أنهى "كاتسير" تدريبه على إدارة الأعمال وكل ما يتعلق بسفن الصيد، وبدأ بأربع سفن صيد كبيرة، وعدد من العاملين في الشركة، بالإضافة إلى عدد كبير من الصيادين للعمل على مراكب الصيد، وهذه هى المصيدة الكبرى والشبكة المحكمة التي عن طريقها يتم اصطياد العمال والصيادين المهاجرين من مصر خصوصًا من هم من مدن القناة، والناقمين على الأوضاع الاقتصادية والسياسية في مصر، يستغل "كاتسير" ورجاله أصحاب

النفوس الضعيفة والمحتاجين لإغرائهم بالمال والعمل والمستقبل المشرق، ثم يتم توريطهم ومسك ذلة أو فضيحة على كل منهم لا يستطيع بعدها الرفض فى التعاون مع الموساد الإسرائيلي بالإضافة للمال الكثير.

وبالفعل استطاع "كاتسير" عن طريق شركة المصايد من اصطياد عددًا ليس بالقليل بجانب اصطياد الأسماك، ولكن الصيد غير الصيد، هيهات صيد الحلال مختلف تمامًا عن صيد الجواسيس.

وعلى الجانب الآخر، بدأت أجهزة الأمن المصرية وجهاز المخابرات العامة فى التحرك لمنع وقوع أي جاسوس من ضعاف النفوس وتركهم لأن يكونوا مزية لرجال "كاتسير" ومحاولة منع وقوع هؤلاء الضعفاء قبل مرحلة التجنيد.

لذا كثف "صبري عبدالهادي" و"بهاء إسماعيل" من جهودهما من تخريج دفعة جديدة من رجال المخابرات؛ نظرًا للعجز الشديد فى عدد الرجال العاملين في المخابرات خصوصًا من أهل الخبرة.

وصارت عدد من المدن اليونانية وخصوصًا العاصمة أثينا، ساحة نزال بين خطط الموساد وخطط المخابرات المصرية المضادة لها..

لم يكن الحظ ليتخلى عن "نديم" حيث حل عليه التعب والجوع الشديد بمجرد دخوله إلى بورفؤاد، لا يعرف أين يذهب، قادته قدماه حسب ما تذكر، وبسؤاله بعض المارة إلى بيتهم القديم المتهدم، فإذا به يجده أرض فضاء مع وجود بعض من أثار الهدم للمبنى الذي كان يحوي أمه وأبوه وخاله.

جلس على حجرة ضخمة أمام المبنى،وأغرورقت عيناه بالدمع وهو يتلفت حوله ليتذكر أيامًا كان يلعب هنا فى الساحة الواسعة أمام المبنى مع أصحابه "ميلاد"، و"شكري"، وشقيقته "كاميليا"، وأمه "زينب"، تخرج من الشرفة من وقت لآخر للاطمئنان عليهم، وأحيانًا تناديه وتعطيه كمية ضخمة من الشطائر والسندويتشات لكل الأطفال.

يا لها من أيام جميلة، يبدو أن أيام الشقاء والعذاب لن ترحل عن كاهلي وستزداد يومًا بعد يوم..

مرت عليه ساعة من الزمن ولا زالت دموعه منسابة على خده الأحمر، وإذا بيد تربت على كتفه برفق، نظر خلفه، وقف على قدماه وعيناه مثبتتان على الرجل الواقف خلفه، الذي يبادره بالسؤال: "مالك يا بني.. هل أنت بخير؟!"، ثم يضيف: "كأنني أعرف وجهك ليس بغريب على!!".

بادله "نديم" نفس الملاحظة: "وأنت أيضًا.. كأنني أعرفك جيدًا"..

وبعد تبادل الأسئلة بينهما، احتضن "حجازي" "نديم" بشدة وهو في غاية التأثر ولم يتوقف عن جملة: "يا غالي يا ابن الغالي".

ثم اصطحبه معه إلى منزله، وكأن الله لا يترك عبده الفقير الضعيف من دون إرسال من يقدم له يد العون والمساعدة..

اهتم "حجازي" بنديم وقدم له كل ما يحتاجه بعد أن استمع لما حدث له منذ تلك الليلة المشؤومة، ليلة هدم منزل الغاليين، "حامد" و"أبو زيد" وأمه "زينب"..

أقام لديه لأيام عدة حتى قام "حجازي" بتجهيز حجرة فوق سطح منزله كان يستعملها كمخزن، ووضع بها كل الاحتياجات اللازمة للمعيشة، ليقيم "نديم" بها..

وفى اليوم التالي، اصطحب "حجازي""نديم" فى جولة بالمدينة، قابل خلالها عددًا ممن كان يعرفهم وهو طفل، أولهم كان صديقه "ميلاد" ابن عم "عويس" الصائغ، الذي أصبح هرمًا فى السن، يجلس فقط في محل الذهب، ولكن "ميلاد" الآن قد أصبح "الصائغ" الذي يدير المحل.

كان لقاءً حارًا بين الاثنين، وكأنهما يلتقيان للمرة الأولى بعد أن تبدلت وتغيرت الملامح بفعل الزمن وصار كلا منهما طويل القامة وظهرت عليهما علامات الرجولة العتية..

انتشر خبر عودة "نديم" إلى بورفؤاد، وتبادر عدد من أهالى الحي بزيارته، وكان من ضمنهم "شكري" الصديق القديم، الذي قضى وقتًا طويلًا في الحديث مع "نديم"، سأل خلاله "شكري" "نديم" عن أخته "كاميليا"، أجابه بأنه ليس لديه أية معلومات عنها.

أما عن أحوال "شكري" فقد تطوع في الخدمة العسكرية، وصار جنديًا متطوعًا بالجيش المصري، وحث "نديم" على السير على خطاه فلن يندم أبدًا..

أول طلب طلبه "نديم" من عم "حجازي" هو أن يدله على المقابر المدفون بها أبويه وخاله حامد..

كانت لحظة قاسية عليه وهو يقف أمام المقابر ويقرأ ما كُتب على الرخامة، عبارات مؤثرة للغاية، بكى كثيرًا، وجلس على الأرض يستند بظهره على المقبرة وأحاط المقبرة بزراعيه كأنه يحتضنها أو يريد الدخول إلى الداخل ليقيم بها بجوار الأحباب، ما أصعب الفراق، فراق الأحباب، وليس هناك من شئ يعوض الأم والأب..

قامت إسرائيل بغارة جوية على أحد المعسكرات السرية التابعة للجيش المصري، لتدريب الجنود على مهام الرصد والاستطلاع خلف خطوط العدو..

وقد أصيب الكثير من الحاضرين بالمعسكر، قامت على الفور قيادات الجيش المصرى بالتعاون مع المخابرات الحربية بفتح التحقيق السرى، اكتشف من خلاله وجود أحد العناصر المندسة، الذي أدلى بمعلومات للعدو الصهيونى عن مكان المعسكر..

تم إلقاء القبض عليه، وصدرت الأوامر بالتوقف عن التواجد فى هذا المعسكر، في تلك الأثناء عمل "نديم" بنصيحة "شكرى" وبتزكية من "حجازى"، تطوع في صفوف الجيش المصرى، وتم اختياره للحصول على دورة تدريبية في فرق الاستطلاع، وقد تحدد مكان الدورة في مكان بعيد عن المكان السابق الذى أغار عليه العدو بعد حصوله على المعلومة من أحد الجواسيس، كان عدد المجندين المنضمين لفرقة الاستطلاع ثمانية وعشرون جنديًا..

تم إرسالهم إلى القاعدة الشمالية بالإسكندرية للحصول على التدريب هناك.. وفى أول أيام التدريب.. جلس الجنود وكان نديم يجلس في الصف الثالث في القاعة، دخل ضابط ليقدم لهم أول محاضرة، فقام بتعريف نفسه إليهم: "أنا الضابط الموكل بتدريبكم التدريب النظرى وهناك من سيقوم بالتدريب الميدانى اسمى العقيد / فكري الصباغ.

* * *

انتظمت "كاميليا" فى الدراسة بكلية الآداب، قسم لغات شرقية، اختارت أن تدرس العبرية واليونانية بما أنها قد أتقنتها من صديقتها الجريجية "لاريسا".

وكان "العقيد/ فكري الصباغ" سعيدًا للغاية لإنهاء "كاميليا" الثانوية العامة والتحاقها بكلية الآداب، فهى واحدة من إحدى عشرة فتاة فى قسم اللغات الشرقية.

وكان يحكي لها كلما سنحت لهما الفرصة للجلوس سويًا عن حياته بموسكو عاصمة الاتحاد السوفيتي أثناء الدورة التدريبية مع أفراد البعثة المصرية من الضباط، فكانت تسمع إليه باهتمام مما آثار الشغف لديها للتقرب ومعرفة الثقافات الأخرى.

انتفضا أثناء الحديث على صوت صراخ يأتي من داخل البيت..

إنها "إسعاد" تشعر بآلام شديدة وتتلوى من الألم، هرعا بها إلى أقرب مستشفى، مستشفى المواساة بالإسكندرية..

وبعد الكشف وعمل الفحوصات اللازمة أشار عليهما الطبيب أنها تعاني من وجود حصوات فى المرارة، وإذا تم استخراج الحصوات وهى عملية صعبة وليست بالسهلة فهناك فرصة لعودة الحصوات والآلام ثانية وسوف تعاد الكرة، هنا قاطعه العقيد/ فكري، وما العمل إذًا يا دكتور؟

أشار الطبيب أنه من الأفضل استئصال المرارة للتخلص من المشكلة نهائيًا، وعلى المريضة الحذر من تناول الدهون بعد ذلك..

جلست "كاميليا" في حجرة الانتظار وهى تضع منديلًا على وجهها لتجفيف دموعها التى لم تتوقف حتى وإن حاولت التوقف، تتمتم "كاميليا" من داخل أعماق وجدانها، ماذا بك يا دنيا؟! وماذا دهاك أيها القدر؟! ماذا تريد وماذا تفعل بي؟! أخذت أبي وأمي وخالي، أضعت مني شقيقي، ثم أخذت أبي الثاني فى رحلة إلى موسكو ثم أعدته لي ثانية، والآن تأخذ مني فى نفس الثانية أمى الثانية ماما "إسعاد"، أكثر من سقاني الحنان بعد أمي "زينب"!!.

ماذا دهاك أيها القدر؟! هل تلعب معي لعبة القط والفأر؟! تشد ثم ترخي، تأخذ ثم تعطي ثم تأخذ ثانية وثالثة، أين العدل أين السند والاستقرار؟! يارب أبقي لي ماما "إسعاد"، أعدها لي شافية ومعافاة من الآلام.

فى تلك الأثناء وافق "فكري الصباغ" على إجراء عملية استئصال المرارة..

وبالطبع فإن الوقت المؤلم القاتل يمر بطيئًا بطء الدهر، ساعة تلو الأخرى..

إلى أن أطل الطبيب الجراح برأسه من حجرة العمليات يتصبب عرقًا ويبدو عليه الإعياء الشديد، ولكن بعد لحظات ظهرت منه ابتسامة بعثت الحياة من جديد فى قلب "فكري" و"كاميليا" من دون تبادل أية كلمات، ربت الطبيب على كتفهما وانصرف، احتضن "فكري" ابنته "كاميليا"، وكأنه إيذانًا بلم شمل الأسرة مرة أخرى، جميلة هى لحظات السعادة، ما أحلاها!

عقد مدير المخابرات العامة المصرية جلسة مطولة مع أحد رجال المخابرات العامة لتوه من أحد الدول الأوروبية، وقد قدم من المطار مباشرة إلى جهاز المخابرات نظرًا للأهمية الشديدة لما يحمل لديه من معلومات.

أخبره أن الدنيا مقلوبة داخل الموساد الإسرائيلي حسب ما سمع من العميل المصري رقم ٦٢١ المزروع من قبل المخابرات المصرية داخل الموساد الإسرائيلي..

أن هناك تخوفًا شديدًا من مذكرات ضابط إسرائيلي سابق يدعى "يوسي كاستير"..

ثم قص عليه تاريخ هذا الضابط العسكري، وأنه شارك في عدوان ٥٦ على بورسعيد، وقد قام بقتل ثلاثة من زملائه وإصابة تسعة.. وتم العفو عنه وضمه إلى الموساد وإرساله إلى اليونان بعد أن تلقى دورة تدريبية موسعة..

والآن هو مقيم فى أثينا ويعمل تحت ستار شركة تملك أربع سفن صيد عملاقة، ومهمتهم هى اصطياد وتجنيد المصريين تحديدًا ممن هاجروا وفقدوا الأمل في استقرار أوضاعهم؛ نظرًا لانتهاء التأشيرة وعدم الحصول

على إقامة أو عمل ونفاذ نقودهم، ثم عاد الضابط المصري الجالس أمام مدير المخابرات المصرية إلى موضوع مذكرات "يوسي كاتسير"، وقال على سبيل المزاح: "على فكرة يا فندم، الناس فى بورسعيد كانوا يسمون "يوسي كاتسير"، الخنزير؛ نظرًا لتشابه اسم كاتسير مع خنزير، وكذلك ملامح وجهه تشبه الخنزير إلى حد كبير"، ضحك بعدها الاثنان.

شرح الضابط أهمية تلك المذكرات لأنها تحوي أسرارًا دقيقة عن تشكيلات وتكوين الجيش الإسرائيلي ونقط ضعف بعض القادة والضباط وأيضًا نقاط ضعف الجيش التي كان يتمنى "كاتسير" أن يستمع قادته إليه لسد تلك نقاط الضعف..

والكثير والكثير من المعلومات إنها بمثابة الكنز، إذا استطعنا الحصول عليها، وقد حاول رجال الموساد بكل الطرق الحصول عليها لكنهم أخفقوا..

هنا قاطعهم السيد مدير المخابرات ودق على الجرس، حضر أحدهم، طلب منه تحديد قاعة الاجتماعات لعقد اجتماعًا مطولًا في غضون عشر دقائق للأهمية..

وبعد بدء الاجتماع، كلف مدير المخابرات الضابطان "صبري عبدالهادي" و"بهاء إسماعيل" بالاستعداد للسفر خلال أسبوع، للاستقرار باليونان لفترة والمهمة المطلوبة إنجازها كالآتى:

- محاولة إيقاف تجنيد المصريين من قبل "يوسي كاتسير" ورجاله.
- البحث عن مذكرات "يوسي كاتسير" مع توخي الحذر.

- الإيقاع بـ"يوسي كاتسير" وتصويره في أي وضع يضع عليه ضغطًا.

انزوى "صبرى" و"بهاء" فى حجرة، ليضعا الترتيبات النهائية للعمل فى اليونان، وبمن سوف يستعينا للمساعدة هناك، عدد من رجال المخابرات غير المعروفين للجانب الإسرائيلي بالطبع، وجوه جديدة..

توجه الاثنان إلى المنطقة الشمالية، واجتمعا بقائد المنطقة للاستعانة ببعض عناصر الجيش المدربين خصوصًا من يتقن لغة أجنبية.

* * *

بعد أنا قدم العقيد/ فكري الصباغ نفسه إلى المجموعة الجديدة، وزع عليهم ورقة بها أسماء مستعارة، على كل فرد منكم أن يختار اسمًا مستعارًا وليس اسمه الحقيقي، فسوف يتم التعامل باسمه المستعار من الآن وصاعدًا، وسوف تستخرج له الأوراق المطلوبة بالاسم الجديد كبطاقة هوية ورخصة قيادة وجواز سفر إذا لزم الأمر..

اختار كل فرد اسمًا، وكتب أمامه اسمه الحقيقي، وحين أتى دور "نديم" لم يجد عددًا كثيرًا من الأسماء متوفرًا فاختار أفضلهم بالنسبة له..

اسم "سراج زغلول"، وكتب أمامه اسمه الحقيقي..

وعادت الورقة ثانية إلى العقيد/ فكري الصباغ، وبدأ الشرح الوافي فى مبادئ الاستطلاع والتخابر وجمع المعلومات خلف خطوط العدو..

وبعد انتهاء المحاضرة، غادر جميع الطلبة إلى المطعم الخاص بقيادة المنطقة الشمالية على أن يعودوا ثانية لاستكمال المحاضرات.

أنهي "صبري وبهاء" اجتماعهما بقائد المنطقة الشمالية الذي وعدهم أنه سيقدم إليهم عددًا من الضباط ليختاروا منهم ما يريانه يصلح للمهمة الجديدة، شاهدا الضباط الجدد وهم يغادرون القاعة متوجهين إلى المطعم..

توقف "بهاء" وأمسك بيد "صبرى" وهو يشير إلى ناحية اليمين بإصبعه..

نظر "صبري" ثم عاود النظر إلى "بهاء"، قائلًا: "تقصد هذا الجندي؟".

أشار "بهاء": "نعم، انظر إنه لا يبدو مصريًا، ملامحه أوروبية، تعالى"، تقدما إلى "نديم" وطلبا الحديث معه، لكنه أخبرهما أن أمامه نصف ساعة فقط لتناول الغذاء ثم العودة إلى قاعة المحاضرات..

دخلا معه المطعم وجلسا إلى جواره أثناء تناوله الطعام وشرحا له المهمة المطلوب منه أدائها، ولكن باختصار من دون الدخول فى تفاصيل..

"نديم": "أنا ليس لي أن أبدي رأيًا، أنا فى خدمة مصر في أي مكان وأي مجال، ابحثوا الأمر مع العقيد/ فكري الصباغ، وأنا تحت أمركما فى أي مكان"..

جلس "نديم" أو "سراج زغلول" في نفس مكانه في قاعة المحاضرات مستمعًا إلى شرح العقيد/ فكري الصباغ، لم يكن يعلم أو يخطر بباله أنه أمام الرجل الذي تعيش "كاميليا" في بيته، وأنه من يمثل الأب لأخته التائهة عنه، يا ربي لهذه الدرجة الدنيا صغيرة!

من يحتضن "كاميليا" ويعيش معها وقام على تربيتها واقفًا أمام أخيها "نديم"، التي لطالما بحثت عنه وهو أيضًا بحث عنها وقام بعمل اتصالات مع زملائه ممن يخدمون في بورسعيد للسؤال عن "نديم أبو زيد"..

لم يكن يتخيل أن نديم يجلس أمامه هو نفس "نديم" الذي يبحث عنه لأجل ابنته الجديدة "كاميليا"، وجهًا لوجه ولم يتعرف أحدهما على الآخر قاب قوسين أو أدنى من اللقاء ولم الشمل لكن القدر له رأي آخر..

قضى الضابطان "صبري عبدالهادي" و" بهاء إسماعيل" وقتًا فى إقناع قائد المنطقة الشمالية للسماح لهما بضم المجند "سراج زغلول" أو "نديم" إلى رجال المخابرات العامة، وسيقومون هم بتدريبه على كل المهارات المطلوبة..

وعندما سأل قائد المنطقة الشمالية عن السبب ولماذا هذا الولد تحديدًا "يقصد المجند"، جاءته الإجابة بسبب ملامحه الشكلية فهو أقرب للملامح الأوروبية عن العربية أو الشرق أوسطية، وهم عادة ما يعانون من كشف عملاء إسرائيل في الخارج للمراقبة بسبب ملامح من يقوم بالتتبع والمراقبة أنه يبدو عليه الهيئة المصرية، لكن شخص مثل "سراج زغلول" لا يمكن أن يتصور أحد أنه مصري لذا يمكنه التواجد في التجمعات والأماكن العامة من دون أن يثير الشكوك حوله، ستكون مهمته أسهل بكثير ونسبة فشله في المراقبة ستكون ضئيلة، اقتنع القائد، ودعا إلى استدعاء العقيد/ فكري الصباغ في أخذ موافقته في التخلي عن واحد من مجموعته الجديدة، التي كان يعول عليها كثيرًا في مهام الرصد والاستطلاع خلف خطوط العدو..

بناءً على قرارات من الرئيس جمال عبدالناصر ومن معه، ازدادت هجرة الأجانب من مصر، وتم إعطائهم مهلة قليلة لمغادرة البلاد خصوصًا من الجاليات اليهودية واليونانية والإيطالية وغيرهم آخرين..

مما تسبب فى حالة من الهياج السكاني والاقتصادي في البلاد،

فكثير من هؤلاء الجاليات كان يمتلك مشروعات ومحال تجارية ناجحة فى السوق المصري..

وكان أكثر شخصًا قد تأذي من تلك القرارات هى "كاميليا"، فقد كانت تحب "لاريسا" الجريجية وأسرتها كثيرًا، ودائمًا ما كانت ترى فيهم الأسرة الثانية لها بجانب "إسعاد" و"فكري الصباغ"..

كان يومًا مشئومًا، يوم مغادرة "أنطون" وزوجته "نارفارا" والابنة "لاريسا" ميناء الإسكندرية، مستقلين سفينة ركاب عائدين إلى أثينا باليونان، تاركين ورائهم الكثير من ممتلكاتهم، فقد اضطر أنطون إلى بيع محل البقالة الذي كان يملكه بأبخس الأثمان، وقاموا بإعطاء جيرانهم كل ما يملكون من أثاث وخلافه مجانًا، فقد قاموا بتعليق يافطة كتب عليها:

"من يريد شيئًا من الأثاث والأمتعة فليأخذه مجانًا".

ذهب "فكري" و"إسعاد" ومعهما "كاميليا" لوداع أنطون وزوجته ولاريسا على رصيف ميناء الإسكندرية، وقد خيم الحزن على الجميع مع الدموع المتساقطة من أعينهم..

فما أصعب الفراق، كان "فكري" معارضًا وناقمًا على قرار طرد الأجانب من مصر، فقد عاش وسطهم ولم ير منهم إلا كل خير، حتى وإن

ظهرت بعض الحوادث الفردية هنا وهناك، فالقانون يُطبق عليهم ولا داعي لعقاب الجالية بأكملها، فقد كانت ضربة لاستقرار مصر كما كانت ضربة للاقتصاد أيضًا..

عادت "كاميليا" إلى نفس النقطة ونفس السؤال، لماذا أيها القدر تعاود التلاعب بمشاعري؟! يبدو أنك غير راضٍ أن أتعلق بأي إنسان، فتبادر وتسارع أن تأخذه مني وتحرمني منه من دون أي ذنب اقترفته..

نديم أخي.. أبي وأمي.. وقريبًا كنت ستأخذ ماما "إسعاد"، لكن الله سلم، والآن صديقتي الوحيدة "لاريسا"، التي علمتني اليونانية وكنت أشعر أنني واحدة منهم..

وبعد أقل من أسبوعين تلقت "كاميليا" أولى خطابات "لاريسا" من أثينا العاصمة اليونانية، وذكرت فيها عنوان بيتها الجديد كي ترسل لها "كاميليا" عليه..

خطاب مُلئ بالقبل والأشواق والقهر على فراق الإسكندرية- حي العطارين، وكم الحزن الغالب على أبيها وأمها..

يتمنون جميعًا العودة إلى الإسكندرية، فهم يشعرون بالغربة في أثينا..

وما أصعب هذا الشعور القاتل..

توقف القطار، وأعلن المفتش أنها المحطة الأخيرة، فقد وصل القطار أخيرًا إلى محطة بورسعيد، اعتدلت "كاميليا" فى جلستها قبل أن تنهض، وكل الذكريات ما زالت متزاحمة في رأسها، وضعت الكتاب الذي كان بيدها، التي لم تقرأ منه صفحة واحدة داخل حقيبتها، وشاهدت بجواره

داخل الحقيبة خطاب " لاريسا" الأول، فهى تحتفظ به في حقيبة يدها، تقرأه كلما ضاق بها الحال أو مس قلبها قبسًا من اشتياق..

سارت "كاميليا" ذات العشرين عامًا ببطئ على رصيف المحطة وبحثت في الخارج عن سيارة أجرة، وأخبرت السائق: "بورفؤاد لو سمحت"..

تعددت لقاءات رجال المخابرات في اجتماعات مطولة مع مجموعة من الرجال الجدد المنضمين حديثًا لجهاز المخابرات العامة المصرية، ومن ضمنهم "سراج زغلول" أو "نديم"، الذي تدرب على الأعمال المخابراتية بكل أشكالها، بالإضافة إلى تدريبهم على تعلم اللغة اليونانية على يد أحد اليونانيين الذين لم يغادروا الإسكندرية وكانوا قلة، كما تدرب على فهم تعاليم الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية وأيضًا على عادات وطباع الشعب اليوناني بكل تفاصيلها.

وكان بين الحين والآخر داخل القاعدة الشمالية يتقابل "سراج زغلول"، وهو في طريقه إلى القاعدة أو السكن أو حتى حجرة الطعام مع العقيد/ فكري الصباغ، يقف ويعطي له التحية العسكرية، حتى بعد أن خلع اللباس العسكري؛ نظرًا لانضمامه إلى رجال "المخابرات"، فيرد عليه العقيد/ فكري بالتحية مع ابتسامة إعجاب بهذا الشاب، الوافد الجديد، الذي تتصارع عليه المخابرات والقوات المسلحة؛ للحصول على خدماته نظرًا لملامحه غير المصرية، التي تساعده على الاندساس وسط أية جنسية أوروبية أو حتى يهودية إسرائيلية..

لم يكن يدري أو يعلم كلاهما حقيقة الآخر، وأن من يبحث عنه هو أمامه كل يوم مرات عدة، نديم يبحث عن من في كنف هذا العقيد، والعقيد هو الآخر يريد إدخال السرور على ابنته وأخيها أمامه يرد عليه التحية العسكرية..

وقد قررا "صبري عبدالهادي" و"بهاء إسماعيل" أن يظل "سراج زغلول" مقيمًا بالقاعدة العسكرية الشمالية لتلقي كل التدريبات المطلوبة؛ نظرًا لانتشار العملاء فى تلك الفترة، ومن الأفضل إبعاده عن الأعين وبقاؤه داخل قاعدة عسكرية مغلقة ومؤمنة تأمينًا شديدًا هو أفضل له قبل زرعه وسط المجتمع اليوناني في أثينا.

* * *

دفعت "كاميليا" لسائق الأجرة، ووقفت تتلفت حولها، ما زالت هناك بقايا لآثار الدمار منذ العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، وأطالت النظر إلى الأرض الفضاء، ترقرقت عيناها بالدمع، هنا كان بيتنا، هنا سقطت أمي، أبي، وخالي، ثم سارت فوق أسفلت الطريق التي تمددت عليه أمام دبابة الخنزير، "يوسي كاستير"، واستطاعت الهرب هى ونديم، ولكن هربا فى اتجاه غير الآخر..

اعتلت وجهها ابتسامة ثم ضحكة، واستمرت في الضحك مع هطول دموعها فوق وجنتيها، مشهد عجيب، لا يحدث كثيرًا مثل هطول الأمطار وسط سطوع الشمس في حر الصيف..

ازداد ضحكها وهى تذكر هطول الدماء واندفاعها أعلى حاجب ذلك الخنزير وصراخه كالأطفال..

دارت دورة حول البيت، قادتها قدماها إلى محل الصاغة الوحيد فى المنطقة، توقفت أمامه، دفعت الباب، وتلفتت حولها،

كان "ميلاد" مشغولًا مع أحد الزبائن، نظرت إليه "كاميليا"، نعم إنه هو "ميلاد"، لم تتغير ملامحه كثيرًا، ربما فقط الشارب الأسود الكثيف مع الطول وعلامات الرجولة بصوت خشن..

وما أن فرغ "ميلاد" من مساعدة الزبونة، وغادرت المحل، تلفت إلى "كاميليا" مبتسمًا: "هل تبحثين عن شيء يا آنسة، دبلة أم عقد أم قرط، أو ربما إسورة تناسب ذوقك؟!".

"كاميليا": "أنا.. أنا.. أنا أبحث عن..!!"، ثم توقفت عن الكلام ولم تمنع نفسها من الضحك، وهى تقول بصوت عالٍ: "إزيك يا "مايلو"؟"، وقد كان هذا اسم "ميلاد" الدلع وهو صغير..

سمع ميلاد "مايلو" ثم مد يده إلى زر النور فأضاء كل مصابيح المحل الداخلية، ونظر بعمق إلى "كاميليا": قائلًا: "قليل من الناس من يعرفون اسم الدلع هذا، أظن أنني أعرفك، لكن لا أستطيع التذكر جيدًا".

قطعت "كاميليا" عليه حيرته قبل أن ينفجر من إرهاق عقله في تذكر الماضي: "أنا "كاميليا" أخت "نديم"، ها هل لا زلت لا تذكر؟!!".

قفز ميلاد من فوق الأرض: "مش معقول، لا أصدق، فعلًا.

حقيقي، أنتِ "كاميليا"، لكن ملامحك تغيرت كثيرًا، وصوتك، فأنا لا أعرفك"، كان لقاءً حارًا بين من كانا طفلين، بعد مرور أكثر من عشر سنوات تتبدل فيها الشخصيات والملامح والاتجاهات،

ووسط الكلام، ألقى ميلاد على "كاميليا" بسؤال هبط فوق قلبها ورأسها كالصاعقة: "هل تقابلت مع نديم؟!!".

انطلقت عشرات الأسئلة المتلاحقة والمتعاقبة، الواحد تلو الآخر..

وقبل أن يجيب "ميلاد" السؤال يتوقف ليحاول إجابة السؤال الذي تلاه..!

وأخيرًا استطاع إيقافها عن إلقاء المزيد من الأسئلة..

"نعم قابلته" وقص عليها ما حدث، وتوقفت بعدها، ليشير إليها بالسير ناحية الباب، خرج معها أمام الرصيف، وأشار إلى محل الأحذية الخاص بـ "حجازي"، قائلًا: "هل تذكرين عم حجازي؟"

"كاميليا": نعم.. نعم.. إنه كان صديقًا لخالي "حامد"، وأيضًا لأبي حسب ما أذكر".

"ميلاد": "نعم، عم حجازي لديه إجابة عن كل استفساراتك وتساؤلاتك".

استطاع "أنطون " أو "طوني" وزوجته "نارفارا" وابنته "لاريسا" الاستقرار بعض الشئ بعد أن قاموا بشراء أحد البيوت الصغيرة خارج حدود أثينا في قرية صغيرة؛ نظرًا لقلة المال الذي استطاع جمعه من مصر والعودة به إلي اليونان..

ولم يتبق معه إلا القليل من المال، أعطاه لزوجته "نارفارا" لادخاره خوفًا من تقلبات الزمن، واستطاع أن يجد فرصة عمل في مصنع صغير للألبان..

وفي هذه الأثناء تلقت "لاريسا" ردًا من "كاميليا" على خطابها الأول لها، الذي به عنوان بيتها الجديد..

كانت فرحة للغاية، وعيناها تركضان فوق سطور كلمات "كاميليا" المليئة بالشوق والحب، وقبل نهاية الخطاب طلبت "كاميليا" منها إبلاغ أباها عم "طوني" بتحية العقيد "فكري" وأمها "إسعاد"، وكذلك طنط "نارفارا"، ثم الجملة التي أسعدت "طوني" للغاية، هو أن "فكري" يحتفظ له بمبلغ من المال جراء بيع ممتلكاته..

فقد تذكر "أنطون" أنه عندما علق لافتة أن من يريد شيئًا من الأثاث والمتاع فيمكن أن يأخذه مجانًا.. هنا تدخل "فكري الصائغ" وأزال اليافطة وطلب منه أن يترك له مهمة التصرف في هذه الأغراض..

وحسنًا فعل، فقد استطاع "فكري" بعد سفر "أنطون" وعائلته أن يبيع كل شئ بالمال وليس بالمجان، وتحصل على مبلغ لا بأس به وهذا ما جاء في نهاية خطاب "كاميليا" بأن أباها "فكري" يحتفظ بأموال تخص عم "أنطون"..

قدم حجازي كوبًا من الشاي إلى "كاميليا"، وهو لا يستطيع التوقف عن الكلام حسب أوامر "كاميليا"، بعد أن قالت له: "احكي يا عم حجازي حتى عندما تنهض لعمل الشاي، عايزة أعرف كل حاجة عن" نديم" ".

وبالفعل قص عليها كل ما سيق من "نديم" منذ تلك الليلة المشئومة وانتقاله مركز الحسينية بمحافظة الشرقية، وحياته هناك إلى إن عاد إلى بورتوفيق، وختم كلامه أنه لا يعلم مكانه، كل ما يعرفه، أنه سلم نفسه لأقرب وحدة هنا فى بورسعيد وتم نقله إلى أين لا يعلم..

أمسكت "كاميليا" بالمفتاح، ووضعت المفتاح على صدرها وهى تتنفس بقوة ثم طبعت عليه قبلة من شفتيها الورديتين، واستأذنت عم حجازي في دخول الحجرة، الذي أجابها أنه لم يكن ليسمح لأي إنسان بدخول حجرة "نديم" في غيابه ولا حتى هو شخصيًا، "لكن أنتِ يا "كاميليا" مستثناه من كل شئ".

فتحت الباب ببطئ ودفعته، لتشتم رائحة عطرية طيبة، إنها قطعة من بخور أشعلها "نديم" قبل سفره، وما زالت تصدر عبقًا طيبًا ومحببًا للنفس، أمضت في الحجرة ما لا يقل عن ساعتين قبل أن تلحظ من خلال النافذة بداية دخول الغروب.. انتفضت ونظرت في ساعتها.. لا بد أن تلحق قطار العودة إلى الإسكندرية، قامت بتنظيف الحجرة وترتيبها، ثم تركت رسالة إلى "نديم" ليقرأها حين عودته..

هرعت مسرعة إلى الأسفل، لتسلم على حجازي قبل المغادرة لكنه كان نائمًا "القيلولة"، تركت المفتاح ثم انطلقت عائدة إلى محطة القطار، على الرصيف وقبل قدوم قطارها المنتظر الذي يقلها إلى الإسكندرية..

لمحت أحد الجنود يسير على الرصيف قبل أن يخرج من المحطة إلى الشارع الرئيسي ذهبت تجاهه.. ظنت أنه ربما يكون "نديم"، وإذا بها أمام "شكري"، الولد الذي كان يكبرها بعامين ويلعب معهما أيام الطفولة..

لحظات صمت، عيناهما تتلاقيان و"شكري" يحدث نفسه بكلمة واحدة "ما أجملك!"، بينما "كاميليا" تشعر بالأمان والراحة بوجود "شكري" أمامها، رجولته وفحولته جاذبة للانتباه، لكن عقله ورجاحته دومًا هما السر فيما يجذبها إليه، وإذا بها تسمع صوتًا ينادي على ركاب قطار الإسكندرية أنه سيغادر من رصيف رقم ٣ بعد دقيقتين..

سارت بعيدًا وهى ما زالت تلتفت إليه والشعاع الواصل بين عيناهما لم ينقطع، وكأنهما يتواعدان للقاء مرة أخرى..

وإذا بها تصرخ بصوت عالٍ "شكري"، "عم حجازي"، فهم "شكري" أنها تريده أن يقابل عم "حجازي" لا بد وأن لديه أية معلومة عنها..

ركض سريعًا ونسى أنه يرتدي زيه العسكري ولا بد أن يراعي الوقار لممثل الجيش المصري، وكان لقاءً حارًا ساخنًا، جمع بين "شكري" و"حجازي"، الذي أطلعه على تفاصيل لقاء "كاميليا" له، لكنه ختم كلامه بجملة أزعجت شكري كثيرًا، "إنها نسيت أن تعطيني عنوانها، فقط أخبرتني أنها تقيم فى الإسكندرية".

* * *

لم يعلم "سراج زغلول" أو "نديم" أن يوم التدريب هذا هو آخر أيام التدريب وأنه تحدد ميعاد سفره إلى أثينا، بعد غد، وأن خط سيره سيكون السفر إلى أنقرة عاصمة تركيا، ومنها إلى أثينا باليونان..

سرح بخياله بعيدًا بعد أن علم ميعاد سفره وعليه الاستعداد، ولم يتبق له إلا الغد فقط وبعدها السفر صباحًا..

لم يستحوذ على تفكيره وقتها عندما علم بموعد السفر إلا زيارة مهمة ولا بد أن يقوم بها، استأذن قادته واتخذ الطريق إلى العجمي..

فيلا "إيفا"، هكذا كُتب على اللوحة الرخامية البيضاء المثبتة على البوابة الخشبية الصغيرة، إنها فيلا "حشمت باشا رستم"، نعم إنه "حشمت باشا" حتى وإن تم إلغاء الباشاوية بشكل رسمي.. لكنه لا يستطيع إلا أن يناديه بلقبه الذي يعرفه، سعادة الباشا، والهانم هى الهانم، حتى وإن ألغوا لقب هانم..

دخل عبر البوابة الخشبية ببطئ، وإذا بكلب ضخم ينبح عليه بشدة، حاول الابتعاد، وإذا بصوت يأتي من الداخل، يقترب نحوه "مين حضرتك؟!"، نظر "نديم" وأمعن النظر، إنها الست "علية"، نعم هى ربما ظهر بعض الشعر الأبيض من أجناب منديل الرأس،

ضحك "نديم" وهو يقول: "إزيك يا ست علية؟!".

نظرت إليه "علية": "ياه.. أنت نديم.. صح؟!! ما شاء الله كبرت يا نديم، بقيت راجل، أتغيرت مع إن الوقت مش طويل، كنت قلقة عليك للغاية، كان نفسي أعرف فين أراضيك وأنا أزورك".

لم يكمل "نديم" كلامه حين شاهد فتاة في غاية الجمال والحسن، تدفع كرسيًا متحركًا، عرف وأيقن أن من يجلس على الكرسي هى "إيفا"، ركض ناحيتها ونزل على ركبتيه وهو يمسك بيدها ويقبلها: "إزيك يا إيفا هانم؟"، هكذا تمتم "نديم" بصوت منخفض..

نظرت إليه "إيفا" وهى تبتسم ثم تضحك وتنظر إلى "علية" وإلى الفتاة الواقفة خلفها، وقالت بتلعثم وصعوبة شديدة: "نديم أنت نديم".

ظهرت من الباب الهانم التى سمعت صوت في الحديقة الصغيرة،

لم يسمع "نديم" كلامهم جيدًا، إذ كانت عيناه مثبتتان على الفتاة التي تدفع الكرسي المتحرك، وهى أيضًا كانت تنظر إليه فى خجل وعلى استحياء، تنظر إلى الأرض وقتًا وتسترق النظر إليه وهو يتحدث إليهم ويحكي ما حدث له منذ أن غادر في اليوم الأسود يوم حضور لجنة نهب الباشوات، هكذا وصفت الهانم هذا اليوم.

بالطبع أخفى "نديم" طبيعة عمله الجديدة مع المخابرات العامة المصرية أو المهام الموكلة إليه وسفره فى الغد إلى أثينا أو حتى ميعاد العودة المجهول..

لكنه أخبرهم أنه متطوع في سلاح المشاة بالجيش المصري، وأن معسكره بالإسماعيلية، ومر الوقت جميلًا بين الجميع رغم حزن الباشا، إلا أنه سعد لرؤية "نديم" الذي يذكره دائمًا بصغيره الراحل "نبيل"..

استعادت "كاميليا" كل كلمة وجملة دارت بينها وبين عم "حجازي" عن أخيها "نديم"، الذي لم يعد شقيقها كما أخبرها، هكذا أخبرها عم

"حجازي" عن قصة أبيها مع زوجته الإنجليزية وإنجابه "نديم"، وهذا يفسر سر اختلاف الملامح الملحوظ بين "كاميليا" و"نديم"، ولا تخفى هى سرًا أنها كانت تتمني أن تحمل نفس ملامح "نديم" أي شقراء بيعنين زرقاويين..

الغريب في الأمر أن "حجازي" لم يطلع "نديم" نفسه على قصة أنه ليس ابن "زينب"، وإنما ابن الإنجليزية "لونا"، ربما لأنه لم يسأل عن سبب ملامحه المختلفة عن الجميع، أو ربما أن "حجازي" قليل الكلام ولا يجيب إلا عندما يُسأل، هكذا هو الإنسان الابن المخلص، دائمًا كتوم، يحمل داخله من الأسرار الكثير ولا يبوح بها إلا في مكانها أو عند السؤال ولأصحابها أو من يهمهم الأمر فقط..

لذا كان حجازي هو الرابط بين جميع الأطراف وكاتم أسرار الجميع، رغم بساطته وحياته المتواضعة إلا أنه كان مؤثرًا في كل شئ وكل إنسان، هذا بالإضافة إلي دوره الوطني في مكافحة المحتل إبان العدوان الثلاثي..

ثم انتقلت "كاميليا" بأفكارها المزدحمة إلى صورة "شكري" وهو ينظر إليها بانبهار وإعجاب شديد، وكأنه يقول صرت جميلة للغاية.. بالطبع هو يتذكر "كاميليا" الطفلة التي يعلوها الغبار من أثر اللعب فى الشارع..

حقق "يوسي كاتسير" نجاحًا فى أول عام عمل له، نجاحًا على مستوى شركة المصايد بطاقة أربع سفن صيد، فقد استطاع إيجاد اسمًا له ومكانة فى سوق الأسماك المحلى وأيضًا التصدير للدول المجاورة..

ولكن النجاح الأكبر، الذي كان يهم رجال الموساد الإسرائيلي هو نجاحه في الإيقاع باثنين من الشباب المصري وتجنيدهم، والوصول معهم

لأبعد مراحل التدريب، وأخيرًا إرسالهم تحت أسماء مستعارة ووظائف جديدة لجمع المعلومات من الجيش المصري والوضع الداخلي بمصر من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة للحالة العامة النفسية للمجند المصري.

وكان "يوسي كاتسير" يعمل بالطبع تحت اسم مستعار وليس اسمه الحقيقي..

فأطلق على نفسه اسم "هارون"، ولكنه كان يطلب ممن يعرفه أن يناديه باسمه المفضل لديه "أبو جميل"، وبذلك صار لهذا الرجل أسماء متعددة..

اسمه الحقيقي "يوسي كاتسير"، واللقب المفضل لدى أهالي مصر وبورسعيد "خنزير"، ثم اسم "هارون" المستعار الذي يُعرف به نفسه لكل من يقابله، واسم الدلع أو الشهرة لدى من يقوم بتجنيدهم "أبو جميل".

وعلى الجانب الآخر، كانت خلية النحل تعمل حول "نديم" أو "سراج زغلول" لإكسابه كل المعلومات والمهارات التي يحتاجها؛ ليبدأ مهمته في مراقبة وتتبع " أبو جميل"، وكذلك إفساد محاولة تجنيد الشباب المصري من ضعاف النفوس.

وبالطبع لم يكن فى استطاعته أن يتحرك وسط المجتمع اليوناني باسم "سراج زغلول"، لذا تم اختيار اسمًا جديدًا يتناسب مع ثقافات المجتمع الذي سيصبح واحدًا منهم، اختار له "بهاء إسماعيل" اسم "دميان".

انتظم "دميان" أو "سراج زعلول" في دورة تدريبية للتعريف بأثينا العاصمة، الشوارع والميادين وأهم الأماكن والمزارات السياحية وكل ما

يهم المقيم فى أثينا، ودراسة الخريطة التفصيلية للمدينة وكأنه يعيش فيها منذ سنوات مع استخراج الأوراق اللازمة له باسمه الجديد "دميان"، وخلق قصة لاسم عائلته وبعض ظروف حياته..

مع تدريبه على طرق التخفي والتنكر إذا لزم الأمر، واستطاع "صبري عبدالهادي" بعد بذل جهد كبير من تحديد هوية الشابين المصريين الذان استطاع "أبو جميل" تجنيدهم وإرسالهم لمصر بأسماء أخرى..

وأرسل "صبري" كل المعلومات للقاهرة للتحرك وعمل اللازم قبل وقوع الكارثة وانخراط الشابين وسط زحام القاهرة وصعوبة الإيقاع بهما..

وكثف "صبري" وزميله "بهاء" من تواجدهما في مقاهي تجمعات المصريين والمطاعم التي يرتادونها، وبالتعاون مع بعض المقيمين القدامى هناك، استطاعا إفساد الكثير من محاولات تجنيد الشباب لحساب أعوان ورجال "أبو جميل".

ولكن لم ينس كلاهما المهمة الأخرى الموكل بها إليهما، وهى البحث عن مذكرات "يوسي كاتسير"، وكانت هذه هى إحدى المهام الموكلة إلى "دميان"، الذي يبدأ دوره بعد الخطوة الأولى من إيقاع "أبو جميل" بفريسة من داخل مقاهي المصريين، إذ لا يستطيع "دميان" أو "سراج زغلول" التواجد في تلك المقاهي؛ نظرًا لملامح وجهه الأوروبية الطابع، ولكن دوره يبدأ من الخطوة الثانية، وهى الاستفراد بمن يقع ومحاولة إبعاده عن "البيت الآمن safe house"، الذي يقيم فيه "أبو جميل" ورجاله بإحكام سيطرتهم على الضحية والوقوع بها بعد اكتشاف نقطة ضعفه واللعب عليها

للضغط على الضحية وقبول العمل معهم، والتعاون مع الموساد الإسرائيلي مع عرض كل الإغراءات المادية الضخمة، التي يحلم بها كل شاب للوصول إلى الثراء السريع.

تبدلت واختلفت الأجواء في فيلا "إيفا" شاطئ العجمي، بعد فترات من الحزن منذ يوم تأميم أموال الباشا، فعادت الضحكات والمرح من جديد، واستعادت منها "إيفا" حيويتها واستجابتها للعلاج، وتحسن النطق لديها وقل التلعثم فى الكلام..

حالة من الفرح سادت الجميع برؤية "نديم" شبيه "نبيل" الصغير..

تبادل الجميع الضحكات، وكانت أكثرهم سعادة هى "إيفا"، وكان ذلك واضحًا عليها أمام الجميع، لكن الذي لم يكن واضحًا وخفيًا على الجميع، هى بداية تكوين دقات قلب جديدة على قلب "فايزة"، إذ شعرت بحنين غريب لوجود "نديم" حتى ولو كان لبضع ساعات فقط، ما يسمون هذا، لا تدري لكن ما تمر به لم يحدث من قبل، الاشتياق لـ "نديم" كان غير عادي، لم تشعر برغبة فى الشجار معه كما كان يحدث منذ سنوات أو استعمال دهاء الشر لديها في الاختباء ثم إلقاءه بالحجارة ثم التخفي والاختباء مرة أخرى..

بل تبدلت الأمور لديها تمامًا، صارت لطيفة، هادئة، ووديعة مع ازدياد جمالها وأنوثتها بشكل لافت، وهو ما حدث لـ "نديم"، إذ جذبت انتباهه بوداعتها، صمتها والجمال المصري الطاغي من ملامح وجهها الرقيق..

هل هى بداية إعجاب متبادل بين "فايزة" و"نديم".. ربما!!

ولكن ماذا عن "إيفا" المتعلق قلبها وروحها وسعادتها بيد "نديم"، فبمجرد ظهوره ينقلب كل شئ داخلها إلى النقيض، الحزن يتحول إلى بهجة، والرفض يتحول إلى قبول من دون نقاش، وفي سهولة غريبة، "إيفا" ليس لديها أى أصدقاء ولا تعرف إلا من هم حولها، "علية"، "فايزة"، والهانم، والباشا بالطبع، لكن كان "نديم" لديها له طعم آخر، بدأ بحب الشبه الكبير بينه وبين أخيها الراحل "نبيل"، لكنه مع الوقت ولطف معاملة "نديم" لا.. تحول تدريجي إلى احتياج، ومع الغيبة الطويلة صار اشتياق ولهفة ممزوجة بحب لم تعرفه من قبل يختلف عن حبها لمن حولها فكلهم تقريبًا متساوون في قلبها، لكن "نديم" وضع نفسه فى كفة أخرى، نوع آخر من اللهفة والشوق، سحر الحب الذي يبدل المرض إلى عافية..

دخلت "كاميليا" السنة النهائية لإتمام دراستها للغات الشرقية (اليونانية والعبرية)، فكانت متفوقة للغاية خصوصًا في اللغة اليونانية، التي أتقنتها حتى قبل أن تلتحق بالجامعة والفضل يعود إلى وجود "لاريسا" التى علمتها الكثير عن تلك اللغة العريقة، ولكن ما تعلمته فى الجامعة، وأضاف لها هو الأدب اليوناني والفلسفة اليونانية، فصارت في مستوى متقدم للغاية عن بقية زملائها وزميلاتها القلائل.

أما العبرية فقد أبلت فيها بلاءً حسنًا نظرًا لانتشار الجالية اليهودية فى حي العطارين بالإسكندرية، فكانت تتعامل مع الكثير منهم،

فاستطاعت تعلم الكثير من الكلمات والجمل، وقد ساعدها ذلك كثيرًا خصوصًا أن الجامعة قد أعلنت عن حصول العشرة الأوائل على منحة

للخارج لإتمام الدراسات العليا على نفقة الجامعة حسب نوع اللغة التي يدرسها الطالب سيتم توجيهها إلى البلد المناسبة لتلك اللغة..

لمعت الفكرة في عين "كاميليا" تذكرت على الفور "لاريسا" وعم "أنطون" وطنط "نارفارا"، ولم لا! كان الطلبة يتحدثون بحماس حول تلك المنحة واحتمالية أن يكون أحدهم من العشرة الأوائل الفائزين بتلك المنحة..

عادت "كاميليا" من الجامعة إلى بيتها سيرًا على الأقدام وخيالها لم يتوقف للحظة عن إمكانية حصولها على المنحة، واختيارها لعمل الدراسات العليا فى الأدب واللغة اليوناني، بالتالي تستطيع لقاء "لاريسا" مرة أخرى بعد طول فراق..

لم يكن لدى "أنطون" القدرة المالية لإلحاق ابنته الوحيدة "لاريسا" بالجامعة، إذ أن الدراسة باهظة الثمن، مما جعله يترحم على أيام إقامته في مصر، وأن الجامعة لم تكن لتكلفه شيء على الإطلاق، إذ أن الدراسة مجانية، حتى لو كان من الجالية اليونانية، وجعلته أيضًا يصب غضبه ولعناته على من اتخذ القرار بطرد الأجانب من مصر، خسر عمله وبيته ومحله وأمواله، وعليه أن يبدأ من جديد ولكن في ظروف أصعب ومتدنية، هو الآن عامل في مصنع ألبان بعد أن كان يملك محلًا للبقالة، ولا يعمل لدى أحد، أيضًا الجيران الأحباب والتماسك والترابط بينهم، أين هو؟

هو الآن هنا في مدينة يعيش فيها وأسرته كالأغراب..

والأصعب كان على "لاريسا" نفسها فقد ضاع حلمها بالالتحاق بالجامعة وأن تصبح طبيبة.. وتحديدًا طبيبة أطفال فهى تعشق الأطفال خصوصًا في سن صغيرة، لم تكمل تعليمها واكتفت بالثانوية العامة، وهى الآن تعمل فى أحد الفنادق وقد حصلت على الوظيفة بصعوبة بالغة وما ساعدها هو إتقانها للغة العربية بجانب اليونانيةن وأن هذا الفندق يتردد عليه عدد لا بأس به من النزلاء العرب، فصارت تعمل ستة أيام في الأسبوع وتحصل على يوم الأحد إجازة..

وتحاول الخروج لاكتشاف المدينة كأي مغترب جديد على العاصمة أثينا، ولم تستطع تكوين أصدقاء بعد، وعزاءها الوحيد هو الخطابات المتبادلة مع الصديقة الوحيدة "كاميليا"..

وفي أحد أيام الإجازات هذه، توجهت مع زميلة لها من العمل إلى شاطئ البحر لقضاء اليوم على الشاطئ والسباحة التي كانت تجيدها وتعلمتها جيدًا منذ أن كانت في الإسكندرية..

استعادت مهاراتها في السباحة، وبعد فترة قصيرة شاهدت على بعد أمتار عدة يدين مرفوعتين، هناك من يكافح الغرق، وسمعت أصوات استغاثة..

ضربت الأمواج بيدها وأقدامها بأقصى سرعة إلى أن وصلت إلى طالب المساعدة إنها فتاة على وشك الغرق، استطاعت أن تسحبها خلفها والإمساك بها من كتفها إلى أن وصلت إلى الشاطئ الرملي، تجمع الناس للمساعدة وصار كل شئ على ما يرام، الفتاة صارت فى حالة جيدة بعد أن لفظت المياه الزائدة التي ابتلعتها..

أخذت الفتاة قسطًا من الراحة بصحبة "لاريسا" وزميلتها، تناولت بعض الماء وبدأت حديثها إلى "لاريسا" بتوجيه الشكر، وأنها مدينة لها بحياتها فلولاها لكانت غرقت فى ثوان وابتلعها البحر، عرضت عليها المال لكن "لاريسا" بالطبع رفضت، وأجابتها بأنها لم تفعل أكثر من أي إنسان مكانها سوف يفعله، "إنه الطبيعى، فأنا تعلمت السباحة في الإسكندرية بمصر، وهذا هو العادي هناك، الكل يساعد مهما كانت التكلفة".

أبدت الفتاة اندهاشها من كلمات "لاريسا" وظهر الإعجاب واضحًا عليها للغاية، وقدمت نفسها إلى "لاريسا" وزميلتها: "أنا "إميليا" أعمل فى شركة مصايد أعالى البحار".

لاريسا: "أنا "لاريسا"، أعمل في فندق بوسط المدينة".

وجهت "إميليا" الدعوة إلى "لاريسا" للعشاء لتقديم الشكر لها،

وقبلت "لاريسا" الدعوى، لم يكن هناك ما يدعو لرفض الدعوة، خصوصًا أن إميليا تبدو فتاة لطيفة للغاية كما يبدو عليها المستوى الاجتماعي الراقي..

وقد كانت "لاريسا" في حاجة لأن تكون لها صديقة كي تكسر حالة الوحدة والشعور بالغربة الملازم لها منذ تركها الإسكندرية وقدومها إلى أثينا..

اتخذت "إميليا" طريقها للعودة، وبعد أن تحسنت حالتها، وبدلت ثيابها، أمسكت الهاتف، وطلبت "أبو جميل" أو "يوسي كاتسير" فهو رئيسها في العمل فهى السكرتيرة الخاصة له، وأيضًا صديقة مقربة للغاية ولها نشاط ملحوظ من الإيقاع بالشباب الذين يقع عليهم الاختيار للتجنيد..

إميليا: "حبيبي أبو جميل".

أبو جميل: "أهلا بالقمر بتاعي، ماذا وراءك؟".

إميليا ضاحكة: "كنت على وشك الخلاص مني اليوم".

أبو جميل: "وكيف هذا؟!".

قصت له "إميليا" ما حدث لها بين أمواج البحر، وظهور "لاريسا" وقدرتها علي السباحة ببراعة وإنقاذها من الموت، ثم أضافت أن المفاجأة الجميلة هى أنها قادمة من الإسكندرية، فهى وأسرتها إحدى المطرودات من مصر في الفترة الأخيرة، وقد وجهت لها الدعوة على العشاء في نهاية هذا الأسبوع.

شعر "أبو جميل" بأنه ربما وقع على كنز، فعادة ما تلمع عيناه عندما يتقابل مع أي إنسان مصري أو له علاقة بمصر، أثنى كثيرًا على تصرف "إميليا" بدعوتها على العشاء ثم أضاف مازحًا: "أريدك أن تغرقي في البحر كل يوم".

وبالطبع كانت "إميليا" مدربة بشكل كافٍ لتستطيع استدراج "لاريسا" للحصول منها على أكبر قدرًا من المعلومات عنها وأسرتها وحياتها الشخصية..

ربما تصلح للاستفادة منها أو لا تصلح، سيظهر ذلك بعد دعوة العشاء واللقاءات التي تليها، ولكن الشيء المؤكد لـ "أبو جميل" أن "لاريسا" ليست فخًا أو مصيدة من المخابرات المصرية فكان هذا أكثر ما يؤرقه

ويرهقه في العمل، وعمل الاختبارات للعميل، الواحد تلو الآخر، إنه غير مدفوع إليه من المخابرات المصرية..

فقد حدث حادث الغرق صدفة ومن دون ترتيب، كذلك ظهور "لاريسا" لـ "إيميليا"، كان أيضًا محض صدفة، فقد بعث الاطمئنان في قلبه..

أمضى نديم أيام عدة في التجول فى الأماكن التي سيرتادها كثيرًا في الفترات المقبلة، تفقد أماكن تجمع المصريين وكذلك المطاعم الفاخرة في وسط البلد وعلى الكورنيش، التي عادة ما يستخدمها رجال الموساد الإسرائيلي في إبهار ضحاياهم وإشعارهم أن حياة الطرف متاحة لهم طالما يقدومون العون لأصدقائهم، أي رجال الموساد، على حد تعبيرهم الخبيث..

كذلك تفقد المبنى الذي يقع فيه مكتب شركة مصايد أعالى البحار المملوكة لـ "أبو جميل" أو "يوسي كاتسير"، "الخنزير"، واستطاع أن يراه عن بعد أثناء مغادرته المكتب، وقبل أن يستقل سيارته، استطاع أن يلتقط إليه بعض الصور..

نعم إنه هو "الخنزير" القديم، تذكر "نديم" أو "دميان" ما حدث له ولأخته "كاميليا" منذ سنوات طوال، إذ كان هذا الوغد قائدًا على دبابة إسرائيلية تسير وتجول بشوارع بورفؤاد، تذكر ضرب "كاميليا" له وإحداث جرحًا غائرًا فى أعلى الحاجب، كما تذكر دماءه العفنة وهى تسيل على وجهه القبيح، كم يكرهه، ولم ينس وضع أخته "كاميليا" أمام جنزير الدبابة كي

يسير فوقها لولا استطاعهما الهرب والاختباء فى أماكن متفرقة، ومن يومها لم يلتقِ بأخته، وهذا الخنزير هو السبب في الفراق والدمار وقتل أبي وأمي وخالي..

لولا أنه تدرب جيدًا على التحكم في أعصابه وعلى طرق الثبات الانفعالي، لتوجه إليه وقتله، مهما كانت النتائج، لكن صبرًا، هكذا كان يقول لنفسه: "صبرًا، إن غدًا لناظره قريب، يومك قادم يا خنزير، حتى لو غيرت اسمك عشرات المرات، فلتكن "هارون"، "أبو جميل"، أنا ورائك، ولن تفلت حتى تدفع الثمن باهظًا، حسابك ثقيل للغاية".

تقابلت "إميليا" و"لاريسا" حسب الاتفاق في أحد الميادين الكبيرة..

استقلت "إميليا" سيارتها المكشوفة الفاخرة، ودعت "لاريسا" بالجلوس إلي جوارها، وهذا هو الانبهار ولفت النظر الأول الذي تتعرض له "لاريسا"..

تتجول "إميليا" في شوارع العاصمة وهى تتبادل الحديث مع الصديقة الجديدة أو الضحية الجديدة "لاريسا"، إلي أن توقفت أمام أحد المطاعم الفاخرة، التي ينتمي روادها إلي الطبقة الارستقراطية، عشاء فاخر على ضوء الشموع وعزف البيانو الهادئ الرقيق..

ورائحة العطور تنبعث من كل رواد المطعمن التي تختلط برائحة الطعام المشوي، ضحكات هنا وهناك، التدليل الزائد من العاملين للزبائن..

فكل شيء يأتي إليك وأنت جالس، تغسل يدك بمنشفة معطرة قبل وبعد الطعام..

الجو بديع فى صالة الطعام وسط الطبقة الارستقراطية، "لاريسا" الآن تجلس على الطاولة، تُقدم لها الخدمة، وليست هى من يقدم الخدمة كما تفعل في الفندق الذي تعمل به، وبعد انقضاء الليل سوف ترتدي زي الفندق، وتقوم على خدمة النزلاء، الآن هى فى المكان المقابل، هى النزيلة، هى من تتلقى الخدمة والجميع يتودد لها لكسب رضاها وثنائها على المكان والطعام، والحديث مع "إميليا" ممتع.، فهى لبقة فى الحديث والابتسامة لا تفارقها، لها شعر أحمر غامق، منمق للغاية، وتضع القليل من المساحيق على وجهها الجذاب مما يزيد من بريقها وجمالها، مما أخذ "لاريسا" الكثير من الفضول لتسألها أين تقوم بتصفيف شعرها، وعمل مكياج الوجه؟

ضحكت "إميليا" وهى تربت على يدها: "لا تقلقي المرة المقبلة سأصحبك معي".

وبعد تقديم طبقة الشوربة بالفواكه البحرية، ثم السلطة بكوكتيل الجمبري، وبعدها المقبلات، التي كانت تشكيلة من أفخر ما أنتجه البحر المتوسط..

وبعد عشر دقائق والاستمتاع بأنغام الموسيقى، تقدم إليها النادل، وقدم طبق من الاستاكوزا بصوص الليمون والشبت،

وفي كل مرة يُقدم طبق إلى "لاريسا" كانت "إميليا" ترمقها بنظرة لقراءة ردة الفعل عليها، هل ستنبهر بالمستوى الراقي للطعام أم لا؟ فإذا حدث هذا الانبهار فهذا يعني لهم -أي رجال الموساد- أنها ضعيفة أمام المال، وهو

مدخل جيد للإيقاع بها، وفى نفس الوقت كان يجلس على الطاولة المقابلة لهما، رجل وسيدة..

كانت السيدة تقوم بتصوير كل ما يجري على طاولة "إميليا" و"لاريسا"..

وبالطبع كانا تابعين لـ "أبو جميل"، فقد أرسلهما للمطعم ليكونا عينًا له هناك، وينقلون له كل شئ وبالصور، فقد كان فى أشد الحاجة لتجنيد عملاء جدد وزرعهم فى مصر، تقدم إليها النادل مرة أخرى، بوعاء ماء دافئ وعلى وجه الماء قطع من الليمون مع بعض وريقات الورد الأحمر، لم تفهم "لاريسا" ما هذا، وإذا بـ "إميليا" تضع بيدها فى الوعاء، تفلت بيدها جيدًا ليقدم لها النادل قطعة من القماش المعقم، ابتسمت "لاريسا" في خجل وفعلت كما فعلت إيمليا"..

بعدها تقدم النادل بقطعة خشب لكل منها فوقها بعض أنواع من الجبن وعناقيد العنب الفاخرة، مع بعض حبات عين الجمل..

وهنا لم تنتظر "إميليا" أن تشاهد حيرة "لاريسا"، فأخبرتها على الفور أن تناول الجبن بعد الطعام يساعد في الهضم، خصوصًا أن هذه الأنواع من الجبن تحتوي على البكتيريا النافعة، ورغم أن والد "لاريسا" كان بقالًا في مصر ويعمل فى مصنع ألبان هنا في أثينا، إلا أنها لم تتعرف على نوع واحد فقط من هذا الجبن والباقي تبدو جديدة عليها ولم ترها من قبل..

ظنت "لاريسا" أنهم فرغوا من تقديم الطعام إلا أن النادل يبدو أنه لن يتركهم الليلة، فقدم إليهم طبقًا من ترايفل الشيوكلاتة مع التوت البري، وسأل كل منهما عن المشروب المفضل لديها..

لم تكن الليلة لتنتهي من دون حدث عام، الذي كان وراءه "نديم" أو "دميان" فقد كان يجلس في سيارة مع أحد معاونيه يراقب طاولة "إميليا"، التي كانت بجوار النافذة باستطاعته أن يلتقط الكثير من الصور لهما، ولم يكتفِ بذلك بل ودخل إلى داخل المطعم بملامحه الأوروبية.. وتحدث مع النادل إن كان يستطيع أن يحجز طاولة على العشاء في الغد.. وبالطبع كان يحمل في يده كاميرا صغيرة للغاية وقام بتصوير "إميليا"، التي كانت معروفة لدى رجال المخابرات المصرية أنها الذراع الأيمن لـ "أبو جميل" أو "يوسي كاتسير"..

وبالطبع عندما سأل النادل عن رقم الهاتف لإتمام الحجز، أعطاه دميان رقم هاتف وهمي، فهو لم يكن يقصد دخول المطعم للحجز، ولكن لالتقاط الصور عن قرب، ومن حسن حظه أن ظهرت في الصور الطاولة التي بجوار "لارسيا" و"إميليا"، التي عرف بعدها أنها أحد معاوني "أبو جميل"..

هنا اتضحت الصورة إنهم بصدد الإيقاع بفريسة جديدة، وكان عليهم أي رجال المخابرات المصرية، تتبع "لارسيا" ومعرفة كل المعلومات التفصيلية عنها..

طلب "دميان" من النادل استعمال الهاتف، أجابه أنه على اليسار فى ركن القاعة مر دميان بين طاولة "إميليا" والطاولة الأخرى التى بجانبها،

وتظاهر بعمل مكالمة، ثم غادر المطعم عائدًا إلى السيارة ومعه أول طرف الخيط..

مع تناول الحلوى والقهوة الساخنة.. سألت "إميليا" "لاريسا" عن سبب تركها مصر والحضور إلى أثينا فهى تسمع أن الإسكندرية مدينة جميلة وساحرة، ويطلق عليها عروس البحر المتوسط، وربما تكون أجمل من أثينا، فما الداعي إذن؟!

هنا ظهرت مسحة حزن على وجه "لاريسا".. وأطلقت للسانها العنان لتحكي عما جرى لهم من ظلم وقهر بقرار غير مدروس من القيادة فى مصر، إذ على الأجانب مغادرة البلاد في فترة قصيرة، خسرت صديقتها الوحيدة وجيرانها الطيبين، كما أن والدها خسر محله والكثير من أمواله، حتى أمها "نارفارا" كانت تعمل حائكة ملابس، وكان لديها زبائن من هوانم صفوة المجتمع السكندري، هى أيضًا خسرت كل هذا، ثم هطلت دمعة من عيناها، اعتذرت وتلفتت حولها وهى تشعر بالخجل..

تناولها "إميليا" منديلًا وهى تقول أن لديها كل الحق فالقيادة في مصر الآن من الضباط الأحرار يتخذون قرارات خطيرة ولا يعرف أحد ماذا سيحدث غدًا..

ثم سألتها "إميليا" عن صديقتها الوحيدة، فصارت تحكي "لاريسا" عن "كاميليا"، كم هى لطيفة ورقيقة ومخلصة لها للغاية، ثم قصت عليها أن أباها العقيد/ فكري الصباغ، (هنا لمعت عين إميليا)، وقالت من دون قصد:

"ضابط بالجيش"، أجابتها "لاريسا": "نعم"، ثم قصت عليها قصة النقود التي يحتفظ بها لأبيها بعد أن باع كل الأغراض بعد سفرهم..

في الأول من يونيو عام ١٩٦٧، كانت "كاميليا" تستعد لامتحانات نهاية العام في السنة النهائية في الكلية، وكانت تتمني وترجو من الله أن تكون واحدة من العشرة الأوائل كي تحصل على المنحة، وقد تحدد موعد الامتحانات يوم السبت ١٧ يونيو ١٩٦٧..

وتمر الأيام بطيئة ليستيقظ الشعب المصري علي دق طبول الحرب بين العدو الصهيوني والجيش المصري، والجميع يستمع إلى البيانات المذاعة من قبل القوات المسلحة، التي تبعث الفرحة لدى المصريين والبشرى بالتقدم الساحق على العدو، وإسقاط طائراته وحرق دباباته، وقرب إغراق جنودهم في المياه..

وفي اليوم الثالث..

استفاق المصريون على الخدعة الكبرى والبيانات الكاذبة والحقيقة هى ضياع سيناء بالكامل، وأن أقدام العدو النجسة تقف على الضفة الشرقية لقناة السويس.

إنها النكسة، هكذا أطلق عليها رجال الإعلام في مصر، تنكست الأعلام، والحزن يطغي على الجميع خصوصًا أفراد وقادة الجيش المصري، الذي لم يتسن لهم دخول حرب مباشرة، وهذا ظلم لهم ولقدراتهم، إلي أن جاء يوم آخر حزين، وهو ٩ يونيو ١٩٦٧، الذي أعلن

فيه الرئيس عبدالناصر عبر خطاب شهير، إعلانه التنحي والتنازل عن السلطة والعودة إلي صفوف الشعب..

انطلقت المظاهرات في كل مكان رافضة للقرار ومطالبة الرئيس بالعودة لمنصبه والاستعداد لرد الكرامة وطرد الأعداء من سيناء..

كثف رجال الموساد اجتماعاتهم التي لم تتوقف لمتابعة وتحليل تصريحات القيادة المصرية وخطاب التنحي وردة فعل الشعب إزاء هذا الموقف..

وعلى الجانب الآخ، كانت هناك فرق من كتائب الاستطلاع المصري، تراقب الموقف فى سيناء وترسل المعلومات للقيادة المصرية عن أماكن تمركز القوات الإسرائيلية في سيناء وعلى حدود قناة السويس..

وكان أحد هؤلاء الأبطال "شكري"، الذي لم يذق طعم الراحة حتى أرسل كل ما طُلب منه للقيادة المصرية والمخابرات الحربية، فكان يعيش حياة قاسية بين جبال سيناء..

مرت الأيام بطيئة وحزينة في الشارع المصري وبين طلبة الجامعة، وفي أول أيام الامتحانات كان الجميع صامتًا، يؤدي ما عليه والحزن يخيم على الجميع رغم مرور إثنا عشر يومًا على النكسة، وثمانية أيام على خطاب التنحي والمظاهرات..

وكانت أصعب تحديدًا على "كاميليا" وأسرتها، إذ التصقت بأمها "إسعاد" في غياب الأب "فكري"، الذي لم يغادر القاعدة الشمالية العسكرية، وبين الحين والآخر يطمئن عليهما عبر مكالمة هاتفية، إنها الآن

مرحلة إعادة تقييم الموقف بأكمله وإعادة الثقة لعناصر الجيش وبناء جيشًا جديدًا وتلافي أسباب خسارة الحرب بدأً من ضرب المطارات المصرية والطائرات لم تتحرك من مكانها..

وكانت هناك ضرورة ملحة لتشكيل قوة للدفاع الجوي لإيقاف طائرات العدو التي استباحت الأجواء المصرية، فصارت تكثف غاراتها وترهب الأهالي، خصوصًا ممن هم من مدن القناة، وقام "حجازي" بجمع عددًا من الأهالي لتشكيل فرق مقاومة شعبية إذا دخل الجيش الإسرائيلي المعتدي بدباباته وعرباته إلى بورسعيد، واستطاع جمع عددًا لا بأس به من الرجال وتدريبهم على حمل السلاح وما يسمى بحرب الشوارع..

رغم النكبة والهزيمة إلا أن انتصارت من نوع آخر كانت تتحقق.. فقد تساقط عدد لا بأس به من الجواسيس العاملين لدى الموساد من قلب القاهرة، وسقوط الشبكات التابعة لهم مما أصاب قيادات العدو بالجنون، وتحديدًا قيادات الموساد مما جعل "بن جوريون" يثور غضبًا ويستدعي وزير الدفاع، "موشي ديان"، وأيضًا رئيس الموساد، "مائير عميت"، للإعراب عن غضبه من تفوق رجال المخابرات المصرية على نظيرهم الإسرائيلي رغم الإمكانات الضخمة والميزانية التي توفرها القيادة فى إسرائيل من أجهزة حديثة وأموال وحزمة تدريب غير مسبوقة، ومع ذلك تتساقط فئران أو عملاء الموساد الإسرائيلي فى مصيدة رجال المخابرات المصرية..

فيحصلون على الأجهزة الحديثة مجانًا وبسهولة، بالإضافة إلى المعلومات التي يدل بها كل من يسقط في قبضتهم، إنها الصفعة تلو الأخرى..

يحتاج الجاسوس لوقت طويل في التدريب وخطط التمويه لزرعه ووضع ساترًا أو غطاءً يعمل من خلاله بالإضافة للتكلفة الباهظة.. ثم يسقط بعدها في وقت قصير وبكل سهولة لرجال مخابرات مصر..

ظل "بن جورويون" في حالة هياج وغضب لم يستطع أحد إيقافه.

* * *

قدمت "إميليا" تقريرًا مفصلًا كتابيًا إلى "أبو جميل" وبعد أن قرأه، أرفق معه الصور التي تم التقاطها عبر مساعده، الذي كان يجلس بصحبة سيدة في الطاولة المقابلة لطاولة "لاريسا" و"إميليا"، على أن يرسلها إلى قيادات الموساد في إسرائيل..

ثم استمع إلى تقرير شفوي من "إميليا" عما حدث بكل تفاصيله وكل كلمة قيلت من "لاريسا" وانفعالاتها ورد فعلها على كل ما حدث في المطعم الفاخر، الذي يؤكد انبهارها واستعدادها لكسب المال والعيش فى ثراء، وبعد أن فرغت "إميليا" سألها "أبو جميل": "ألم يلفت انتباهك شيء مهم فى حديث لاريسا؟!".

إميليا: "نعم أفهم ما تقصد أنا أيضًا لفت انتباهي بشدة".

أطلق "أبو جميل" ضحكة إبليسية..

ثم أضاف: "كيف لي أن أجد من يفهمني مثلك، نعم أقصد صديقة "لاريسا" الفتاة المصرية، أظن أنها قالت أن اسمها "كاميليا"، ولكن الأهم هو من أبوها، إنه ضابط في الجيش المصري، علينا من الآن معرفة تفاصيل أكثر عن هذا الضابط، ما اسمه، رتبته العسكرية، وفي أي موقع في الجيش

يعمل؟! كل شئ يتعلق بهذا الضابط، إن صديقتها "كاميليا" ستكون مفيدة لنا أكثر من "لاريسا"، فعن طريقها يمكن العمل على تلك الفتاة المصرية " كاميليا" ".

إميليا: "فلنشرب إذن نخب الاكتشاف الجديد مع الاحتفاظ بمكافأة استثنائية لي.. هل توافق؟"

أبو جميل: "عزيزتي.. أنتِ تستحقين أكثر من مكافأة، وسأثبت ذلك حالًا"، ثم وضع يده على كتفها واصطحبها إلى الداخل.

ظهرت نتيجة امتحانات الكلية وحصلت "كاميليا" على المركز الأول مكرر، مناصفة مع طالب آخر حصل على نفس الدرجاتن فكانت الفرحة في قلبها وبيتها مع "إسعاد" و"فكري"، وهى أول فرحة وزغروطة ترن فى بيتهم منذ يوم النكسة..

إستطاع "دميان" أو "نديم" جمع أكبر قدرًا من المعلومات عن "إميليا"، وأيضًا عن "لاريسا"، وبعد عقد اجتماعات عدة مع الضابطين "صبري عبدالهادي" و"بهاء إسماعيل" توصل إلى خطورة الدور الذي تلعبه "إميليا" للإيقاع بالضحايا والتجهيز لتجنيدهم، فهى عادة ما تستخدم وسائل الإغراء مستغلة جمالها وأنوثتها الطاغية في الإيقاع بأصحاب الغرائز والنفوس الضعيفة من الناقمين على الأوضاع في البلاد خصوصًا بعد الهزيمة ونكسة ٦٧.

ولكنها تعدت حدود إغراء الشباب إلى الإيقاع بالفتيات، وها هى تعمل على نصب شباكها حول "لاريسا" ليس عبر الإغراء الجسدي، ولكن عبر

الإغراء المالي والمادي والحياة المترفة، والثراء السريع، عبر انتشالها من وظيفة متواضعة في فندق إلي وظيفة أفضل وبراتب يفوق ما تتقاضاه عشرات المرات، وهو ما لمعت عينا "لاريسا" عند سماعه في أحد لقاءاتها مع "إميليا" في أحد المقاهي لتناول القهوة والفطائر.

فكان حديث "إميليا" منصبًا أغلبه للسؤال عن الأحوال في مصر، وصديقتها "كاميليا" وأسرتها، خصوصًا الأب الذي علمت أنه ضابط مهم في الجيش لا تعلم رتبته تحديدًا، لكن اسمه "فكري الصباغ" وهو في المنطقة الشمالية العسكرية..

هنا توقفت "إميليا" عن الحديث عن "كاميليا" وأبيها كي لا تلفت انتباه "لاريسا"، وانتقلت للحديث عن الذي تعرضت له هى وأهلها بعد طردهم من مصر، ثم تركت لها العنان لتخرج ما في قلبها من آلام وأحزان جراء القرار الظالم بطردهم، وكم من الضيق والغضب التي تصبها هى ووالداها على جمال عبدالناصر ومن حوله..

وهنا سألتها "إميليا": "هل أنتِ على الاستعداد للانتقام مما حدث لكم إذا سنحت لك الفرصة؟".

"لاريسا": لا أدري إذا كان فى استطاعتنا فعل أي شيء.. لكن لم لا؟!".

"إميليا": "لا تقلقي، اتركي لي هذا الأمر، سأساعدك بكل قوتي واتصالاتي للانتقام من كل من ظلمك وأولهم صاحب قرار طرد الأجانب".

* * *

أنهت "كاميليا" كل الإجراءات الخاصة بالمنحة، ووقع اختيارها بالتعاون مع أستاذها في الكلية على أن تكون دراسة الأدب اليوناني بجامعة أثينا، واختارت عنوانًا لرسالتها، "الأدب اليوناني وعلاقته بالفلسفة عند أرسطو"، وفي جلسة مطولة جمعتها بالأستاذ المشرف على رسالتها من الجانب المصري أعطى لها تعليمات كثيرة بناءً على خبراته، فى طريقة البحث والمراجع المطلوبة، وأن الجزء الأكبر سيتم بمعاونة الأستاذة في جامعة أثينا..

اقترب موعد السفر بعد أن تم حسم الجدل على سفر "كاميليا" لمدة عامين، وكانت مباراة بين فريقين، "إسعاد" من ناحية ضد "كاميليا" و"فكري".

"إسعاد" رافضة تمامًا فراق ابنتها والبعد في بلاد غريبة، وتعود للوحدة مرة ثانية مثل سابق عهدها قبل وصول "كاميليا"، وهى طفلة صغيرة للعيش في كنفها ومؤانسة وحدتها..

وعلى الجانب الآخر، أبدي العقيد/ فكري الصباغ موافقته لسفر "كاميليا"، واستكمال دراستها، فهى أظهرت فيها نجاحًا باهرًا، وهو يؤمن بالعلم إلى آخر مدى..

ورغم حبه الشديد للابنة، لكن عقله يريد أن يمنحها الفرصة التي لا تتكرر كثيرًا ولا تأتي إلا للقليل من المجتهدين..

قامت "كاميليا" بمراسلة "لاريسا" بعد تحديد موعد السفر، لمساعدتها في الحصول على سكن مناسب..

كانت السعادة تكاد تشرق وجه "لاريسا" بعد معرفتها بخبر قدوم صديقتها "كاميليا" إلى أثينا، ولاحظ ذلك كل من يعمل معها وظل هذا البريق ملازمًا لها حتى موعد لقاءها بـ "إميليا" للتنزه في إحدى الحدائق..

وبالطبع بادرتها "إميليا" بالسؤال: "أراكِ مختلفة اليوم، أكثر سعادة وعيناكِ بهما لمعة جذابة".

لم تستطع "لاريسا" إخفاء الابتسامة اللامعة في عيناها، وصرخت بفرحة وصوت يملأه البهجة: "نعم، هل لاحظتى ما أنا فيه! أنا فعلًا سعيدة للغاية، فقد حدث شيء قد اعتبرته سابقًا من المستحيل".

إميليا: "قتلتيني شوقًا.. ما هو هذا الشيء؟".

لاريسا: "هل تذكرين صديقتي المقربة للغاية.. كاميليا؟".

إميليا، وهى تتظاهر بالنسيان: "أظن ذلك ربما ذكرتي هذا الاسم أمامي".

لاريسا: "نعم فقد حكيت لك عنها وعن أسرتها".

إميليا: "ماذا في ذلك؟ ازداد شوقي، أكاد احترق".

لاريسا: "إنها قادمة إلى أثينا في خلال أسبوعين".

ثم أطلقت تنهيدة من صدرها، وكأنها نسيت معها كل الآلام الحبيسة في صدرها منذ أن طُردت هى وأسرتها من مصر.

دق قلب "إميليا" عندما سمعت عن المفاجأة، "كاميليا" الهدف الجديد ابنة ضابط الجيش المصري، سوف تحضر إلى هنا، إلى أثينا، وكأن

القدر يقدم لها يد العون والمساعدة للإيقاع بها وبعدها الإيقاع بأبيها، حضرة الضابط!!

بينما عيناها تلمعان وهى تستمع إلى المفاجأة بحضور "كاميليا" تخيلت أمامها شيك مقدم لها من "أبو جميل" بمبلغ محترم كمكافأة على هذا الخبر الرائع..

وصل إلى الثلاثة "نديم" أو "دميان" والضابطين "صبري وبهاء" الرد من المخابرات العامة المصرية فى القاهرة بمعلومات عن "لاريسا"، وكانت المفاجأة لهم أنها عاشت طوال عمرها في مصر، وكبرت بالإسكندرية وعاشت مع والديها في حي العطارين، وقد حضرت إلى اليونان مع أسرتها مهاجرة من الإسكندرية إلى أثينا مثل باقي الأجانب الذين هاجروا من مصر، وتضمن أيضًا كل المعلومات عنهم بالتفصيل وكان هذا تقريرًا مهمًا.

صبري: "إذًا هذه الفتاة "لاريسا" تتحدث العربية بطلاقة، وتعرف مصر والإسكندرية جيدًا، ولا بد أنها ما زالت على صلة بأناس في مصر ربما من أصدقائها أو زميلات الدراسة".

بهاء: "لا بد من وضعها تحت المراقبة وإرسال عنوان بيتها هنا للمكتب في القاهرة لمراقبة أي بريد صادر من مصر إلى هذا العنوان".

دميان: "اتركوا لي مهمة مراقبتها، فهى تبدو عديمة الخبرة وليس لها أي خطط للهروب من المراقبة أو التخفي، تتبعها سهل للغاية بجانب أن تحركاتها قليلة، لا تعدو التنقل بين المنزل والعمل في الفندق ثم بين الحين والآخر تتقابل مع الأفعى، أقصد" إميليا" ".

ضحك الضابط عند سماع تشبيه "نديم" لإميليا بالأفعى..

حزمت "كاميليا" حقيبتها، وكانت تمني نفسها بزيارة من "نديم" أخيها..

بعد أن تركت له رسالة في غرفته وبها عنوانها بالعطارين، لكن اقترب موعد السفر من دون أي تغيير..

قضت ساعة مع "إسعاد" تضمها وتربت على كتفيها وكأنها هى أمها وأن "إسعاد" هى الابنة..

ولم تتوقف "إسعاد" عن البكاء ومحاولة إقناع "كاميليا" بالعدول عن قرارها بالسفر، وأنها يمكن أن تلتحق بالدراسات العليا بجامعة الإسكندرية، لكن كل محاولاتها لم تأتِ بأية نتيجة..

اصطحبها العقيد/ فكري الصباغ مع "إسعاد" إلى ميناء الإسكندرية حيث تستقل الباخرة متجهة إلى ميناء "بيرايوس"، تحركت الباخرة من رصيف ميناء الإسكندرية..

وهى تلوح بيديها إلى الأم "إسعاد" والأب "فكري"، وكانت تتمنى أن تلتقي "نديم" قبل مغادرة مصر إلى المجهول.

مع إطلاق صافرة الباخرة الرخيمة، يدق قلب كاميليا بشدة، مع أسراب طيور النورس الحائمة حول مؤخرة الباخرة، وكأنها تحرس "كاميليا"، وتطمئن عليها إلى أن تصل إلى وجهتها باليونان، البيوت تبدو صغيرة، واختفت الرؤية تمامًا لرصيف ميناء الإسكندرية..

شعرت "كاميليا" أنها تريد العودة للإسكندرية، لكن الوقت قد مضى..

كان لقاءً حارًا للغاية، العناق والأحضان بين "لاريسا"، التي كانت على رصيف ميناء بيرايوس في انتظار هبوط الركاب من على ظهر الباخرة..

الضحكات اختلطت بالدموع، لم تصدق كل منهما أن يلتقيا مرة أخرى بعد هجرة الأسرة من الإسكندرية، هجرة بلا عودة لكن القدر فتح لهما بابًا آخر للقاء، بابًا من الطرف الآخر من الخيط..

صممت "لاريسا" أن تقيم "كاميليا" معهم في منزلهم الصغير، كذلك الأب "أنطوان" والأم، رحبا كثيرًا بالفكرة..

وكان "أنطوان" في أشد سعادته حين ناولته "كاميليا" هدية من أبيها "فكري"، وكذلك هدية للأم "نارفارا" من أمها "إسعاد"، ثم ناولت الأب "أنطوان" ظرفًا مغلقًا به مبلغ من المال، المال الذي احتفظ به "فكري" لديه بعد أن باع أغراض أنطوان بالكامل..

كانت "كاميليا" متعبة ومرهقة جسديًا ونفسيًا، دخلت حجرة النوم مع "لاريسا"، التي لم تتوقف عن الكلام، لتكتشف أنها تحادث حالها فقد راحت "كاميليا" في سبات عميق، وربما لم تسمع كلمة واحدة من كلام "لاريسا"، التي لم تتوقف أيضًا عن الكلام واختتمت بقولها: "غدًا نكمل حديثنا، لدى الكثير لأحكيه"، ثم وضعت عليها الغطاء وأطفأت الأنوار.

تلقى "يوسي كاتسير" برقية مشفرة من الموساد الإسرائيلي، مفادها أن يقوم بتكثيف مجهوداته، والإيقاع بأكبر عددًا من المصريين؛ لتكوين شبكة جاسوسية جديدة بدلًا من التي اكتشفتها السلطات المصرية وألقت القبض

عليهم جميعًا، وهم الآن قيد التحقيق وربما الاعتراف بكل شيء، وكانت آخر جملة في البرقية، نريد مصادر ووجوه جديدة..

قام "أبو جميل" بعدها بعقد اجتماعًا مع عدد من معاونيه وأيضًا "إميليا" لوضع خطة شاملة للانتشار في أماكن تجمع المصريين، ثم فكر بعدها في أن يعلن فى الجرائد المحلية عن حاجة شركة مصايد أعالى البحار إلى صيادين يجيدون اللغة العربية، وبذلك وعن طريق المقابلات الشخصية لمن يتقدم للوظيفة وفي الغالب سيكونون من الصيادين من مصر، وتحديدًا المدن الساحلية مثل الإسكندرية ورشيد وكفر الشيخ ودمياط وبورسعيد..

يمكن عمل ملفًا لكل شخص ودراسة حالته ربما يكون بينهم من يصلح للتجنيد..

استطاع "نديم" أو "دميان" فرض رقابة على "لاريسا"، وتم إرسال عنوان بيتها إلى رجال المخابرات فى مصر، مع عدد من الصور لها ومكان عملها، ثم أخيرًا صورة لها وهى تدخل ميناء بيرايوس بمفردها وبعد ساعتين تقريبًا، شوهدت وهى تخرج من الميناء بصحبة فتاة حاملة حقيبة سفر، ثم استقلا تاكسي..

تداخلت المشاعر واختلطت لدى "كاميليا"، وهى تتنزه في ميادين وشوارع أثينا، مشاعر السعادة بالسفر والنقلة الجديدة واجتماعها مع صديقتها القديمة والوحيدة بعد فقد الأمل في اللقاء، وأيضًا فقد شعرت بوحشة غريبة تجاه أمها "إسعاد" وأبيها "فكري"، جلست على أحد المقاعد الخشبية المنتشرة بطول كورنيش البحر، وأخرجت دفترًا وقلمًا،

وكتبت خطابًا لهما ودمعها يزرف ويسقط على الورق، ثم وضعت الخطاب في ظرف كانت تحتفظ به واقترضت طابعًا بريديًا من "لاريسا" ووضعته في صندوق البريد..

كان يتابع هذا المشهد "دميان" واثنان من زملائه، واستطاع تصوير "كاميليا"، نعم كاميليا، أخته، التي لم يدرك أنها هى "كاميليا" من يبحث عنها وتبحث عنه، فهو يراقبها ويلتقط لها الصور، ويرسلها إلى رجال المخابرات المصرية، يا ترى من تكون هذه الفتاة؟ فإنها تبدو بملامح شرق أوسطية أو عربية، ليجيب "دميان": "نعم، كأنني رأيتها من قبل، ملامحها مألوفة لدى للغاية، تذكرني بأختي الكبيرة" كاميليا" ".

قاطعه أحد الزملاء: "لديك أخت تدعى كاميليا؟!".

أجاب "نديم" أو "دميان" بعد تنهيدة عميقة: "نعم، لم التقِ بها منذ سنوات طويلة وكثيرة".

القدر يتلاعب بهما مرة أخرى أو ثالثة وربما عاشرة..

تفصل بينهما أمتار قليلة.. هو يبحث عنها وهى تبحث عنه..

وماذا الآن؟ هو رجل مخابرات مصري يراقب عنصرًا له علاقة بالجانب الإسرائيلي..

حتى ولو كان من بعيد، فهى تظهر مع "لاريسا"، التي تلتقي "بإميليا"، التي هى عنصر نشط بالموساد الإسرائيلي والزراع اليمنى للضابط السابق ورجل المخابرات الحالي "يوسي كاتسير" أو "أبو جميل"..

نعم إنه قدر مجنون، يلقي بخيوط فوق رؤوس كل من يقع تحت طائلته.. يحركهم كما يحرك لاعب العرائس دميته في مسرح العرائس.. يبدل أماكنهم يقربهم أحيانًا ويبعدهم أحيانًا أخرى كثيرة.. لعبة قاسية للغاية يعلم كم يتعذبون لكن لا يحرك له ساكنًا، قدر متبلد، منزوع المشاعر يقرب المسافات تارة ويلقيهم من أبعد الأماكن تارة أخرى، من يصدق أن يكون "نديم" و"كاميليا" والخنزير في مدينة واحدة يمكن أن تتجول فيها أقل من ساعة لتقطع شرقها إلى غربها.

استيقظت "كاميليا" من أفكارها وحنينها إلى الإسكندرية وبيتها في حي العطارين على يد "لاريسا"، وهى تقدم لها كوبًا من آيس كريم الفانيليا والشيكولاتة..

في صباح اليوم التالي..

استيقظ العالم بأجمعه على خبر هز أركان العالم وتحديدًا الدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط..

فقد استطاعت القوات البحرية المصرية يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٧، أي بعد أربعة أشهر من النكسة، وبواسطة زورق بحري صغير، من إطلاق صاروخين على المدمرة إيلات التابعة للبحرية الإسرائيلية، وإغراقها بالكامل..

المدمرة إيلات هى واحدة من أكبر القطع البحرية الإسرائيلية، التي كانت تجول مياه المتوسط وتقترب من الشواطئ المصرية بكل غرور من دون رادع..

استطاع عدد قليل من رجال البحرية المصرية وبزورق صغير من ضربها في المنتصف، وفي خلال ساعتين كانت قد غرقت بالكامل وابتلعها البحر، واستقرت في أعماقه بكل ما عليها من طاقم بحري، وتجهيزات عسكرية..

الحكومة الإسرائيلية في حالة هياج، غضب عارم بدأ من رئيس الوزراء، ومدير الموساد إلى أصغر العاملين..

اجتماع طارئ يضم مجلس رئاسة الوزراء ورجال الموساد والمخابرات الحربية الإسرائيلية، بالإضافة إلى قيادات من القوات البحرية، التي تتحمل الجانب الأكبر من فضيحة غرق أكبر وأهم مدمرة لديهم "إيلات"، وعلى يد من؟! القوات البحرية المصرية ذات الإمكانات المحدودة، والكارثة أنها غرقت بقذيفتين من لنش بحري صغير كأن فأرًا استطاع قتل الأسد، هذا كان تعبير أحد القيادات، الذي وجه جملته الساخرة إلى قائد القوات البحرية ومعه وزير الدفاع "موشى ديان"، وقد حضر مندوب من البنتاجون الأمريكي "وزارة الدفاع"، لفتح تحقيقًا -غير رسمي- ومناقشة القيادات الإسرائيلية لمعرفة ملابسات ما حدث وكيف حدث؟ إذ أن وزارة الدفاع الأمريكية هى الممول الرئيسي للأسلحة في إسرائيل، وهى تخشى على سمعة صناعة السلاح الأمريكية فقد كان على متن المدمرة "إيلات" رادارًا صُنع أمريكي، وكل التجهيزات كانت تابعة لسلاح البحرية الأمريكية..

حاول المسؤلون في إسرائيل التهدئة من روع المندوب الأمريكي لكن من دون فائدة..

الحدث جلل ولا توجد أعذار، كان لا بد من تفادي الضربة واكتشاف الزورق المصري وتدميره.. هكذا كانت آخر جملة للمندوب الأمريكي قبل أن يغادر..

تم استدعاء "يوسي كاتسير" أو "أبو جميل" من قِبل الموساد الإسرائيلي لمناقشة الخطة المستقبلية لتجنيد عملاء أكثر فاعلية من الموجودين حاليًا..

فقد كانت هناك قناعة لدى قيادات الموساد أنه كان من الممكن تفادي الضربة التي أغرقت المدمرة "إيلات"، إذا استطاع أحد الجواسيس العاملين بمصر معرفة تلك المعلومة وإرسالها إلى الموساد، وبالتالي تكون البحرية الإسرائيلية على أتم الاستعداد وتفادي الفضيحة بجانب خسارة قطعة بحرية هى الأكبر في أسطول البحرية الإسرائيلية..

وتم تدعيم "أبو جميل" بحبر سري جديد وشفرة إرسال جديدة بالإضافة لجهازين إرسال حديثين للغاية لإعطائهم لعميلين جديدين يزرعان داخل مصر..

وأثناء الحديث، كان "يوسي كاتسير" يفكر في "كاميليا"، صديقة "لاريسا"، ولكن لم يشأ أن يطلع الموساد على هذا قبل التحقق من الأمر، ومن استعداد "لاريسا" بالتعاون معه، وبالتالي سهولة الإيقاع "بكاميليا"،

ومن بعدها الضربة الكبرى محاولة الإيقاع بأبيها الضابط نفسه، وبذلك يكون لديهم عين داخل القاعدة العسكرية الشمالية للجيش المصري..

إنه حلم لكن ليس ببعيد، سأبدأ فورًا عند عودتي، لا بد من التحرك سريعًا..

استكمل اجتماعه مع القيادات، وعقله معلقًا بـ "لاريسا" و"كاميليا"..

أيضًا المخابرات العامة المصرية كانت تعلم أن إغراق المدمرة إيلات سوف يكون له ردة فعل، وربما تكون عنيفة، وبالفعل فقد أغارت بعض من طيارات العدو محاولة إخافة المصريين وبث الرعب فيهم، وكأنهم يوصلون رسالة مفادها، أننا لنا اليد الطولى ويمكن أن نصل إلى أى مكان داخل مصر..

ومن هنا تم التنسيق بين قيادات الجيش المصرى والمخابرات الحربية والمخابرات العامة على ضرورة السرعة فى البدء فى إنشاء حائط الصواريخ، وتكوين قوات الدفاع الجوى المصرى لقطع الذراع الطولى للعدو ومنع طياراتهم من الاقتراب من الحدود المصرية، وكان لا بد من وضع خطة تمويه وخداع العدو، وتوجيه ضربات أكثر، تشغلهم كى تتمكن مصر من بناء بطاريات الصواريخ والرادارات.

تم استدعاء "صبرى عبدالهادى" و"بهاء إسماعيل"، ومعهما "سراج زغلول" من أثينا إلى القاهرة، وتم إعفاء "نديم" أو "دميان" من مراقبة لاريسا وصديقتها التى ما زالت مجهولة لهم، وأيضًا "إيميليا".

إنما التركيز على مذكرات ضابط التشغيل الإسرائيلي "يوسي كاتسير" أو "أبو جميل"..

فالحصول على مذكراته قبل المخابرات الإسرائيلية ستكون ضربة قاسية، عندما يتم الإعلان عن وقوع مذكرات جاسوس في قبضة رجال المخابرات العامة المصرية، بكل ما تحوى من أسرار.

امتدت الاجتماعات بين الثلاثى "صبرى" و"بهاء" و"سراج" لساعات طويلة تلقى فيها "سراج زغلول" أو "دميان" تدريبات مكثفة على التنكر والتخفى والأهم هى التدريبات التى تلقاها على يد خبير فتح خزن وأبواب وكل ما له قفل، إلى أن أتقن "دميان" فتح أى باب أو خزنة..

ثم وضع الخطة الخاصة بالبحث عن مذكرات الجاسوس "يوسي كاتسير" أو "أبو جميل"..

من بيته أولًا..

ثم سافر "دميان" إلى أثينا عبر قبرص..

* * *

عاد "يوسي كاتسير" أو "أبو جميل" إلى أثينا قبل وصول دميان بيومين، وعلى الفور عقد لقاءً مهمًا مع "إميليا"، وطلب منها ترتيب موعد مصادفة للقاء والتعارف على "لاريسا"، سألته إميليا: "هل أطلب من "لاريسا" إحضار صديقتها "كاميليا" معها؟".

أبو جميل: "لا.. أريد أن التقى "لاريسا" وحدها فى هذه المرحلة".

إميليا: "هل لديك خطة للقاء والأسلوب الذى يبدو به مصادفة من دون ترتيب أم أضع أنا الخطة؟".

أبو جميل: "لا تفعلى أنتِ شيئًا، لدى خطة، أنتِ فقط عليكِ التنفيذ.. عليك فقط يا إميليا دعوتها للعشاء في نفس المطعم الفاخر الذى التقيت بها فيه للمرة الأولى، هل تذكرينه؟!".

إميليا: "بالطبع.. ولن أنسى كم الإبهار والإعجاب الظاهر على " لاريسا" ".

ضحك الاثنان سويًا، وكان الشيطان ثالثهما..

أغلقت "لاريسا" السماعة في الفندق أثناء عملها، لتنهى مكالمة مع "إميليا"، تدعوها للعشاء الليلة، وأول ما فكرت فيه هو.. ماذا سترتدى؟!

تقريبًا على نفس الطاولة في المطعم الفاخر، وعلى ضوء الشموع، والموسيقى الهادئة القادمة من أصابع عازف بيانو، يدق برفق على أصابع بيانو أبيض ضخم..

تغيرت قائمة الطعام هذه المرة، بدلًا من المأكولات البحرية، قدم إليهم النادل الأصناف المختلفة من اللحوم الحمراء بطرق طهى مختلفة..

كانت الأجواء رائعة وما زالت "لاريسا" منبهرة وسعيدة بتواجدها بين صفوة المجتمع اليوناني، تبدو مظاهر الثراء على كل من حولها..

مر الوقت لطيفًا بين الحديث العذب والضحكات إلى أن قدم النادل آخر أطباقه..

كريم برولیه، مع القهوة الفرنسية..

وبعد دقائق تقدم النادل إلى "إميليا" ليخبرها أن لها مكالمة هاتفية، هناك من اتصل بها، قامت "إميليا" ومعها حقيبة يدها بعد أن استأذنت من "لاريسا" للرد على الهاتف..

مرت دقائق بطيئة، أنهت فيها "إميليا" المكالمة، ثم غادرت المطعم من دون أن تعود إلى الطاولة أو تتحدث مع "لاريسا"..

لم تلق "لاريسا" بالًا لما حدث، وبعد مرور بعض الوقت، تقدم النادل إلى "لاريسا" وقدم إليها فاتورة حساب الطعام داخل علبة من القطيفة ومعها قطعة حلوى النعناع..

نظرت "لاريسا" إلى العلبة المخملية.. فتحتها كنوع من الفضول.. لتعرف تكلفة عشاء مثل ذلك.. فتحت فاها وهى تشاهد بعيناها.. الرقم الضخم للفاتورة..

يا إلهى، إنه يوازى راتبى لمدة ٦ شهور على الأقل..

وضعت الفاتورة مكانها وأغلقت العلبة.. وظلت قابعة مكانها تتلفت حولها في انتظار وصول "إميليا".

لكن بالطبع "إميليا" لن تصل فهى غادرت بسيارتها المكشوفة المكان بالكامل، وهى الآن في طريقها إلى بيتها، تشعل سيجارتها وشعرها يتطاير مع نسيم الهواء المندفع، وتطلق الضحكة بين الحين والآخر، وهى تتخيل ملامح وجه "لاريسا" عندما يطالبها النادل بدفع فاتورة العشاء، هل ستظل سعيدة ومبهورة بالمكان والعشاء وتواجدها بين صفوة المجتمع اليوناني أم ماذا؟!

تقدم النادل بنفس الابتسامة من "لاريسا" مشيرًا إلى العلبة المخملية، ويطلب الحساب، شعرت هى بالإحراج الشديد وبدأ العرق يتصبب من جبينها ونسيت المذاق الرائع لأصناف الطعام وطبق الماء بالليمون والورد لغسل اليدين، وكل اللحظات الجميلة، ورغم أن الطاولة الفاخرة ما زالت عليها فنجانين القهوة وأطباق الحلوى، وموسيقى البيانو تعزف أعذب الألحان وأضواء الشموع المبهرة ما زالت تضوى المكان..

ولكن مقعد "إميليا" فارغًا، وابتسامة النادل اختفت شيئًا فشيئًا بعد أن سمع إجابة "لاريسا": "نعم.. نعم.. إننى فقط انتظر عودة صديقتى".

إنها تتحدث فى الهاتف وعند عودتها ستدفع الحساب..

النادل، من دون ابتسامة وبوجه يبدو عليه الجدية: "صديقتك غادرت المكان حتى سيارتها غير متواجدة فى الخارج، اعتقد أنكِ عليكِ دفع الحساب".

ازداد حرج "لاريسا"، ثم طلبت من النادل أن يعود بعد قليل، فتحت العلبة تنظر إلى فاتورة الحساب القابعة بجوار قطعة حلوى النعناع..

فتحت الفاتورة ثانية، ألقت نظرة على المبلغ، إنه ضخم للغاية، ثم نظرت إلى سعر كل طبق، إنه جنون، فسعر طبق المقبلات فقط أو اللوحة الخشبية التى تحوى الجبن وعناقيد العنب وبعض حبات عين الجمل كفيلة أن تعيش بثمنها لمدة عام كامل..

تلفتت حولها لا تدرى ماذا تفعل، فكرت في الاتصال بأبيها، ليحضر ومعه النقود، لإنقاذها من أسوأ المواقف التى تعرضت لها في حياتها.. قامت

ناحية الهاتف في الركن الأيسر من المطعم، لتتأكد من وجود "إميليا"، كانت كابينة الهاتف خالية إلا من رف خشبى عليه الهاتف الأسود، ولكن كيف لها الاتصال بأبيها، إنه الآن في البيت، وربما استعد للنوم كعادته، ينام مبكرًا كى يستقيظ مبكرًا للعمل في مصنع الألبان..

بالإضافة إلى كل هذا، فلا يوجد لديهم هاتف في المنزل من الأصل..

فالبيت يقع في منطقة نائية خارج حدود العاصمة والبنية التحتية للمكان لم تكتمل بعد..

سارت ببطء ولمحت النادل يراقبها عن بعد، عادت إلى مقعدها، وإذا بالنادل يحضر إليها وبصحبته رجل آخر يرتدى حلة فاخرة، قدم النادل الرجل إليها، إنه مدير المطعم..

وإذا بصوت المدير يرتفع بعض الشيء مطالبًا "لاريسا" أن تأتى معه إلى مكتبه في مؤخرة المطعم، قائلًا: "يبدو أنكِ لن تستطيعى دفع فاتورة حساب العشاء، فلا بد من اتخاذ الإجراءات المتبعة في مثل تلك الحالات، التي لا تحدث كثيرًا".

ثم أشار إليها بالنهوض معه..

كادت "لاريسا" أن تصاب بحالة من الإغماء والسقوط على الأرض وأن تسلم جسدها لأرض المطعم أفضل لها من اتخاذ الإجراءات ضدها، وهى بالطبع تسليمها لشرطة المدينة..

بالفعل، تراخت عيناها وسقطت ببطء على أرضية المطعم بجوار الطاولة الفاخرة، فإذا بيدين تمتدان لتلقفها قبل السقوط على الأرض، إنه رجل كان يتابع الموقف من الطاولة المجاورة لطاولتها و"إميليا"..

استفاقت "لاريسا" لتجد نفسها جالسة في مكتب المدير، وهو جالس خلف مكتبه، وأمامها في المقعد المقابل رجل أنيق وعلى وجهه ابتسامة باهتة..

ثم شاهدت الرجل يقدم حزمة كبيرة من النقود إلى المدير، قائلًا: "هذا حساب فاتورة السيدة، وهو يشير إلى" لاريسا" ".

حاولت "لاريسا" التدخل بالكلام، لم تعرف ماذا تقول، أشار إليها الرجل أن تصمت، معقبًا: "لا تقلقى ليس هناك مشكلة على الإطلاق".

وفجأة تحول المدير إلى كائن رقيق وبابتسامة ظهرت منها أسنانه اللامعة وقدم الاعتذار بكل أدب إليها، واصطحبها إلى الطاولة مرة أخرى، وقدم إليها فنجانًا من القهوة الفرنسية الساخنة، "هذا اعتذارى".

وظهر النادل وعادت إليه الابتسامة الحنون، وسألها إن كانت تريد شيئًا آخر، ولمحت الرجل الذى دفع الحساب، وهو يعود إلى طاولته المجاورة لها..

تركت القهوة وكل شيء، وتقدمت إليه، ووجهت إليه الشكر وأن هذا المبلغ هو دين في عنقها وعليها تسديده..

دعاها الرجل للجلوس، ثم قام النادل بنقل القهوة إلى طاولة الرجل..

قدم إليها الرجل نفسه، الذى كان بالطبع "يوسى كاتسير"، الذى افتعل كل هذه التمثيلية المتقنة بالاتفاق مع إميليا..

مد يده مصافحًا "لاريسا": "أنا "بافلوس كوركيس"..

لكن أصحابى ينادوننى "بافو"، يمكنك أن تنادينى أنتِ أيضًا" بافو" ".

قدمت "لاريسا" نفسها إليه وشكرته مرة ثانية، ثم سألها "بافو" إن كانت لديها سيارة للعودة إلى بيتها، وصرح لها أنه على أتم الاستعداد لإيصالها بسيارته..

وبالفعل فتح لها باب السيارة القابعة خارج المطعم، وجلست إلى جواره، ودار بينهما حديث قصير، صممت "لاريسا" أن تدفع له مبلغ فاتورة العشاء لكن ليس معها النقود الآن، فإذا بـ "يوسى كاتسير" أو "بافو" يقترح أنها من ممكن أن تكتب له شيكًا، لا داعى للنقود السائلة إذا لم تتوفر لديها الآن..

لم تتوقع "لاريسا" هذا الرد منه، لكن كبرياءها دفعها لأن تقول: "طبعًا.. طبعًا، يمكننى أن أحرر لك شيكًا.. لكن دفتر الشيكات ليس بصحبتى الآن".

وللمرة الثانية تتلقى صفعة أخرى، فإذا "ببافو" يوقف السيارة جانبًا ويخرج من جيبه دفتر شيكات، قائلًا: "نعم.. يمكن أن نستعمل هذه الشيكات فهى تُصرف لحاملها.. ثم كتب فيها مبلغ فاتورة المطعم.. لكنه ترك مسافة فارغة على يمين المبلغ".

وناول الشيك والقلم إلى "لاريسا": "يمكنك أن توقعى هنا، وعند سدادك للمبلغ تستطيعين الحصول على الشيك واسترداده وتمزيقه".

زاد غيظ "لاريسا" وبحركة عصبية ومن دون أن تنتبه لتفاصيل الشيك قامت بالتوقيع على الشيك..

وبحركة سريعة أعاد "بافو" دفتر الشيكات إلى جيبه ومعه القلم..

ثم قاد سيارته إلى منزل "لاريسا"..

دخلت البيت وهى ساخطة على كل شيء ولم تستطع البكاء، فالغيظ والغضب كان أقوى وشكل حاجزًا منيعًا أمام دموعها، ولم يسمح لها أن تهطل على وجهها..

قابلتها أمها "نارفارا" لم تسمع ما قالته ودخلت غرفتها، لتجد "كاميليا" تغط في نوم عميق في السرير المقابل لسريرها..

ابتعد "بافو " بسيارته بعيدًا عن منزل "لاريسا" ثم أوقف السيارة.. أخرج دفتر الشيكات، نظر في الشيك الذى حرره باسم "لاريسا"، أخرج القلم، وأضاف ثلاثة أصفار على يمين الرقم في المساحة الفارغة التي تركها..

وضع كل شيء في جيبه.. قاد سيارته وهو ينفث دخان سيجارته في متعة شيطانية ما بعدها متعة والابتسامة لا تفارق وجهه.. ابتسامة المنتصر، وإعجابه بمواهبه كمؤلف وممثل ومخرج بالاشتراك مع "إميليا" في إحكام الشباك حول "لاريسا".

* * *

قام "دميان" مع اثنين من معاونيه بتفقد مسكن "أبو جميل"، فهو يسكن في شقة بالطابق الحادى عشر في بناية ضخمة، وعلى الباب الخارجي ثلاثة

من رجال أمن المبنى، دار "دميان" دورة حول المبنى، وعمل رسم كروكى للمكان، ثم عاد والرجال لوضع خطة مناسبة ومؤمنة للدخول إلى شقة "أبو جميل"، وكان الأمر في غاية الصعوبة..

فمن المستحيل تقريبًا الدخول من أحد النوافذ نظرًا لوجود الشقة في الدور الحادى عشر..

ارتفاع شاهق للغاية.. فليس هناك سبيلًا من الدخول إلا عبر الباب الرئيسى..

وكان "دميان" يدرك جيدًا وأثناء تلقيه الدورة في فتح الأقفال والأبواب، أنه يمكن أن يفتح الباب، ولكن منذ إغلاقه لا يستطيع أن يحرك المفتاح لإغلاقه كما كان بالضبط، مما يجعل من السهولة اكتشاف أن هذا الباب تم فتحه خصوصًا من شخص مدرب ضابط مخابرات ذو خبرة عسكرية ومخابراتية عريضة مثل "يوسى كاتسير".

أشار عليه أحد المعاونين أنه من الممكن التغلب على هذه المشكلة إذا تعاملنا مع الموقف من الناحية النفسية..

"دميان": "وكيف ذلك؟!".

الرجل: "مثلًا.. إذا استطعنا أن نضع "أبو جميل" في موقف سخيف، واستطعنا استثارة غضبه قبل عودته إلى البيت، فهذا كفيل بأن يمنعه من الانتباه لأي شيء، بخلاف أن يكون في حالة مزاجية عادية فسوف يقوم بفحص كل شيء قبل دخوله الشقة، وهو حريص للغاية كما هو معروف عنه، إذن لا بد من رفع ضغط دمه ولا مانع من حرق هذا الدم ليصل إلى

درجة الغليان في عروقه، وبذلك لن يستوعب أي شيء وسيفقد تركيزه ويتخلى عن الإجراءات اليومية من الحيطة والحذر".

إستحسن "دميان" الفكرة، وطفق الثلاثة يصنعون خطة رفع ضغط أبو جميل مع حرق دمه وإيصال هذا الدم لدرجة الغليان، وقد تطلب هذا مراقبة صارمة لمعرفة روتينه اليومى والأماكن التي يتردد عليها..

وفى أحد الأيام، تنكر "دميان" وأحد معاونيه في زى عمال نقل الأثاث، فقد كانت الشقة التي تعلو شقة "أبو جميل" في الطابق الثانى عشر يتم نقل الأثاث الجديد لها..

دخل "دميان" ومعاونه يحملان صندوقًا صغيرًا به معدات فك وتركيب الأثاث، وصعدا إلى الطابق الثانى عشر، وهما يراقبان عبر الدرج باب شقة "أبو جميل" أسفل منهم في الطابق الحادى عشر حتى شاهداه وهو يغلق باب الشقة ويضع خيطًا من خيط يستخدمه في صيد الأسماك، شفاف، بين الباب وحلق الباب من أعلى، ثم أغلق الباب وبصحبته كلب كبير الحجم.. فقد اعتاد أن يخرج مع كلبه إلى الحديقة القريبة للتنزه مع الكلب فهو يستغرق من أربعين دقيقة لساعة، وبسرعة هبط دميان ومعاونه إلى شقة "أبو جميل"، واستطاع أن يفتح الباب في دقائق ودخل بحرص إلى داخل الشقة وبدأ التفتيش الدقيق وبحرص شديد بحثا عن مذكرات "يوسى كاتسير"..

وكان في الحديقة رجل ثالث من معاونى "دميان" في انتظار وصول "أبو جميل" وكلبه لتنفيذ خطة حرق الدم كما أسموها..

مرت الدقائق الأولى على "دميان" وهو يبحث بحرص في الأماكن المتوقعة وغير المتوقعة لإخفاء "يوسى كاتسير" للمذكرات..

دخل "أبو جميل" الحديقة وأطلق كلبه من دون رباط، كى يتحرك ويتنزه حوله بحرية، كما اعتاد كل يوم، وبعد مرور الوقت بأكمله، وقبل مغادرة "أبو جميل" للحديقة..

فقد أشار إلى كلبه أن يحضر إليه، بعد أن حضر الكلب كالمعتاد وضع الرباط الذى في يده وثبته في الحلقة من الطوق الملفوف حول عنق الكلب..

شد وثاقه واقترب للخروج من باب الحديقة.. فإذا بكلب ضخم شرس.. ينقض على كلب "أبو جميل" وتحدث مشاجرة عنيفة بين الكلبين.. و"أبو جميل" في حالة ذهول من أين أتى ذلك الوحش الشرس.. وإذا بأحد معاونى "دميان" يظهر وهو يركض في اتجاه كلبه الضخم وهو يوجه له أمر بالتوقف عن مهاجمة كلب "أبو جميل"، استمر قتال الكلاب لدقائق عدة، وقد أصيب كلب "أبو جميل" بإصابات عدة في الوجه، تدخل بعدها بعض من العاملين بالحديقة وانتقل الشجار من الكلاب إلى صاحب كل كلب، وتوجيه اللوم والعتاب وتصاعد الموقف إلى كيل السباب، إلى أن امتدت الأيدى وتشاجر الرجل ولكم "أبو جميل" لكمات عدة في وجهه، وتحديدًا في مكان الجرح القديم فوق حاجبه الأيسر..

الجرح الذى سالت منه دمائه من حجر مدبب بيد طفلة صغيرة منذ سنوات طويلة فى بورفؤاد، يقصد ما فعلته به "كاميليا"..

استمر الشجار مع استمرار بحث "دميان" عن المذكرات من دون فائدة، إلى أن استطاع الوصول إلى مكان خزنة مدفونة فى الحائط، قام بفتحها وأظهر براعة رغم قصر مدة تدريبه على فتح الخزن..

كان بداخلها بعض الأموال وأوراق تخص شركة مصايد أعالى البحار وبعض شرائط الفيديو كاسيت، بنظرة سريعة عرف أنها شرائط جنسية لبعض ضحاياه، التى يستخدمها ضدهم فى الوقت المناسب للإيقاع بهم، هنا الشجار توقف واستطاع العاملون فى الحديقة السيطرة على الموقف، أصر الرجل على تقديم البلاغ للشرطة وأصر أيضًا على استدعاء الشرطة للمكان، حاول "أبو جميل" أن يظهر أن الأمر لا يستدعى تدخل الشرطة فهو بالتأكيد لا يرغب أن يذكر اسمه فى محضر الشرطة، نظرًا لسمعته كمدير لشركة كبيرة، من المخجل أن يكون هناك محضر واستدعاء نيابة حول قضية مشاجرة مع رجل وكلبه.. وأيضًا كرجل مخابرات ومن أساسيات عمله هو البعد تمامًا عن الشرطة وتدخلاتها..

لكن الرجل معاون "دميان" صمم على استدعاء الشرطة لمنح "دميان" فترة أطول للتواجد داخل شقة "أبو جميل"، وفى نفس الوقت لزيادة حرق دم "أبو جميل" والتلاعب بأعصابه لدرجة تجعله يفقد تركيزه..

وبعد نقاش طويل مع الحاضرين.. وافق الرجل على الصلح وأصر أن يقوم "أبو جميل" بالاعتذار إليه وإلى كلبه الضخم الشرس، رغم أنه هو المخطئ وهو البادئ بالشجار مما أدى إلى زيادة غضب "أبو جميل"، وهو معروف عنه منذ كان ضابطًا بالجيش أنه سريع الانفعال لدرجة أنه قتل

وأصاب الكثير من زملائه فى العريش لكن من الواضح أن التدريب على الثبات الانفعالى قد أدى ثماره..

ابتلع غضبه واعتذر مقتضبًا إلى الرجل الذى أبدى غضبه وأنه لم يقبل هذا النوع من الاعتذار، فلا بد أن يعتذر إليه بصورة آدمية وأيضًا يعتذر إلى كلبه.

أنهى "دميان" التفتيش بعد أن فحص كل ركن ومكان فى شقة "أبو جميل"، وبالطبع عرف الكثير عن هذا الرجل مما شاهده فى حجرة نومه..

وأشار إلى معاونه بالانسحاب من الشقة، وأغلق الباب وصعد الدرج إلى الطابق الثانى عشر، إذ ما زال عمال نقل الآثاث يمارسون عملهم، ثم استخدما المصعد للهبوط إلى الدور الأرضى ومغادرة المبنى، شاهد "دميان" سيارة "أبو جميل" أمام المبنى، فأشار إلى معاونه إشارة تحرك بعدها وقام بإفراغ الهواء من إطار السيارة الخلفى..

وانطلقا عائدين، غادر "أبو جميل" الحديقة غير مصدق انتهاء ذلك الكابوس اللعين، يا له من يوم أسود..

بدأت الآلام تعتصر وجهه..فقد تلقى الكثير من اللكمات والركلات.. نظر إلى كلبه الذى كان يعانى من آثار العض وعلامات أنامل وحوافر الكلب الشرس قد تركت آثارًا على وجهه بالقرب من عيناه..

لم يستطع أن يكبح جماح غضبه لأكثر من ذلك، لذا انطلق وهو يسير تجاه مسكنه فى انطلاق وابل من السباب والشتائم لذلك الوغد وكلبه، وأكثر

ما كان يغيظه ويكاد أن يقتله هو تعرضه للضرب ومع ذلك هو من قدم الاعتذار، لا بل اعتذارين، للوغد السافل وأيضًا لكلبه المتوحش..

بالإضافة إلى تماشيه وتفادي تدخل الشرطة، كما كان جبانًا فى نظر كل من تدخل لفض الاشتباك، تمنى وقتها لو كان لا زال فى الجيش الإسرائيلي كان تصرف من دون تردد كما كان يفعل فى السابق..

تحسس وجهه.. ما زالت بعض آثار الدماء على وجهه حتى وبعد أن مسح الآثار بمنديل..

عقله لا يتوقف عن التفكير وعشرات الأسئلة تتضارب فى رأسه، هل هذا الأمر مدبر؟ كيف حدث هذا؟ كلب غريب لم يره فى الحديقة من قبل كلب غير مدرب، شرس للغاية أقرب إلى كلاب الشوارع، لا.. لا!! إنه مدرب..

لا يمكن أن يكون كلب شوارع.. إنه مدرب على الهجوم واستخدام فكيه ومخالبه جيدًا، وهذا الرجل الغبي، لم أشاهده أو ألمحه فى الحديقة التى أذهب إليها يوميًا من قبل، وقح للغاية ومغرور، آه لو قابلته وأنا فى غير مركزى هذا، عبر "يوسي كاتسير" أو "أبو جميل" الطريق بصحبة كلبه المصاب..

واقترب من مبنى السكن، مر بجوار سيارته، وهنا توقف وكاد أن يصرخ، أحد العجلات الخلفية تلامس أسفلت الطريق، فارغة من الهواء، كيف هذا؟! إن السيارة جديدة، اللعنة، ركل الإطار بقدمه ثم سحب كلبه، وهو فى غاية الغضب على هذا اليوم المشئوم، صعد إلى شقته، فتح الباب

من دون أن يدرى ما يفعل، كل ما كان يفكر فيه هو تناول كأسًا من النبيذ وأن يقف تحت مياه الدش الساخن ليزيل آثار العدوان، وكل ماحدث بالفعل أنه شرب كأسًا تلو الآخر ودخل إلى الحمام، ودخل تحت مياه الدش الساخنة محاولًا نسيان هذا الكابوس..

بينما تقف "لاريسا" خلف مكتب الاستقبال فى جهة الفندق، عقلها لا يتوقف من التفكير عما حدث فى الليلة الماضية، وكم الخجل والإحراج التى تعرضت له، ولولا تدخل "بافو" أو "يوسي كاتسير" لكانت الآن فى زنزانة داخل قسم الشرطة بتهمة النصب بجانب المجرمين واللصوص..

توقفت عن الكلام، بعد أن شاهدت "إميليا" تقف أمامها، وعلى وجهها ابتسامة من يطلب العفو والسماح..

قدمت "إميليا" الاعتذار إلى "لاريسا"، التى أستأذنت رئيسها فى العمل فى الحصول على راحة قصيرة من العمل..

إميليا: "اعتذر بشدة عما حدث".

لاريسا: "لا أفهم، ماذا حدث وأين اختفيتى؟! انتظرتك طويلًا كى تعودين ولكن بلا فائدة.. و.. و..".

إميليا: "و.. و.. ماذا؟!".

لاريسا بخجل وتلعثم فى الكلام: "و.. وجاءنى النادل يطالبنى بفاتورة الطعام، لم أدرِ ماذا أفعل أو كيف أتصرف، لقد كادوا أن يبلغوا الشرطة، وأصر المدير على إجراء الاتصال بالشرطة، لولا.. لولا.. تدخل أحد الزبائن، وقدم لى المساعدة".

إميليا: "مساعدة، أي مساعدة، ماذا تقصدين؟!".

لاريسا: "قام بالتدخل لدى المدير وأثناه عن الاتصال بالشرطة وقام هو بدفع فاتورة حساب الطعام".

ضحكت "إميليا" وهى تقول بكل دهشة: "يا سلام، شخص لا يعرفك ولا تعرفينه يقوم بدفع هذا المبلغ الضخم من دون أي سابق معرفة".

لاريسا غاضبة: "نعم هذا ما حدث أنا لا أكذب".

إميليا: "نحن هنا في أثينا ولسنا في الإسكندرية، شهامة المصريين غير موجودة هنا ولا أحد يعرفها، ما المقابل إذن لا بد أن هناك مقابلًا لذلك".

لاريسا: "لم يكن هناك مقابل غير أننى تعهدت بسداد المبلغ، وحررت له شيكًا فارغًا يصرف لحامله كى يتخذه مثل إيصال الأمانة، أو كمستند يثبت حقه في المال إذا لم أسدد، ووقعت عليه".

إميليا: "وهل تعرفين اسم هذا الشخص؟".

لاريسا: "نعم.. أعرف اسمه ورقم هاتفه، لكى اتصل به لتسديد المبلغ..

اسمه على ما اعتقد "بافو"، لكن دعك من كل هذا، ماذا حدث لكِ، وكيف تتركينى في مكان غريب هكذا وليس لدى سيارة لأعود؟".

إميليا: "اعتذر إليكِ ثانيةً.. هل تذكرين أن النادل أخبرنى بالرد على مكالمة هاتفية، لقد كانت من الجيران.. مفادها عندما أخرج تقوم جارتنا بمراعاة أمى المريضة، فقد اتصلت بى بعد أن أخبرتها أننى ذاهبة إلى هذا المطعم، لتبلغنى أن الأزمة القلبية قد ضربت أمى، ولا بد أن أحضر بسرعة،

لم أعرف ماذا أفعل! إذ وجدت نفسى أسرع إلى سيارتى وأقودها بأقصى سرعة إلى أن وصلت في الوقت المناسب ونقلت أمى إلى المستشفى، ولم اتركها حتى الصباح، وغادرت بها المستشفى إلى البيت وهى بخير الآن".

لم تكن "لاريسا" بالطبع تعلم أن موضوع أم "إميليا" هو محض التأليف..

"إميليا" مجهولة النسب فهى لا تعرف من هى أمها أو من هو أبوها، فهى نشأت في دار خاصة لمجهولى النسب، وعادةً تعتمد على تأليف قصة مرض الأم بالقلب للخلاص من الكثير من المواقف التي تتطلب التذرع بأمر ما..

أبدت "لاريسا" تفهمها لموقف "إميليا" وأنها لم تعد غاضبة منها..

سألتها "إميليا": "وما هى أخبار صديقتك المصرية، ما اسمها؟ لقد نسيت".

"لاريسا": "كاميليا" اسمها "كاميليا"، هى بخير لكنها لم تعرف شيئًا عما حدث لى في المطعم، كنت أريد أن أخبرها لكنها كانت نائمة".

"إميليا": "اعتقد أنه من الأفضل ألا تعلم.. فهو موقف محرج للغاية.. لا داعى لذكر هذا الأمر أمامها".

ثم نهضت "إميليا" لتستعد للانصراف، وقبل أن تغادر الفندق محل عمل "لاريسا".

قالت: "آه بالمناسبة إذا كنت بحاجة لمساعدتك في تسديد ما عليكِ من دين لذلك الرجل الذى دفع عنك المبلغ.. أبلغينى".

غادرت "إميليا" وكأنها تذكر "لاريسا" بالدين الذى عليها دفعه، فكان عقلها يحاول جاهدًا أن ينسى المبلغ الضخم الذى كتبت به شيكًا على نفسها..

ولم تكن تعلم بالطبع أن هذا المبلغ قد أضيف له ثلاثة أصفار من ناحية اليمين، أي صار يعادل ثمن سيارة جديدة..

توجهت على الفور واتصلت بالرجل "بافو" لتخبره أنها استطاعت أن تدخر مبلغًا ليس كبيرًا من المال في الفترة الماضية، فهو يساوى ربع قيمة الدين تقريبًا، فيمكن أن تقابله وتدفعه له، وعلى فترات سوف تسدد الباقى..

استحسن "بافو" الفكرة واتفقا على موعد للقاء..

وقد أصيبت "لاريسا" بالإحباط فقد كانت تعول على هذه المدخرات لشراء ملابس جديدة فهى لا زالت ترتدى ملابسها التي حضرت بها من الإسكندرية..

أخذت بعض رشفات من الماء لتزيل آثار الاحتقان من حلقها..

قاد "دميان" وأحد رجاله سيارته خلف سيارة "أبو جميل"، الذى توقف أمام أحد المقاهى القريبة من الكورنيش، وبعد دقائق ظهرت "لاريسا" سيرًا على أقدامها ودخلت نفس الكافيه، فقد كان "دميان" يعرف "لاريسا" جيدًا، التي كانت بصحبة "إميليا" الذراع الأيمن لـ "أبو جميل"، وقد التقط لها الكثير من الصور بصحبة صديقتها الجديدة المجهولة لديهم..

قام الرجل المعاون لـ "دميان"بدخول المطعم خلف "لاريسا" ليراقبها، وأيضًا يراقب "أبو جميل"، فإذا بها تجلس على طاولة "أبو جميل" بعد أن صافحته..

يا للمفاجأة، هل هناك علاقة بين "أبو جميل" أو "يوسى كاتسير" رجل المخابرات الإسرائيلى، صياد الجواسيس، بـ "لاريسا"، أم هو فقط يحاول تجنيدها؟!

جلس مساعد "دميان" في طاولة قريبة منهما، واستطاع أن يسمع أغلب ما دار من حديث بينهما، وشاهد "لاريسا" وهى تقدم نقودًا لأبو جميل، وفهم من الحوار أنها جزء من دين عليها له، وبخبرته أدرك أنه الفخ الذى سيصطادها به..

وبعدها طلب منها أبو جميل أن تقدم له معروفًا..

"لاريسا": "على الرحب والسعة إذا استطعت المساعدة، ما الأمر؟!".

"أبو جميل": "لا أعرف إذا ذكرت لك المرة السابقة أننى مدير لشركة مصايد أعالى البحار، وفى نفس الوقت لدينا المنتج الخاص بنا من أدوات الصيد وقطع الغيار، في الآونة الأخيرة راسلتنى شركة مصرية تعمل في مجال صيد الأسماك وطلبت أن نزودها ببعض أدوات الصيد الحديثة وقطع الغيار اللازمة، وأنا لم أعمل في السوق المصرى، ولدى تخوف كبير، فأنا لا أعلم عن سوق صيد الأسماك المصرى شيئًا، هل هو سوق صغير أم كبير؟! ومدى احتياجاتهم؟!".

"لاريسا" ضاحكة: "وما دخلى في هذا؟ أنا لا أفهم في صيد الأسماك، أحب أكل الأسماك فقط"، ثم ضحكت.

"أبو جميل": "أنا أتفهم طبعًا.. لكن بما أنكِ أقمت في مصر مع أسرتك وتحديدًا بالإسكندرية طوال حياتك فربما لديك أية معلومات عن السوق المصرى".

"لاريسا": "في الحقيقة لست أدرى ما أقوله، نعم أنا قضيت حياتى في الإسكندرية لكن ليس لى خبرة بهذا المجال، لكن انتظر، أن لى صديقة تقيم معى في بيتنا، قدمت من الإسكندرية منذ فترة بسيطة، ربما تستطيع أن تساعدك فهى تعرف الكثير عن الصيد، فقد كان أبوها أيام عطلاته يأخذها في رحلات صيد الأسماك بالإسكندرية".

لمعت عينا "يوسى كاتسير" فقد كان هذا ما يريد الوصول إليه تحديدًا..

هنا نادى "أبو جميل" على النادل بأن يقدم إليهما أشهى طعام إفطار بالمقهى..

كل هذا وصل لمسامع الرجل المعاون لـ "دميان"..

اتفقت "لاريسا" أنه في المرة المقبلة للقائه ستحضر معها صديقتها..

ثم سألها عن اسم صديقتها، لتجيب: "اسمها" كاميليا" ".

ثم أضاف "أبو جميل" أن أية معلومات مفيدة تذكرها صديقتها "كاميليا" سيدفع مقابلها مالًا لكاميليا وأيضًا بعض الأموال إلى "لاريسا" لكونها هى من اقترحت ذلك..

شعرت "لاريسا" بالسعادة، فربما تساعدها هذه الأموال لسداد باقى المبلغ المدون بالشيك..

طلب "دميان" عقد لقاءً عاجلًا مع الضابطين "صبرى عبدالهادى" و"بهاء إسماعيل" للنقاش حول ما حدث في المقهى..

إذ أنه من الواضح أن الشباك قد نصبت بإحكام حول "لاريسا"..

لكن بما يمكن أن تساعد "لاريسا" ضابط المخابرات الإسرائيلى وهى قد غادرت وهاجرت من مصر، هل سيدربها ويعيدها إلى مصر مرة أخرى تحت أي غطاء وظيفى؟ وتكون جاسوسة جديدة لهم وتكون عوضًا عن شبكات التجسس التي أسقطتها المخابرات المصرية..

ظل الجميع يتبادلون الرأي حول المغزى والقصد من لقاء "لاريسا" بـ "أبو جميل"، بينما كان "بهاء" صامتًا، فقد كان عقله سارحًا مع نقطة مهمة لم يتطرق إليها الآخرون في الحديث..

"بهاء": "ماذا عن الفتاة الأخرى التي ذكرتها "لاريسا" وتقيم معها؟".

لا بد أنها تلك الفتاة التي ظهرت معها من قبل، صاحبة البشرة الخمرية..

وقد ذكرت له أن اسمها "كاميليا"..

"صبري": "نعم، معك حق، كيف نسيناها، من الاسم واضح أنها عربية، هل هى فلسطينية مثلًا؟! أو أردنية؟!".

"بهاء": "أو عراقية يهودية، لا أعلم، لكن لا بد من التحري عن شخصيتها، ليس لدينا أي أطراف خيط.. لكن اعتقد من المراقبة اللصيقة ربما نستطيع أن نحدد هويتها وأية معلومات عنها".

"دميان": "لكن هل تذكرون أن "لاريسا" قالت أنها كانت تعيش في الإسكندرية وخرجت في رحلات بحرية للصيد مع أبيها"

هنا ضحك "دميان"، سأله الجميع، ما سر هذه الضحكة؟!..

أجاب أن له أختًا تدعى "كاميليا" وبها بعض الشبه من هذه الفتاة..

استطاع "شكري" بعد مرور فترة ليست بالقصيرة من التأقلم على الحياة في الجبال والنوم داخل الكهوف والتعايش مع الطبيعة القاسية في جبال سيناء، ولا ترى عيناه إلا الجبال الصفراء بهامة سوداء وبعض نباتات الصبار المتناثرة هنا وهناك، طبيعة قاسية للغاية لكنه ومع مرور الوقت اعتاد عليها وصارت جزءًا من طبيعته هو شخصيًا، تتناثر العقارب حوله، ينظر إليها ولا يبالى كأنها جزء من أسرته الجديدة، وعندما يشعر بالجوع تعتصر أحشائه، ولا يجد طعامًا، فيتغذى على الثعابين.

يخاف أن يوقد نارًا ليلًا كي لا ينكشف أمره وهو قابع خلف خطوط العدو يؤدى مهمته بنجاح، يرسل كل يوم صباحًا رسالة مشفرة إلى المخابرات الحربية ليصف لهم المشهد حوله وموعد الدوريات الإسرائيلية وأي مستجدات أو تحركات على جبهة الضفة الشرقية.. سيناء المحتلة.

يحمل على كتفه حقيبة مصنوعة من القماش داخلها القليل من الأغراض الشخصية وجهاز الإرسال.. هذا كل ما يملكه في الحياة من دون مبالغة.. لا يملك إلا الحب الخالص للوطن والتفاني من أجل النصر وطرد الأعداء، فما يقوم به في رحلته الاستطلاعية والتجسس على الصهاينة، لا يقوى عليه أعتى الرجال.

وتحولت طباعه لرجل بدوى، كأنه ولد بدويًا..

وفى صباح أحد الأيام، استيقظ "شكري" داخل الكهف الصغير القابع في بطن الجبل، ليجد المياه حوله وتحته ولم يشعر بها، إنها مياه الأمطار فقد هطل المطر طوال الليل ولم يتوقف إلا بعد طلوع الشمس بقليل، ومن شدته وشدة الرياح، فقد دفعت الرياح المياه إلى داخل الكهف.

أصابه الهلع، نظر حوله باحثًا عن حقيبته المصنوعة من القماش، كانت غارقة في المياه، انتشلها بسرعة، وأخرج جهاز الإرسال، فإذا به ممتلئًا بالمياه، يا إلهى، لا بد أن أُرسل الرسالة اليومية كما هو المعتاد كل صباح، فإن لم أُرسل أية رسالة حتى ولو من كلمة واحدة فسيعلم رجال المخابرات الحربية على الجانب الغربي من القناة أنه حدث لي أى مكروه، حاول تجفيف الجهاز بملابسه..

وانتظر ساعة من الزمن وقام بتشغيل الجهاز، لكنه كان صامتًا صمت القبور، بلا أي صوت أو استجابة، لقد أفسدته المياه، فتحه من الخلف عن طريق مفك صغير يحمله معه..

نظر إلى الداخل ليجد آثار المياه قد تغلغلت في كل الأجزاء الإلكترونية الدقيقة، أسودت الدنيا في وجهه، لا بد وأن يفعل شيئًا، كيف يتصرف الآن؟!

غادر الكهف في حرص وهو يراقب المكان حوله ويسترق السمع من أية حركة..

كان السكون يخيم على المكان بأكمله، هبط الجبل وسار صوب أقرب الأماكن المأهولة بالسكان، قبيلة سيناوية تبعُد حوالى ثلاثة كيلو مترات، لا

بد أن هناك من يستطيع إصلاح الراديو الترانزستور، فهى نفس الدائرة الكهربائية تقريبًا، ولا بد أن لديهم بعض قطع الغيار الجديدة أو حتى المستعملة من جهاز قديم، فهو يعرف أن الكثير من رجال البدو يحملون راديو صغير، فلا بد أن هناك من يبيعهم وأيضًا يقوم بإصلاحهم.

سار بحرص في الطرق البرية الوعرة بين الجبال متجهًا إلى أقرب قبيلة..

وإذا به يسمع صوت يأتي من خلفه من بعيد، نظر بحرص بعد أن اختبأ خلف بعض أغصان الصبار الصغيرة، وشاهد غبارًا كثيفًا، بخبرته في حياة الجبال والصحراء، أدرك أنها غبار عجلات سيارة كبيرة نوعًا ما..

كتم أنفاسه، وبالفعل ظهرت سيارة رباعية الدفع، ماركة جيب قديمة بلونها الأخضر الغامق، بداخلها الكثير من الجنود الإسرائيليين، لا بد وأنها دورية إسرائيلية تمشط المكان..

مرت بسلام، حمد الله، واستمر في السير، وقبل أن يصل إلى القبيلة بحوالي نصف كيلو متر، تم إطلاق النار حوله بكثافة، حول أقدامه، لكنها لم تصبه، بعض الجنود شاهدوه من برج مراقبة أعلى هضبة قريبة من القرية، أطلقوا النار تجاهه، وطالبوه بالتوقف عن السير والانبطاح على الأرض..

هبط ثلاثة منهم من فوق الهضبة بأسلحتهم، شدوا وثاقه، سألوه أسئلة عدة، رد عليهم بلهجة بدوية أنه كان عائدًا من ناحية سوق الإبل، فقد كان يبيع ناقته لحاجته للمال..

ويبدو أنهم قد اقتنعوا بكلامه إلا أحدهم، اعترض كلامهم ورفض إطلاق سراحه، وقام بتفتيش حقيبته القماشية، فوجد جهاز يشبه الراديو..

"الجندي": "ما هذا؟!".

"شكري": "إنه الراديو الخاص بي أسمع عليه الأغاني وأحيانًا نشرات الأخبار".

"الجندي": "لكنه لا يعمل، وهو يعبث بالأزرار".

"شكري": "نعم، سقطت عليه الأمطار، ربما أفسدته".

لم يقتنع الجندي الإسرائيلي بكلام شكري وشك أنه وراءه شيء ما أو أن هذا الجهاز يستخدم لغرض آخر..

اقتاده أمامه، ووضعه في عربة مع اثنين من الجنود، وذهبوا به إلى مبنى القيادة القريب منهم..

هنا تدخل القائد، وأثنى على تصرف هذا الضابط، وتم تسليم الجهاز لأحد الخبراء لفحصه، بينما قاموا بحبس شكري في حجرة جانبية، وبعد الفحص أخبرهم الخبير أنه جهاز إرسال وليس راديو..

لمعت عينا القائد فقد وقع على صيد ثمين، فمن النادر أن يقع أحد عملاء الجيش المصري في قبضة الجيش الإسرائيلي، لا بد وأن تتم ترقيته بعد أن يقدمه إلى رجال المخابرات الحربية الإسرائيلية..

شكر الجندي ثم أمره أن يعود إلى مكانه ويستمر في المراقبة ولم يخبره شيئًا عن أمر "شكري"، كي يحصل على الثناء والمكافأة وحده رغم أنه لم يفعل شيئًا يستحق عليه الترقية..

قرر القائد تأجيل تسليم "شكري" لقيادة المخابرات الإسرائيلية، فقد أراد أن يستخرج منه كل المعلومات عن قبيلته، وإن كان له أي أعوان..

بالطبع رفض "شكري" الإجابة على أي سؤال، تفنن القائد ومن معه في تعذيب "شكري"، وإذاقته أصناف وألوان من العذاب الجسدي والنفسين لكن الغريب أنه ظل صامدًا صامتًا ولم يفتح فمه بكلمة واحدة عن الجيش المصري..

وإلى من يرسل الرسائل؟! وما هى رتبته العسكرية في الجيش المصري؟! وصار يفقد الوعى في اليوم الواحد أكثر من مرة قبل أن يُلقوا عليه بالمياه الباردة لإيقاظه، ثم يلقون بالثعابين والعقارب في زنزانته وهم لا يعلمون أنه يألف حياة الزواحف السامة منه وغير السامة أكثر من حياة الإنسان، وقد تعجبوا من الألفة التي شاهدوها بينه وبين الثعابين والعقارب..

لم تفلح كل محاولات الإرهاب والتعذيب، وارتد إليهم الشعور بالإحباط..

إلى أن اعترف القائد أنه لم يقابل جنديًا أو ضابطًا أيًا كان بمثل هذه الشجاعة والتحمل والتفاني، وأخيرًا أمر بإرساله إلى قيادة المخابرات الإسرائيلية مع كتابة تقريرًا تفصيليًا عما تم منذ يوم القبض عليه وحتى الآن..

قبل أن يصعد "شكري" إلى السيارة الخاصة بنقله، وقف القائد أمامه في صمت، ثم وجه إليه التحية العسكرية..

مما أصاب بقية الجنود الإسرائيليين بالذهول..

فهم يعلمون أنه القائد المغرور الذى يكره أن يؤدى التحية العسكرية لرؤسائه، ويفعلها على مضض وكره..

جاء الرد من ضباط الموساد من تل أبيب وتحديدًا من "شاؤول بن عامي" و"حاييم جدعون" بالموافقة على البدء في عملية تجنيد "يوسى كاتسير" للمصرية "كاميليا"، ابنة العقيد "فكرى الصباغ"..

نظرًا لاحتياجهم الشديد لوجود عنصر داخل المنطقة الشمالية العسكرية وكذلك القوات البحرية..

فقد أرسل إليهما "أبو جميل" منذ أيام عدة شارحًا ظروف "كاميليا" المصرية صديقة "لاريسا"، التي تقريبًا تحت سيطرته بنسبة كبيرة، يستأذن في تجنيد "كاميليا"، فهو يراها مناسبة للغاية، فهى في أثينا بمفردها أي ليس لها أي داعم أو ناصح، بالإضافة إلى أنها تعيش على راتب المنحة الشهرية الذى ترسله إليها الجامعة، وهو مبلغ يكاد يكفى المعيشة ولا يكفى بالطبع طموح وتطلعات شابة جميلة في مقتبل العمر، بالإضافة إلى أنها من الممكن أن تقع في حب أحد رجالنا سواء برضاها أو...

ثم شرح "يوسى كاتسير" إلى رجال الموساد في إسرائيل عبر البرقية المشفرة خطة تجنيده لـ "كاميليا" إذا تمت الموافقة..

وبعد أيام عدة من البحث والتقصي حول "كاميليا" وأسرتها في الإسكندرية والتأكد أنها ليس لها أية علاقة بالمخابرات المصرية..

تم إعطاء الضوء الأخضر لـ "أبو جميل" بالبدء فورًا في نصب شباكه الشيطانية حولها..

دق قلب "لاريسا" عندما تلقت مكالمة هاتفية أثناء عملها بالفندق، وكان المتحدث هو "بافو"، فقد ظنت أنه يطالبها بدفعة جديدة من المال..

لكنه كان لطيفًا ورقيقًا للغاية، صار يمزح معها مع بعض عبارات الغزل من النوع الذى تحبه الفتيات، ثم دعاها لتناول القهوة الصباحية معه في أحد المقاهي المطلة على البحر، وذكرها بموضوع الصفقة التجارية مع أحد المكاتب الخاصة بتجارة أدوات الصيد في الإسكندرية، وأنه بحاجة شديدة للتحدث مع صديقتها "كاميليا" للبحث وأخذ المشورة قبل البدء في أي إجراء، "التاجر الشاطر هو من يبحث ويسأل ويستشير قبل الوقوع في صفقة خاسرة"، هكذا أنهى كلامه..

أبدت "كاميليا" موافقتها على مساعدة صديق "لاريسا" "بافو" في الحصول على معلومات عن معدات صيد الأسماك في الإسكندرية، على قدر استطاعتها فهى ليست خبيرة في هذا المجال، هى فقط كانت تمارسه بصحبة أبيها العقيد/ فكرى الصباغ..

وفى الموعد المحدد، كان "يوسى كاتسير" أو "بافو" منتظرًا داخل سيارته المصفوفة أمام المقهى المطل على البحر..

ظهرتا "لاريسا" و"كاميليا" على الرصيف المقابل، وأثناء عبور الطريق ظهرت دراجة نارية مسرعة، اصطدمت بجسد "كاميليا" التي سقطت على الأرض وارتطمت رأسها بالأسفلت، هرع إليها "بافو" الذى كان يراقب المشهد من سيارته، و"لاريسا" في حالة هلع وذهول..

حمل "بافو" "كاميليا" وأدخلها على المقعد الخلفي في سيارته وجلست بجواره "لاريسا"، وانطلقا إلى أقرب مستشفى..

طلب الطبيب إدخال الحالة "كاميليا" إلى حجرة العمليات فورًا، وكانت "كاميليا" في حالة إغماء خفيف وبدأت تستفيق بصعوبة..

خرج الطبيب إلى حيث كانت "لاريسا" و"بافو" ليخبرها أنها نزفت الكثير من الدماء ولا بد من نقل الدم لها فورًا، لكنه يبحث عن متبرع..

نظرت "لاريسا" إلى "بافو" الذى بادر على الفور قائلًا: "أنا جاهز يا دكتور".

اصطحبه الطبيب إلى حجرة بجوار حجرة العمليات، التي كانت "كاميليا" ممددة على السرير داخلها واستفاقت، تحسست رأسها مكان السقوط، كانت مربوطة، لكن تشعر أنها بخير وعلى ما يرام، فقط تشعر ببعض الصداع..

وصل إلى مسامعها حديث جانبي من الحجرة المجاورة، وكان الحديث باللغة العبرية التي هى درستها بجانب اليونانية لمدة أربع سنوات..

"الطبيب": "تمام كده، أريدك أن تتظاهر أمام "لاريسا" أنك في حالة هزال بعد التبرع بدمائك من أجل إنقاذ حياة صديقتها "كاميليا"..

والباقي اتركه لي، سوف أشرح لها أنك تبرعت بلتر ونصف من الدماء خصوصًا أن فصيلة دمائك متطابقة مع فصيلة دماء المريضة أو المصابة".

"بافو": "ممتاز، لكن أريد تأكيد إدارة المستشفى بعدم إبلاغ الشرطة، أنا أعرف أنكم تبلغون الشرطة إن كان هناك حادث".

"الطبيب": "لا تقلق أنا قمت باللازم، عليك أن تنتظر الآن في الخارج، أنا وضعت شريط طبى صغير (بلاستر) على ذراعك كأنك تبرعت بدمائك،

وبعد أقل من ساعة سأكتب للمصابة على خروج ويمكن أن تصطحبها معك".

"بافو": "لا يا دكتور أنا أريد "كاميليا" أن تظل على الأقل يومين بالمستشفى، فهذا يساعد في أداء عملي ويشعرها بأهمية وجودي بجانبها وما قدمته من أجل إنقاذ حياتها، أو كما يقولون دمائي تجرى في عروقها".

ضحك الاثنان بينما دموع "كاميليا" تسقط، ماذا يحدث لها إنهما يتحدثان بالعبرية هنا في أثينا، ويختلقون أمر التبرع بالدماء وهو لم يحدث، وإصابتها بسيطة للغاية، لا تحتاج لحجرة عمليات أو المكوث في المستشفى لمدة يومين..

فكرت أن تهرب وتغادر المستشفى، لكنها رأت من الأفضل أن تجاريهم خصوصًا ذلك الرجل الذى كان يحادث الطبيب، ويبدو أن في الأمر خطر شديد عليها لكن من الأفضل الاستمرار كي تجد إجابات وتفسير لما سمعته..

ولا بد أن الأمر يتعلق باليهود، أو الكيان الصهيوني..

وأين "لاريسا"؟ هل هذا الرجل هو نفسه الذى كنا بصدد مقابلته في المقهى الذى يدعى "بافو"؟ ربما!!

صارت الأسئلة تدور في رأسها، وتزداد عددها بلا إجابة..

لكن يبدو أنها مغامرة سخيفة ليست في الوقت المناسب إطلاقًا..

إنما الشيء المؤكد هو أنها لا بد أن تكون حذرة ولا تتصرف بسذاجة..

قطع صوت دخول اثنان من الممرضات الحجرة، ليدفعا سريرها على الطابق الثاني في غرفة صغيرة لكن أنيقة ومرتبة..

وبعد مرور نصف ساعة، دخل عليها الطبيب الذى قام بفحصها سريعًا مع قياس النبض، وأخبرها باللغة اليونانية أنها في تحسن وكل شيء سيسير ويصبح على ما يرام..

إنه نفس الصوت الذى سمعته فى الطابق الأسفل، الصوت الذى كان يتحدث بالعبرية..

هذه هى أول استفادة تستفيد بها "كاميليا" باللغة العبرية منذ أن درستها قبل أربع سنوات أو أكثر، تحقيقًا للمقولة "أعرف عدوك"..

أكمل الطبيب حديثه: "ولأنكِ نزفت الكثير من الدماء، اضطررنا لعمل نقل دماء لكِ، ولحسن الحظ كان هناك متبرع يحمل نفس فصيلة دمك..

اعتقد أنه نفس الشخص الذى حضر بكِ إلى المستشفى وأنت غارقة في دمائك ومعه آنسة أخرى..

هما في الخارج في الانتظار أن تأذنين لهما بزيارتك، هل لى أن أسمح لهما بالدخول؟!".

"كاميليا": "نعم.. بكل تأكيد".

قدم "دميان" تقريرًا مفصلًا في الجلسة التي جمعته مع "صبرى عبدالهادى" و"بهاء إسماعيل" حيث كان في سيارة تتبع خط سير "أبو جميل" منذ أن غادر منزله في الصباح حتى وقف بسيارته أمام المقهى المطل

على البحرن ولم يغادر سيارته حتى حدثت حادثة اصطدام الدراجة النارية بـ "صديقة لاريسا"، التي ما زالت مجهولة لديهم لا يعرفون حتى اسمها..

وظلت المتابعة والمراقبة مستمرة إلى أن هبط "أبو جميل" من سيارته وحمل الفتاة "صديقة لاريسا"، وجلست "لاريسا" بجواره وانطلقا إلى المستشفى، هنا قاطعة "صبرى": "هل حاولت معرفة أي شيء من سجلات المستشفى عن تفاصيل الحادث"..

"دميان": "لا.. لم أستطع، فقد كان الجميع يتكتم على الحادث والمصابة، واعتقد أنه لم يتم إبلاغ الشرطة، وهذا أمر مريب".

"بهاء": "نعم مريب جدًا، إذن الأمر يبدو أنه من تدبير المخابرات، والحادث هذا مدبر، فهو أشبه بالاختطاف، وهذه الفتاة لا تدرى أنه تم نسج حولها الشباك لاصطيادها..

لكن ما أهمية هذه الفتاة للموساد، فرجال الموساد لن يدبروا كل هذه المسرحية من أجل لا شيء، لا بد أن وراءها صيد ثمين".

"دميان": "هذا صحيح، أيًا كان أهميتها فقد وقع الاختيار عليها وسوف يتم تدريبها، فهى من الآن فصاعدًا لا بد أن تكون تحت رقابة من جانبنا".

دخل عليهم أحد الرجال بعد أن طرق الباب واستأذن، يحمل في يده رسالة وبعد فك شفرتها، إنها من المخابرات العامة المصرية، يستدعون فيها "سراج زغلول" أو "نديم" على وجه السرعة للحضور إلى القاهرة.

استمع "نديم" إلى ما جاء في الرسالة، كما استمع "صبرى" و"بهاء"..

نهض واقفًا: "إذن على أن استعد للسفر، هل من الممكن أن تحجز لى أقرب ميعاد في الغد من أثينا إلى القاهرة عبر روما؟"

غادر "نديم" الاجتماع، متوجهًا إلى مقر إقامته لجمع حاجياته والاستعداد للسفر، ثم سرح بخياله متسائلًا، البرقية لم تذكر المدة التي سأقضيها في القاهرة، هل هى أيام؟! أم أقل؟! أم أكثر؟! هل أجمع كل متعلقاتى؟! أم أنها رحلة قصيرة وأعود بعدها؟!

لم يجد إجابة على سؤاله وقد تدرب ألا يسأل كثيرًا، عليه التنفيذ فحسب..

جمع المهم والقليل من أغراضه، وتمنى لو أن هناك متسعًا من الوقت في هذه الرحلة كى يذهب لزيارة عم "حجازى"، والاطمئنان عليه، كذلك زيارة الباشا، والهانم، و"إيفا"، والست "علية"، و"فايزة"، آه كم صارت جميلة وفاتنة.

اتجه الطبيب ناحية الباب بعد أن اطمئن على حالة "كاميليا" وأبلغها أنه قد تم نقل لتر ونصف من الدماء إليها من رجل له نفس فصيلة الدم، وهو في الخارج بصحبة صديقتها "لاريسا"..

خرج الطبيب من الحجرة وألقى التحية على "لاريسا"، ثم اتجه بالحديث إلى "بافو" أو "يوسى كاتسير": "هــا.. ماذا أيها البطل.. كيف تشعر الآن؟

لقد قمت بمهمة عظيمة، نقلت المصابة بنفسك وبسيارتك إلى المستشفى هنا، رفضت أن تغادر، ثم عرضت أن تعطيها لتر ونصف من

دمائك، والآن أراك حاملًا باقة ورد رائعة وتريد زيارتها، يا لك من إنسان رائع".

ابتسمت "لاريسا"، وهى تسمع كلمات الطبيب، الذى تعمد أن يدلى برأيه وإعجابه بـ "بافو" أمام "لاريسا"..

تقدمت "لاريسا" وفتحت الباب بحرص، وتوجهت إلى "كاميليا" للاطمئنان عليها، وتخبرها أن: "" بافو" الذى كان من المفترض أن نتقابل معه في المقهى بخصوص معدات الصيد، هو من أنقذك ونقلك إلى هنا بسيارته، ولم يكتفِ بذلك بل أصر على الانتظار حتى الاطمئنان عليكِ وأنتِ في حجرة العمليات، وتبرع بالدم لكِ..

هذا لطف غير طبيعى منه، خصوصًا أنه لا يعرفك، وأنا لم أقابله إلا مرتين فقط، سأدعوه للدخول".

فتح "بافو" أو "يوسى كاتسير" الباب كالطفل الخجول، حاملًا في يده باقة ورد، تقدم خطوتين ناحية "كاميليا"..

وما إن رفعت رأسها وشاهدته، عبس وجهها وغابت الابتسامة التي ما زالت على وجهها من حديثها مع "لاريسا"..

دققت النظر فيه، نعم، إنه هو، أنا لا أنساه ولن أنساه مهما طال وامتد الزمن، حتى وإن مر أكثر من ثلاثة عشر عامًا..

إنه هو الخبيث الحقير، إنه خنزير، نعم "يوسى كاتسير"، الضابط الإسرائيلى القذر، قاتل أبى وأمى وخالى..

دار شريط ذكريات ما حدث سريعًا في بورفؤاد عندما كانت طفلة ذات العشر أعوام..

لم تسمع كلمة مما قالها، لكنه هو نفس الصوت الذى كان يتحدث إلى الطبيب باللغة العبرية..

تقدم "خنزير" أو "بافو" أو "يوسى كاتسير" أكثر، وقدم باقة الزهور إلى "كاميليا"..

تأبى يداها أن تمتد لتناول الزهور من يده، نظرت إلى وجهه إلى الجرح القديم التي أحدثته فوق حاجبه الأيسر، آثار الحادث ترك ندبة واضحة فوق حاجبه، شعرت ببعض الفخر أنها هى من أحدثت له هذه العاهة التي لم تمحوها السنين، لكن مقابل هذا كان قتله بدم بارد لأسرتها وهدم بيتها..

ما زال "بافو" مادًا يده بالزهور إلى "كاميليا" والابتسامة الخبيثة تعلو وجهه..

"لاريسا" تراقب الموقف ولا تفهم لماذا "كاميليا" متبلدة ووجهها متجهم؟

سعلت "كاميليا" مرة واثنين وثلاثة، استمر السعال لدقائق..

بعدها مالت بوجهها ناحية اليمين من السرير باتجاه الأرض وتقيأت، نعم تقيأت بشدة، استمر التقيؤ، عصارة صفراء تخرج من معدتها..

هرعت الممرضة إلى الطبيب الذى حضر على الفور، وطلب من الجميع مغادرة الغرفة وحقن "كاميليا" حقنة مهدئة، استسلمت بعدها للنوم..

أغلقت عيناها وهى تشاهد هذا الخنزير يغادر الغرفة بأمر الطبيب، وهو لا يدرى ماذا حدث، ما زالت باقة الورد في يده..

تملكه الغضب وصار يهذى بكلمات أمام "لاريسا": "نقلتها للمستشفى، وتبرعت بدمى، وتركت عملى، وإذا بها تقابلنى هكذا، من دون كلمة ترحاب أو شكر، ثم تتقيأ بهذا الشكل لدرجة أن بعض قطرات من القيء قد سقطت على بنطالى وحذائى، ماذا حدث!!"

"لاريسا": "بافو.. أعذرها.. يبدو أن الحادث له آثار جانبية"..

استسلمت أجفان "كاميليا" للنوم مع استمرار هبوط الدمع على وجهها الرقيق..

عادت إليها كل مشاعر الكره والغل تجاه هذا الحيوان "يوسى كاتسير"..

رغم أنها لم تنس إطلاقًا ما حدث لكنها كانت تتعايش مع الأمر ظنًا منها أنها لن تتقابل مع هذا الوغد مرة أخرى، هو بالطبع لم يتذكرها، فكيف للجلاد أن يذكر آثار تعذيب ضحيته..

ما زال شريط الأحداث يجرى أمامها حتى وبعد غيابها عن الوعى.. ووسط كل هذا ظهرت ابتسامة خفيفة على شفتيها حين لاحت في رأسها فكرة الانتقام، ولما لا؟ الله له حكمة في أن يظهر هذا الخنزير في طريقى..

لم لا تكون فرصتى لإذاقته من نفس الكأس؟ لما لا يفرح العالم أجمع أننى سأخلص البشرية من شر هذا الخنزير المجرم المحتل القاتل؟

حان الوقت كى ترتاح أرواح أبى وأمى وخالى في قبورهم، حين تعلم وتشاهد تلك الأرواح الطاهرة، التي هى من المؤكد تحوم حولى طوال الوقت وتحرسنى، أننى استطعت أن انتقم لهم، وأنهى حياة فاسد مثل هذا، لتخرج روحه الشريرة من جسده النتن، روح فاسدة، لا تعرف إعمار الأرض وإنما الإفساد، القتل، والخراب والدمار، آن لأخى "نديم" أن يفخر بى عندما يعلم أننى انتقمت له أيضًا، عندما أقابله يومًا ما، بالتأكيد سنتقابل.

عند سلم الطائرة القادمة من روما، كانت سيارة تابعة لجهاز المخابرات العامة في انتظار "سراج زغلول" أو "نديم"، وتوجه على الفور إلى مبنى الجهاز..

وبعد أن أخذ قسطًا من الراحة وتناول طعامه عقد جلسة مع مدير الجهاز، الذى بدأ كلامه بالسؤال عن أحواله وعن ما تم في مهمته الموكلة إليه مؤخرًا، وهى البحث والعثور على مذكرات رجل الموساد "يوسى كاتسير"..

ثم انتقل الرجل بحديثه إلى "سراج زغلول" أنه تم استدعاؤه لأمر آخر تمامًا، ثم بدأ في الشرح للمهمة الجديدة، ربما سمعت أو علمت أن العدو الإسرائيلي الذى يحتل أرضنا وأهم بقعة في مصر "سيناء الحبيبة"، وهو قابع بقواته على الضفة الشرقية لقناة السويس، وهو الآن يبنى أكبر وأضخم ساتر ترابي لحمايته من هجمات رجالنا، ومع ذلك وأثناء حرب الاستنزاف فإن القوات المصرية تقوم بعمليات ربما يذكرها التاريخ يومًا ما، يدمرون الكثير من مواقعه وينغصون عليهم حياتهم، وأحيانًا يعودون بأسرى عدة من الجيش الإسرائيلي..

ربما وصل إلى مسامعك بعض من هذه العمليات، لكن الأمر الخطير الذي أعلنت عنه إسرائيل لكل وكالات الأنباء، ألا وهو البدء في البحث والتنقيب واستخراج البترول من خليج السويس من المياه التي هى مياهنا..

وهذه تعد ضربة قاسمة للدولة المصرية ومحاولة إذلال للكرامة والإرادة المصرية، وبالطبع نحن كدولة ليست بالصغيرة أو الضعيفة رغم النكسة، لن نسمح بمثل هذا الأمر أن يحدث وأن الرئيس "جمال عبدالناصر" شخصيًا مهتم بهذا الأمر..

وقد كلف أحد الضباط ورجل المخابرات المشهود له بالكفاءة بتولى هذا الأمر..

هو الآن في انتظارك ليشرح لك دورك في العملية تحديدًا..

"سراج زغلول": "أية عملية يافندم؟".

"المدير": "عملية تفجير الحفار".

"سراج زغلول": "أي حفار؟".

"المدير": "توجه إلى مكتب الضابط الموكل بتنفيذ المهمة وهو سيشرح لك كل شيء، وتحديدًا دورك وكل المطلوب منك، ربنا يوفقك يابطل".

توجه "سراج زغلول" عبر طرقات المبنى إلى أن وصل لمكتب الضابط، الذى رحب به بشدة، وعقد جلسة معه واستهل كلامه: "أنت أكيد سمعت يا سيد سراج عما تنوى إسرائيل عمله في خليج السويس".

"سراج زغلول": "نعم علمت ذلك منذ دقائق من السيد مدير الجهاز، لكن لا أعرف التفاصيل".

"الضابط": "حسنًا، لقد قامت إسرائيل باستئجار حفار مملوك لشركة إنجليزية أمريكية، الحفار يدعى "كنتنج1" (Kenting 1)..

القيادة السياسية على أعلى المستويات مهتمة بهذا الأمر، المطلوب هو أن لا يصل هذا الحفار إلى خليج السويس مهما كان الثمن..

أما مهمتك أنت يا سيد "سراج" ؛نظرًا لملامحك غير المصرية وقدرتك على التواجد والانخراط وسط الأوروبيين، فالمطلوب منك هو متابعة ومراقبة خط سير الحفار في المحيط الأطلنطى، كي نعرف وجهته المقبلة، التي هى غير معلومة لدينا، حتى ننتظره ونحتفى به أعظم احتفاء".

ضحك الاثنان، وأمام الخرائط والكثير من المعلومات قام الضابط بشرح كل تفاصيل مهمة "نديم" أو "سراج زغلول"..

أعطاه الضابط يوم واحد للراحة والاستعداد والتحرك في اليوم التالى..

غادر "نديم" مبنى جهاز المخابرات العامة.. وأمامة وجهتين.. الأولى: الذهاب لزيارة عم "حجازى" في بورتوفيق..

والثانية: الذهاب لزيارة الباشا في فيلا العجمى..

الذهاب إلى بورتوفيق سيستغرق وقتًا طويلًا في الذهاب والعودة؛ نظرًا لصعوبة العبور إلى بورسعيد، بسبب احتلال العدو الضفة الشرقية من القناة..

ولا بد من تصاريح تساعده في التنقل عبر الكمائن المنتشرة على الطريق المؤدى إلى بورسعيد من قبل الجيش المصرى..

إذن الاختيار الأفضل والأسرع هو الذهاب إلى الإسكندرية بالقطار ومنها إلى العجمى..

وصل "نديم" أمام بوابة فيلا "إيفا" بالعجمى عبر الحديقة الصغيرة، فتحت له الباب الست "علية"، فرحت كثيرًا لرؤيته، ما زالت تذكره أيام كان طفلًا صغيرًا، الآن صار رجلًا جميل الملامح، من يراه لا يعرف أنه مصري..

نظرت إليه وأطالت فيه النظر وهى تفكر وتتساءل.. هل سيدى "نبيل" بيه لو كان عايش.. ربما يكون له نفس ملامح "نديم"؟

قدمت له كوبًا من الشاي، وغابت لدقائق، وعادت وهى تدفع الكرسى المتحرك..

إنها "إيفا" في حالة من السعادة على غير عادتها، علامات السعادة والسرور ظاهرة على وجهها الرقيق، عيناها تلمعان وصوتها مفعم بالفرح..

أجواء البيت تغيرت، الكل سعيد، وازدادت السعادة مع ظهور الهانم لتحية "نديم"، صافحته وهى تقول: "سبحان الله كأن "نبيل" يقف أمامى لكن بعد أن كبر وصار رجلًا"، ثم عادت مسحة الحزن إلى وجهها "الله يرحمه" تمتمت..

وأثناء سؤال "نديم" عن الباشا توقف عن الكلام عند قدوم "فايزة"..

جمالها يزداد أكثر عند كل زيارة، نظرت إليه برقة وخجل، صافحته بيد حانية، أمسك بيدها، لحظات مرت وعيناهما تهمسان بكلمات غير مسموعة..

قلبيهما يدق بشدة، ولم يفلت يدها إلا عند سماعه الهانم تخبره أن الباشا مريض بعض الشيء، هو في حجرته بالطابق الأعلى،

خرج الأربعة إلى الحديقة، الست "علية"، و"إيفا"، و"فايزة"، و"نديم"، صار يلعب معهما، تعالت أصوات الفرح مع التقاط الكرة التي كان يقذفها نديم إليهما، المرح والفرح حتى الكلب كان سعيدًا بوجود "نديم"..

يقفز في الهواء بفكه المفتوح محاولًا التقاط الكرة..

ومن نافذة الطابق الأعلى وقف الباشا يشاهد الموقف بوجه مبتسم..

لمحه "نديم"، توقف عن اللعب، لكن الباشا رفع يده إليه بالتحية وأشار له أن يستمر في مسامرة الجميع..

عند الظهيرة تركتهم "علية" لتعُد طعام الغداء، جلس "نديم" بين "إيفا" و"فايزة"، وهو يحكى لهما عن حياة الجندية والعسكرية في الجيش المصرى، وبالطبع أخفى أنه منذ فترة ترك الجيش وانضم للمخابرات..

دعت "علية" الجميع لتناول الغداء..

الفرحة تعم الجميع حول مائدة الطعام، وهبط الباشا الدرج مغادرًا حجرة نومه، التي لم يغادرها منذ أيام لينضم إليهم..

وبعد الغداء طلب الباشا من نديم أن يصحبه إلى حجرة المعيشة الجانبية يريد الحديث معه..

أمسك "نديم" بيد الباشا وهو يسير ببطء حتى جلس على مقعد مريح..

"الباشا": "سعيد للغاية برؤيتك يا "نديم"، طلتك علينا تأتى معها الفرحة والسعادة للجميع، ما زلت تذكرنى بابنى الوحيد الراحل "نبيل"، منهم لله اللى أهملوا في رعايته وتسببوا في موته"..

"نديم": "الله يرحمه يا باشا.. البركة في" إيفا" ".

"الباشا": "آه.. "إيفا".. مسكينة.. كنت أتمنى أن أجد لها العلاج، وتستطيع الوقوف والركض مثل باقى البنات..

اسمع يا "نديم" سوف أُحدثك بمنتهى الصراحة، "إيفا" بنتى بتحبك، نعم.. أنا أعلم ذلك، وأنا لا ائتمن أحد في هذه الحياة من بعدى غيرك أنت، نعم أنت، لا تتعجب، أنا وجدت فيك الإخلاص والأمانة التي لم أجدها في أقرب الناس لى والذين كان فضلى عليهم كبيرًا، الجميع هجرونى وابتعدوا عنى، وكأن الرابط الذى كان بيننا هو نفوذى وأموالى فقط..

منذ إلغاء الباشاوية وسرقة ونهب ممتلكاتى تحت اسم التأميم..

ربنا لا يسامحهم من اتخذوا هذه القرارات.. منذ ما حدث والجميع تنكر لى لدرجة أن من يحدثنى لم يعد ينادينى باسم حشمت باشا رستم كما كنت، لكن ينادوننى السيد حشمت رستم..

عندما تدير الدنيا ظهرها لك يا ولدى، تسقط الأقنعة وتنجلى الأصباغ ويعود الشيء لأصله، الإنسان الأصيل يظل هكذا أما الخسيس المرتدى لقناع الوفاء والإخلاص يعود لأصله خسيسًا..

أشعر أن أيامى في الدنيا قليلة لذا فأنا أوصيك وصيتين..

الأولى وصية شفوية والثانية مكتوبة..

أما الوصية الأولى.. الشفوية: أوصيك يا نديم أن تعتنى بأسرتى من بعدى خصوصًا الهانم و"إيفا"، زرهم كثيرًا وكن معهم وإذا رغبت في العيش والإقامة معهم بشكل دائم، فهذا أفضل ويشعرنى بالاطمئنان عليهما..

"إيفا" بنتى بتحبك.. لكن أعلم أنها لا تصلح للزواج..

تزوج يا بنى من تريد لكن لا تترك "إيفا" اسمح لها بالعيش معك أنت وزوجتك، اعتبرها أختك، فإذا أنا اعتبرتك مكان "نبيل" الله يرحمه إذن اعتبرها أختك اهتم بها واعتنى بها كما تفعل الآن.. هى سعيدة دائمًا حولك وفى وجودك، هى ليست لها أي طلبات.. وثقتى فيك كبيرة.. أنا لى نظرة في الناس وقد تعلمت من أخطائى في نظرتى للأوغاد وثقتى الزائدة..

أطلب منك أن تبيت هنا الليلة.. أعلم أننى كنت أرفض إنك تبيت في السرايا عندما كنت صغيرًا.. لكن لم يعد في العمر بقية.. عايز أشوف السعادة في البيت بالنهار وفى الليل.. أنا علمت أنك مسافر للانضمام للوحدة العسكرية الخاصة بك غدًا..

لذا أرجو أن تقضى الليلة هنا، "علية" جهزت غرفة خاصة لك.. في كل إجازة يمكنك أن تحضر هنا وتقيم فيها..

أما الوصية الثانية.. الوصية المكتوبة: أرجو أن تفتح درج المكتب الموجود في آخر الغرفة هذا، هناك ظرف أبيض كبير، أحضره..

فتح الباشا الظرف، ثم أكمل حديثه: هذه يا نديم.. وصية مكتوبة وموثقة وتمت بمعرفة المحامى الخاص بى، وهذا كارت المحامى فيه اسم وعنوان المكتب وأرقام الهاتف، الوصية تقضى بأن تؤول ملكية هذه الفيلا، فيلا "إيفا" بالعجمى بعد رحيلى ورحيل الهانم، إلى "إيفا".

تزوج فيها يا ولدى، واهتم بإيفا، وإذا حدث شيء لإيفا..

أرجو ألا تغير اسم الفيلا.. رغم أن الملكية ستكون قد آلت إليك..

لكنه رجاء شخصى، أبق على اللافتة على الباب الخارجي "فيلا إيفا"، هذه وصية وعقد ملكية باسمك"، ثم أغرورقت عينا الباشا بالدمع، وانهمر "نديم" في البكاء ونزل على ركبتيه أمام الباشا يقبل يده ورأسه، وضمه إلى صدره في حنان الابن.

* * *

تسلم "صبرى عبد الهادى" و"بهاء إسماعيل" المهمة التي كانت موكلة إلى "نديم" أو "سراج زغلول" أو "دميان"، وهى متابعة ومراقبة "أبو جميل" والبحث عن مذكرات "يوسى كاتسير"

في اليوم الأول لوضع خطة مراقبة ومتابعة "أبو جميل"، "لاريسا"، وأيضًا متابعة الفتاة المجهولة التي صدمتها الدراجة النارية ولا زالت في المستشفى، ورد التقرير من المخابرات العامة في مصر يتضمن معلومات عن شخصيات مجهولة لمجموعة العمل في اليونان للاستعلام عنهم ومن ضمنهم الفتاة المجهولة..

ومنذ أن تلقى رجال المخابرات العامة الطلب، بدأوا العمل فورًا، وحاول الضابط المكلف بمعرفة هوية الفتاة صديقة "لاريسا" من إيجاد طرف الخيط الذى يبدأ عن طريقه كشف هوية تلك الفتاة، فكانت "لاريسا" هى المفتاح، وبالرجوع لليوم الأول لتلك الفتاة في أثينا "لاريسا" تخرج معها من ميناء "بيرايوس"..

حيث كانت بداية البحث، المركب التي كانت عليها تلك الفتاة، فقد استطاع الضابط الحصول على قائمة بأسماء الركاب على تلك المركب المتجهة من ميناء الإسكندرية إلى ميناء "بيرايوس" أثينا..

وحصر الشكوك للفتيات في مثل عمرها، ومتابعة البعض اتضح لهم الآتى:

وهو ما ورد في التقرير الذى كان يقرأه "بهاء إسماعيل" في وجود صبرى عبدالهادى..

الاسم: كاميليا أبو زيد الإسناوى..

السن: ثلاثة وعشرون عامًا.

الأب متوفى، وهى تقيم مع العقيد/ فكرى الصباغ وزوجته "إسعاد"..

واستمر "بهاء" في قراءة كل ما يخص "كاميليا"، عنوان السكن، الدراسة، المواصفات الشخصية، وبعض المعلومات عن سنوات الدراسة، ثم علاقتها بالفتاة اليونانية "لاريسا"، وأيضًا معلومات عن "لاريسا" وأسرتها..

ثم في نهاية التقرير كانت هناك توصية بمنع تجنيد "كاميليا" بأية حال من الأحوال..

عقد الضابطان "صبرى وبهاء" جلسة مطولة لتحديد المهام ووضع "كاميليا" تحت المراقبة مع الاستمرار في مراقبة "لاريسا"، وبالطبع تشديد الرقابة على "أبو جميل" رأس الأفعى، الذى لم يدخر جهدًا في محاولة

التقرب من "كاميليا" فهو يرى فيها الكنز الثمين، إذا استطاع الإيقاع بها وبأبيها العقيد/ فكرى الصباغ..

تتصارع الأفكار في رأس "كاميليا"، فقد بات واضحًا لها أن هذا الخنزير الذى يعيش في المجتمع اليوناني، ليس وراءه خير ومسألة شركة مصايد أعالى البحار هذه لا بد وأن وراءها شيء، "أنا أشتم رائحة خنزير مقزز"، هكذا أتمت كلامها سرًا..

استعادت عافيتها وأثناء مرور الطبيب للاطمئنان عليها، صرحت له بأنها في حالة جسدية ممتازة وترغب في مغادرة المستشفى، أجابها الطبيب بأنه سوف يتابع الموقف والفحص الطبي الأخير، وإذا كانت كذلك سيؤشر لها بالخروج..

طبعًا هو قال ذلك لإيجاد متسعًا من الوقت للتواصل مع أبو جميل في مسألة خروج "كاميليا" من المستشفى..

وبالفعل، تلقى تعليمات من "أبو جميل" أنه لا مانع من خروجها لكن عليه أن ينتظر حضوره، لا بد وأن تخرج معه..

كانت "كاميليا" موقنة أن هذا الطبيب وراءه الكثير ولا بد أنه من نفس ملة أو جنسية الخنزير..

كانت بداخلها سعادة غريبة، نابعة من أنها رسالة من السماء، أن الفرصة سانحة للانتقام.. لذا قررت التمادى مع هذا الخنزير "بافو" والتظاهر أنها لا تعرف شيئًا ومن حسن الحظ أنه لا يتذكرها ولم يتعرف عليها..

فعليه أن يظن أنه الأذكى وهى ساذجة لا تعلم شيئًا، إلى أن تحين الفرصة للخلاص منه.. لكن ظهر صوت آخر في عقلها يخبرها أن هذه اللعبة عواقبها غير معلومة.. فبالتأكيد أن هذه النوعية مثل خنزير مدربون ولديهم أدوات وأجهزة تساعدهم، أما هى فهى بمفردها وغير مدربة ولا تعلم شيئًا عن هذا العالم الغامض المقبلة عليه، ولا بد من الاتصال بأبى سيادة العقيد/ فكرى..

بابا فكرى هو من يستطيع أن يرشدنى إلى الصواب..

أمسكت بالهاتف وطلبت من عاملة التحويلة أن تطلب لها رقمًا في مصر.. بعد أن سمعت صوت الجرس.. جاءها صوت ماما "إسعاد" التي كانت سعيدة للغاية لسماع صوت "كاميليا"، دار بينهما حديث ملئ بالشجون والأشواق الحارة..

في النهاية أخبرتها ماما "إسعاد" أن بابا فكرى في الوحدة بالقيادة الشمالية وهى لا تعلم متى سيعود ربما بعد يومين أو أكثر، لاتعلم..

إذن هى العودة لنقطة الصفر، كانت "كاميليا" تتمنى لو كان "نديم" حولها لا بد وأنه رجلًا قويًا الآن خصوصًا بعد أن علمت من عم حجازى خبر تطوعه في الجيش، كم هى في أشد الاحتياج إليه وإلى نصحه..

ما باليد حيلة، سوف تستمر إلى أن تحين الفرصة لإنهاء حياة الخنزير الذى ظهر أمامها مرة أخرى بعد مرور ساعة..

قابلته بشيء من الترحاب المخلوط بالاشمئزاز، لكنها اكتشفت في نفسها أنها لديها موهبة قوية في التمثيل..

تكلم كثيرًا وهى تسمع، وحين جاء دورها للكلام، سألته وهى تشير إلى وجهه: "يا ترى ما هذه الندبة التي فوق حاجبك الأيسر؟!!".

تغيرت ملامحه وهرب الحماس من صوته وظهرت شخصية الشرير الشرس الحقيقية، وهو يضع إصبعه فوق الندبى، وتلعثم في الكلام ولم يجب بأى كلام مفهوم..

شعرت "كاميليا" بانتصارها في الجولة الأولى، إذ استطاعت أن تحدث له هزة نفسية وظهرت واضحة عليه ولم يستطع أن يخفى انفعاله وغضبه..

أخرج علبة سجائره، وأشعل سيجارة في عصبية واضحة، وهو ينظر نحو "كاميليا" شذرًا، لماذا تسأله مثل هذا السؤال في بداية التعارف بينهما؟!

استقلت السيارة إلى جواره، سار ببطء محاولًا جذب أطراف الحديث مع "كاميليا" التي كانت صامتة أغلب الوقت، وبعد أن فرغ من حديثه..

أفصحت له عن شكرها لتبرعه بالدماء من أجل إنقاذ حياتها..

ضحك ضحكته الخبيثة: "أنقذت حياتك ودمائي تجرى في عروقك، ربما احتاج في يوم من الأيام رد الجميل منك".

نظرت إليه ولم يطاوعها لسانها أن تجيب على الكلمات التي تشبه الحبال التي يشد بها وثاقها.. وكأنها مديونة له ولا بد من سداد الدين..

أجابته بجملة أثارت غضبه: "ربما إذا تعرضت لحادث، أكون أنا أول المتبرعين لإنقاذ حياتك، نحن لا نعلم ماذا يحدث غدًا".

ضغط بقدمه على بدال البنزين لتصرخ السيارة من السرعة حتى توقف أمام منزل "لاريسا"..

لاقت "كاميليا" ترحابًا حقيقيًا من عم "أنطون" وزوجته "نارفارا" والصديقة "لاريسا"، التي كانت تحوم حولها الشكوك، فلا تعلم "كاميليا" هل هى مشتركة مع ذلك الخنزير " أبو جميل " في أمر ما؟ هل هى متورطة؟ أم أنها تم التلاعب بها من قبل ذلك الخنزير وهى بريئة ولا تعلم شيئًا؟

يبدو أن الأمر محاط بالألغاز وأن حيرتها ستزداد يومًا بعد يوم..

كانت على موعد للقاء الخنزير "أبو جميل" بعد يومين للحديث عن معدات الصيد..

ثم تساءلت.. لماذا يدعى "أبو جميل"؟! لماذا غير اسمه؟! فهى تعرف أصله، إنه الضابط الإسرائيلي "يوسى كاتسير"، لماذا اسم عربى؟! لماذا "أبو جميل"؟!

* * *

أثناء حرب الاستنزاف وهى الحرب غير المعلنة، التي قررت فيها قيادة الجيش المصرى استنزاف قدرات المحتل الصهيوني وعدم ترك الحرية له للتمتع بخيرات سيناء..

لذلك كانت العمليات الفدائية تدور في كل الاتجاهات البرية والبحرية لتكبد العدو الخسائر في المعدات والأفراد، لدرجة أنه كان أحيانًا يعبر ثلاثة أو أربعة من رجال الصاعقة المصرية الضفة الشرقية لتدمير بعض مواقع العدو وأثناء العودة يصطحبون معهم بعض الأسرى من الجنود الإسرائيليين، مما أصاب إسرائيل بالذعر والرعب من العمليات الفدائية المصرية الواحدة تلو الأخرى حتى وأثناء بناء خط بارليف الذى يجلب لهم الحماية والأمان..

وقد ظهر هذا الأمر واضحًا أثناء الاجتماع الذى دار بين "جولدا مائير"، رئيسة وزراء إسرائيل، مع "موشى ديان"، وزير الدفاع، وبعض قادة الجيش والمخابرات الحربية ورجال الموساد..

وقد أسفر هذا الاجتماع عن أنهم بحاجة إلى معلومات عن العمليات التي تقوم بها العناصر الفدائية، لا بد أن يوجهوا ضربات استباقية لإجهاض تحركات قوات الصاعقة المصرية بحرًا وبرًا..

لا بد من زرع عملاء وجواسيس للحصول على تلك المعلومات..

هنا اقترح أحد ضباط الموساد وهو "حاييم جدعون" أن يتم الاستعانة ببعض العناصر من بدو سيناء للحصول على معلومات عن تلك العمليات..

لكنه فوجئ برد حاسم من زميله "شاؤول بن عامي" أنه حاول مرارًا وتكرارًا لكن إخلاص رجال القبائل السيناوية للجيش المصرى ليس له أى حدود وأنه قام بالفعل بتعذيب وتنكيل الكثير منهم وإغراءهم بالمال والعيش الهانىء، لكن بلا فائدة، وجد منهم مقاومة ورفض تام وسمع تأكيد أنهم مصريون قلبًا وقالبًا، وفشلت معظم المحاولات..

فإذا بـ "حاييم جدعون" يلاحقه بقوله: "لقد قبضنا على جاسوس بدوى منذ فترة قصيرة يعمل لحساب الجيش المصرى، وضبط معه جهاز إرسال واستقبال وهو الآن في السجن وقيد التحقيق، لكنه بكل صراحه رافضًا للحديث رغم كل وسائل التعذيب والترهيب التي استخدمت معه".

شاؤول بن عامي: "من هو، ما اسمه؟".

حاييم جدعون: "شكرى".

هنا تدخلت "جولد مائير"، رئيسة الوزراء، تطلب منهم زيادة الضغط على "شكرى"، ومحاولة تجنيده ليكون عميلًا مزدوجًا..

يرسلونه إلى مواقعه القديمة وقت القبض عليه، وإغراءه بالمال ليحصل على معلومات عن تحركات القوات الفدائية المصرية..

أغلقت "جولد مائير" هذه النقطة بعد أن تلقى "حاييم جدعون" و"شاؤول بن عامي" التعليمات..

انتقلت إلى نقطة أخرى لتلقى عليهم بالسؤال المهم الآن:

إيه أخبار الحفار؟ حفار كنتنج وان (Kenting 1)؟

* * *

غادر السيد/ "أمين هويدى" مكتب الرئيس جمال عبدالناصر؛ ليعقد اجتماعًا فوريًا مع أحد الضباط المشهود لهم بالكفاءة الشديدة خصوصًا في نزاله مع رجال الموساد الإسرائيلي، الذى تم تكليفه بقيادة عملية الحفار والقضاء عليه قبل وصوله المياه المصرية..

جمع الضابط عددًا من الرجال الذين انتقاهم بعناية في قاعة محاضرات مصغرة وكان من بين الحضور "نديم" أو "سراج زغلول" أو "دميان"..

بدأ الضابط كلامه بشرح ملابسات الموقف: "نظرًا لنجاحاتنا في إرهاق العدو وتكبيده الخسائر في حرب الاستنزاف، قرر القيام بالتنقيب عن البترول في خليج السويس محاولًا إهانة الدولة المصرية أمام العالم، لذا وجب علينا نسف هذه العملية من أساسها، وهذا تكليف من رئيس الجمهورية شخصيًا..

ومن الأفضل تدمير هذا الحفار في مناطق بعيدة عن الحدود والمياة الإقليمية المصرية..

لأنه إذا دمرنا الحفار بعد تركيبه في خليج السويس، ربما تقوم إسرائيل بضرب حقل مرجان، وهو الحقل المصرى الوحيد الذى يمدنا بإمدادات البترول..

والخبيث في الأمر أن الشركة المالكة لهذا الحفار هى شركة إنجليزية أمريكية إسرائيلية..

والشركة التي حصلت على حق الامتياز للتنقيب عن البترول هى شركة "اينى" "Eni" الإيطالية، والحفار صناعة كندية، والقاطرة التي تسحبه في رحلته الطويلة هي قاطرة هولندية..

الآن بات واضحًا أن إسرائيل تلعب مع مصر لعبة خبيثة وتضعه في مواجهة خمس دول على طريقة "ليتفرق دمه بين القبائل"..

وبعد البحث والتدقيق في الحفار المطلوب اتضح لنا أنه حفار كندى اسمه (Kenting one)، وهو الآن يغادر البحيرات العظمى في كندا وتحديدًا بحيرات "إيرى" "Iri"..

وفى الأغلب سيتجه عبر المحيط الأطلنطى، متجهًا إلى أفريقيا عبر رأس الرجاء الصالح، ثم يدخل عبر باب المندب إلى البحر الأحمر ومنه إلى الوجهة الأخيرة خليج السويس..

لذا تم وضع ثلاث خطط، نبدأ بالبعيدة من حدودنا أي محاولة تفجيره في أثناء عبوره المحيط أو أثناء رحلته عبر القارة الأفريقية..

أو بعد دخوله البحر الأحمر عن طريق الضفادع البشرية، أو قبل دخوله خليج السويس، الضرب بالطيران..

لذا سنبدأ بالخطة الأولى، وهى متابعة القاطرة والحفار وانتقاء أنسب الأماكن عند توقفه، للتمكن من ضربه وتفجيره..

أشار الضابط إلى "نديم"، قائلًا: "تعالى معى لتعرف مهمتك، وهى أهم خطوة في العملية، جمع المعلومات عن الحفار والقاطرة وخط سيرهم عبر المحيط الأطلنطى، لذا استعد للسفر إلى "بونتا ديلجادا" "Ponta Delgada"..

وهى جزيرة تابعة للبرتغال وبها ميناء.. فربما يرسو الحفار هناك للتزود بالوقود والمؤن، وبالمناسبة لقد أعطينا اسم كودى للحفار هو "الحج"، نظرًا أننا قادمون الآن على موسم الحج".

* * *

بذل "حاييم جدعون" مجهودًا جبارًا في التمثيل وإظهار الود والحب لـ "شكرى" أثناء جلوسه معه لتناول العشاء، سفرة كبيرة، ووليمة ضخمة على شرف الصديق الجديد "شكرى" هكذا كان وصف "حاييم"..

كان "شكرى" يستمع وعقله لا يتوقف عن التفكير في البداية أبدى معارضة شديدة من العرض الذى قدمه إليه "حاييم" من الأموال والامتيازات التي سيحصل عليها إذا قبل التعاون معهم، بالإضافة إلى تعيينه في جيش الدفاع "الإسرائيلي" برتبة نقيب مع مرتب ثابت والحوافز والمكافآت مع وعد بترقيته مع أول خبر مهم أو معلومة مهمة يرسلها إليهم..

ومع صمت "شكرى" يزيد "حاييم" في الهبة والعطايا، فيعرض عليه المزيد، وبين كل عرض وعرض يضع أمامه قطعة شهية ساخنة من اللحم..

وقد أحاط طاولة الطعام ثلاث من الفتيات الإسرائيليات فاتنات الجمال، ولكن اللافت للأمر أن "شكرى" كان يأكل صامتًا، لا يرد على حاييم، ولا يلتفت إلى أجساد الفتيات العاريات، مما أصاب حاييم بالجنون..

وقبل انتهاء العشاء رفع "شكرى" رأسه من فوق الطبق الذى كان يستحوذ على تفكيره وصحته: "نعم.. أنا موافق، ومستعد أن أبدأ الآن".

هل خان "شكرى" وطنه؟! هل باع مصر؟! كيف له بالموافقة! ربما لم ولن يتحمل المزيد من الإهانة والتعذيب، أو ربما إغراء المال والثراء السريع كان أقوى منه، وهل وقت العشاء بكافٍ للتفكير واتخاذ مثل هذا القرار بالموافقة على الخيانة! أن يصبح عميلًا لإسرائيل ضد بلده مصر!

ماذا لو عرف "نديم" صديقه ذلك؟! وماذا لو علمت "كاميليا" فاتنته الصغيرة؟! وماذا عن عم حجازى، معلمه وزارع الوطنية في قلبه؟! هل هانت عليه مصر إلى هذا الحد حتى لو عذبوه أو مات فداءً لوطنه؟!

انتقل إليه "حاييم" بابتسامة الفاتح المنتصر يضع في يده أول رزمة دولارات، المكافأة الأولى لمجرد أن أبدى الموافقة..

ومن الغد سيتم تدريبه..

لم يذق "شكرى" طعم النوم للحظة واحدة ولا يدور في رأسه إلا سؤال واحد لم يجد له أية إجابة..

هل ما فعله هذا صحيحًا؟ وما هو القادم؟ إنه المجهول المخيف!!

تجلس "كاميليا" في الصف الثانى في قاعة المحاضرات بالجامعة تتجاذب أطراف الحديث مع زميلة تجلس إلى جوارها، ولم تعلم أن هناك عينان تراقبان تصرفاتها، فتاة تابعة لضابط المخابرات الإسرائيلي "يوسى كاتسير"..

مرت دقائق بطيئة قبل أن يدخل البروفسور "زوى اسطافوس"، أستاذ الأدب اليوناني الحديث، وما أن ألقى على الطلاب عنوان المحاضرة إلا وقلب "كاميليا" صار يرقص فرحًا فالمحاضرة اليوم عن الشاعر "كفافى"..

كونستانتينوس بيترو كفافيس "Konstantinos Petrou Kavafis"، هذا هو اسمه بالكامل، ثم شرع البروفسور في سرد نشأة وحياة "كفافى" إلى أن توقف فجأة ليلقى على الطلاب السؤال التقليدي: "من منكم سمع أو عرف شيئًا عن شاعرنا اليوم؟!!".

وإذا بكاميليا ترفع يدها بكل حماس وفخر، لتذكر للحاضرين أنها من الإسكندرية، وهى موطن "كفافى" الأطول والأعرق ومكان موته ومدفنه بها..

وأنها منذ فترة قد زارت منزله الذى عاش به بمنطقة محطة الرمل، الذى تحول إلى متحف الآن، وأنه كان صديقًا شخصيًا للخديوى إسماعيل، وكم تأثر المجتمع السكندرى بالشاعر وأيضًا وضع تأثيره في وجدان وقلب الشاعر كفافى..

إذ كانت الإسكندرية أحب المدن إلى قلبه..

والملاحظ أن كفافى قد ولد في يوم ٢٩/ ٤/ ١٨٦٣، ومات في نفس يوم مولده بعد مرور سبعين عامًا ٢٩/ ٤/ ١٩٣٣..

بعد المحاضرة التف عدد كبير من الطلاب حول "كاميليا" للسؤال عن بيت كفافى وماذا يتكون من، وعشرات الأسئلة الأخرى، وكأن "كاميليا" هى مدرس المادة وليس "زوى اسطافوس".

سارت "كاميليا" بكل فخر بجوار زميلتها خارجة من مبنى الجامعة عائدة إلى حيث تقيم مع "لاريسا"..

وإذا بها أمام "بافو" أو "يوسى كاتسير" يقف أمامها بابتسامة تحمل وراءها ملامح الكذب والخداع، عرض عليها دعوتها على الغداء في مطعم قريب..

وافقت على دعوتها، توجها إلى أحد المطاعم الفاخرة، ولكن قبل الدخول إلى المطعم لمحت "كاميليا" وجود صيدلية بجوار المطعم، استأذنت من "بافو" في شراء دواءً للصداع، طلبت من الصيدلى دواءً للصداع، ثم بعدها سألته عن إذا كان بالإمكان شراء زجاجة "سُم"..

اندهش الصيدلى من الطلب، وبادرها بالسؤال عن سبب شراء السُم وماذا تفعل به؟!!

أجابته أن هناك فأرًا في بيتها فهى تريد السم للقضاء على الفئران، هنا ابتسم الصيدلى وناولها زجاجة صغيرة عليها صورة فأر، دست "كاميليا" السُم في حقيبتها، وعادت إلى حيث كان "بافو" في انتظارها..

أثناء الطعام كانت "كاميليا" تتحدث وتبتسم وهى تراقب كل حركات "بافو" بعناية..

وكان وراء مراقبته هو انتظار الفرصة السانحة لتضع له "سُمًا" في طعامه..

لكنه لم يغادر الطاولة ولم يلتفت يمينًا أو يسارًا، كان يتناول الطعام وهو يتحدث عن نفسه ونشأته، وقد قام بتأليف قصة عن نشأته في المجتمع الأوروبى الشرقى وأنه كان يعمل بالتجارة منذ صغره..

أخفى عنها من هو في الحقيقة.. ولم يدرِ بخياله أنها تعرفه معرفة جيدة..

وإذا تحسس الجرح فوق حاجبه الأيسر لربما تذكر من هى تحديدًا، جاء النادل بفاتورة حساب الطعام قام "بافو" بالدفع واحتفظ بالفاتورة وقلبها على الجانب الآخر الخالى من أية كتابة، وأخرج القلم، وبدأ يكتب بعض عبارات باللغة العبرية، استطاعت "كاميليا" أن تلحظ ما يكتب باللغة العبرية وفهمت كل ما فيها، لم يكترث إليها وهى تنظر في الورقة ظنًا منه أنها لن تفهم شيئًا، وقد أتقنت دورها عندما سألته.. "ما هى هذه اللغة الغريبة؟!!".

أجابها: "إنها لغة محلية يتحدث بها بعض من القرويين القدامى في رومانيا".

فهمت أنه يكتب عن أحداث حدثت في الصباح وكأنه يؤرخ لها، وشاهدت ذكر اسمها، أنه قد اقترب من الإيقاع بها، هنا أيقنت أن ظنونها كلها صحيحة، إنه رجل مخابرات، وهى الفريسة ولكن لم يكن كل هذا

يشغل بالها، كانت تفكر في زجاجة السُم القابعة في حقيبة يدها، فهى لا تفعل كل هذا وتجلس مع هذا الخنزير إلا لهدف واحد هو قتله والتخلص منه والانتقام لأسرتها..

* * *

قدم رجل المخابرات المصري الذى كان يراقب "أبو جميل" أو "بافو"، وهو يلتقى بالفتاة المصرية "كاميليا" تقريرًا إلى "صبرى عبدالهادي" و"بهاء إسماعيل"، اللذان تلقيا لتوهما أمرًا وتكليفًا بضرورة التقرب من لاريسا وتجنيدها، فهى همزة الوصل بين "يوسى كاتسير" و"كاميليا" الفتاة المصرية الجديدة..

عن طريق "لاريسا" يمكن المراقبة والاستماع إلى "يوسى كاتسير" وكذلك "كاميليا"..

عقد الرجلان جلسة عمل مطولة، انتهى بهم الحديث بضرورة اقتحام شقة "يوسى كاتسير" مرة أخرى بعد المرة الأولى التي اقتحمها "دميان" أو "نديم" للبحث عن الشيك الذى يساوم به "لاريسا" ويخضعها تحت طوعه..

وأيضًا مواصلة البحث عن مذكراته..

الأمر الثانى.. هو محاولة "بهاء إسماعيل" التقرب من "لاريسا"، فقام بحجز حجرة في نفس الفندق الذى تعمل به..

اقترب "شكرى" من الضفة الشرقية لقناة السويس بعد أن سار أميال عدة في الصحراء، وتعليمات "حاييم جدعون" لا تفارقه، يتذكرها كلمة بكلمة..

"ستعود إلى المصريين بنفس الحقيبة، وبداخلها جهاز الإرسال والاستقبال الذى لا يعمل، فنحن لم نقم بإصلاحه خوفًا من أن يتكشف أمرك لدى رجال المخابرات الحربية المصرية، أخبرهم أنك طيلة الفترة الماضية كنت مريضًا بالحمى، وأن أحد رجال بدو سيناء قد ساعدك ببعض الأعشاب الجبلية حتى تماثلت للشفاء"..

ثم دربه "حاييم" على وسيلة إرسال المعلومات إليهم في الموساد، وكذلك بعض وسائل التخفى والهروب من المراقبة، وأن هناك من سيقابله داخل السويس للحصول منه على الميكروفيلم الخاص بتصوير قطع ووحدات الجيش المصرى..

كان "شكرى" خائفًا.. مرعوبًا.. ليس على نفسه وحياته، ولكن على مصر..

بعد أن مكث وسط قيادات اليهود الصهاينة وشاهد كم الشراسة والكره لمصر، وإيمانهم أن سيناء هى لهم وأنها الأرض التي وعدهم ربهم بها..

نعم.. هم مضللون، تائهون فكريًا كما كتب عليهم التيه من قبل..

فتح حقيبته لتناول كسرة خبز بعد أن استراح فوق الرمال الطاهرة لسيناء، نظر إلى جهاز الإرسال الذى أخذه الفنيون التابعون للاحتلال الإسرائيلي، ثم عادوا به كما كان، لا يعمل، فهل حقًا لم يعبثوا به؟!

لم يصبغوه بصبغة الشيطان التي يضيفونها على كل شيء لامس يداهم!

لا أعلم لكن لا بد وأن أكون حذرًا، لكن حذرًا من ماذا فأنا لن أعود إليهم ثانيةً، ولن أرسل شيئًا، ولن أتعاون معهم، لكن ماذا إذا نفذ "حاييم"

تهديده بأنه إذا لم يتعاون معهم فسوف يرسلون من يقتلني وهم لديهم اليد الطولى كما يزعمون؟!

حاول أن يطرد الأفكار من رأسه، فلم يجد وسيلة إلا أن دس إصبعه في الرمال ليكتب "تحيا مصر"، وهم وقوفًا واستمر في السير، واصل طريقة إلى أن وصل قرب إحدى وحدات الصاعقة المصرية في الضفة الغربية للقناة..

وهناك طلب نقله إلى مركز قيادة المخابرات الحربية بالسويس..

وبعد أن دخل حجرة الضابط الذى كان يتعامل معه عبر الرسائل قبل القبض عليه، قام من مكتبه واحتضنه بشدة وبادره بالسؤال: "أين كنت كل هذه المدة الطويلة لا نعرف عنك شيئًا؟!".

شكرى: "وضع يده على فمه، وأشار إلى جهاز الإرسال الذى في حقيبته".

ثم كتب على ورقة، لا أستطيع الحديث، أشك في هذا الجهاز.

قام الضابط على الفور بأخذ الجهاز وحقيبة شكرى، ناولها إلى أحد أعوانه وهمس في أذنه أن يذهب بهما إلى الفحص الفني..

ثم أشار لشكرى بالحديث.. أي حديث..

فقام "شكرى" برواية ما أملاه عليه الضابط الإسرائيلي "حاييم جدعون"..

استمع إليه الضابط المصرى..

ثم أشار إليه: "نعم اذهب الآن لتستحم وتستريح ونتقابل في المساء"..

وبالفعل خلع شكرى ملابسه، وقامت اليد الخبيرة بفحصها جيدًا، ثم قاموا بحرقها، وارتدى شكرى الزى العسكرى بعد أن غسل جسده وعقله بالروح الوطنية..

جاءت الإجابة من قسم الفحص الفني أن الجهاز بالفعل لا يعمل وأن إصلاحه مسألة بسيطة، ولكن يوجد بداخله جهاز تنصت صغير للغاية..

وهنا سأله الفني: "هل تريدنى أن أعطل جهاز التنصت أو انتزعه وأتخلص منه؟"

هنا أشار إليه الضابط: "بلا.. لا تفعل"، فقد فكر في استخدام شكرى في إرسال معلومات مضللة للعدو.

ثم أرسل أحد رجاله لمراقبة الشارع خارج المبنى، لا بد أن هناك من يستمع إلى جهاز التنصت هذا..

وبالفعل كان هناك رجل وإمرأة داخل سيارة يستمعان إلى ما يدور حول جهاز التنصت..

وفرك يديه ببعضهما وهو يبتسم: "الآن بدأت اللعبة".

* * *

أبدى "بهاء إسماعيل" إعجابه الشديد بابتسامة "لاريسا"، وهى تسأله من خلف مكتب الاستقبال: "مرحبًا.. كيف لى أن أساعدك؟"

فرحت "لاريسا" بالإطراء والإعجاب بابتسامتها من النزيل الجديد "سمير شاهين"..

هكذا قدم ضابط المخابرات المصرى "بهاء إسماعيل" نفسه بجواز سفر يحمل اسم "سمير شاهين"، سار بجوار عامل حمل الحقائب وعينا "لاريسا" ترقبه من دون أن يلاحظ..

إنها المرة الأولى التي يعجب فيها أحد بابتسامتها..

ولم تمر ساعات عدة إلا وظهر "سمير شاهين" مرة أخرى، وتوجه إلى مكتب الاستقبال، وكانت "لاريسا" تستعد للمغادرة إذ تبقى خمس دقائق على انتهاء فترة عملها، وإذا به يتوجه إليها، ويتبادل معها الحديث، ويعيد إعجابه عليها وأن بوجهها ابتسامة ساحرة مريحة لمن يراها..

ثم سألها أن تصف له كيفية الذهاب إلى مطعم شهير يدعى "بانينو"، فإذا بها تبدى اندهاشها الشديد، فيسألها: "لما الدهشة؟"، أجابته أنها تسكن قريبًا من ذالك المطعم، ثم سألته: "لما هذا المطعم تحديدًا؟"، أجابها أن أحد الأصدقاء ممن يعرفون أثينا جيدًا قد رشحه له..

وبدأت في وصف الطريق فإذا به يقاطعها: "ألم تقولى أنه قريب من مسكنك؟"، أومأت برأسها: "نعم".

عرض عليها أن تصحبه إلى هناك إذا لم يكن لديها مانع من ذلك خصوصًا أنه استأجر سيارة صغيرة ليتنقل بها في البلدة..

ثم نطق كلمة بالعربية أمامها: "يا لكِ من جميلة"..

وبالطبع فهمت "لاريسا" ما قاله فهى قضت أكثر من ١٧ عامًا بالإسكندرية وتتحدث العربية المصرية كأهلها..

ردت عليه بالعربية: "شكرًا جزيلًا"، تظاهر "بهاء" أو "سمير" بالاندهاش والمفاجأة، ثم سألها: "هل تتحدثين العربية؟"، ومن بعدها صارت تتحدث معه بالعربية وهى بجواره في السيارة حتى وصلا إلى المطعم..

أشارت له أن هناك هو المطعم، عرض عليها دعوة لتتناول طعام العشاء معه، ترددت قليلًا واستجابت له لما رأت فيه من لطف وأدب مع الكرم الزائد الذى يبدو عليه..

وهنا وضع "بهاء" أول خيوطه حول تجنيد "لاريسا" لصالح المخابرات المصرية، وفى تلك الأثناء كان هناك رجلان داخل شقة "يوسى كاتسير"..

يبحثان بهدوء في كل مكان عن مذكراته، وعن الشيك الخاص بـ "لاريسا"..

لم يفلحا أن يعثرا على المذكرات، لكنهما استطاعا العثور على الشيك داخل الخزنة الخاصة به، وخرجا من دون أن يتركا أي أثر وراءهما..

* * *

في القاهرة وتحديدًا داخل إحدى الغرف في مبنى المخابرات العامة المصرية..

اجتمع "نديم" أو "سراج زغلول" مع ثلاثة من أمهر رجال المخابرات الموكل لهم مهمة تدمير الحفار..

تناقشوا في أمور عدة تخص إرسال "سراج زغلول" إلى ميناء "بونتا ديلجادا" "Ponta Delgada"، لمراقبة وصول الحفار القادم من كندا، والنقطة الأهم ما هو الغطاء الذى يستتر وراءه "سراج زغلول"؟

قام كل ضابط منهم بتقديم الاقتراحات، فمنهم من اقترح أن يتخفى في شخصية عالم طبيعة ونباتات، وآخر اقترح أن يكون صحفيًا، و"سراج" صامت يستمع إليهم..

وأخيـــرًا تكلم واقترح: "ماذا لو سافرت بشخصيتى الحقيقية مع أسرتى للسياحة في الجزيرة مثلًا؟".

بعد فترة صمت.. استحسن الجميع هذه الفكرة..

لكن أحد الضباط قاطعه وهمس في أذنه: "أية أسرة أنا أعلم عنك كل شيء، ليس لديك أسرة على الأقل حتى الآن".

قال "نديم": "أنا أقصد أسرة "حشمت باشا رستم"، أنا أشعر بينهم بالألفة كأنني بين أهلي، هم يحبونني كثيرًا وأنا أيضًا أحبهم كثيرًا".

امتد النقاش حول هذا الأمر قرابة الساعتين..

وخرجوا بأن تقوم أحد برامج المسابقات على الراديو بعمل مسابقة والجوائز فيها تكون: الجائزة الأولى رحلة إلى جزر البرتغال والثانية والثالثة جائزة مالية..

وبالطبع "نديم" هو من سيربح الجائزة الأولى ومسموح له باصطحاب خمسة أفراد من أسرته..

وبذلك يستطيع السفر و الإقامة في الجزيرة والتنقل فيها مع أسرته بكل حرية، ويستطيع أيضًا أن يخرج بمفرده لمكان مرتفع في الجزيرة لمراقبة حركة السفن..

انتهى الاجتماع ولم يتبق إلا سفر "نديم" إلى الإسكندرية، العجمى تحديدًا، ومعه أوراق ربح المسابقة لاصطحاب أسرته..

استقبل "حاييم جدعون" أول رسالة مشفرة من "شكرى"، التي تضمنت أخبارًا عن استقراره وبعض المعلومات عن سرب دبابات شاهدة في الطريق من القاهرة للسويس، وأنه قام بتصوير بعض هذه الدبابات وسيقوم بتسليم الميكروفيلم إلى مندوب الموساد المُقيم بمنطقة السويس..

وقد أرسل شكرى هذه الرسالة من المقر التابع للمخابرات الحربية وفى وجود ضابط المخابرات المصرى الذى يقوم بملاعبة الجانب الإسرائيلي المحتل..

وكانوا في انتظار الرسالة القادمة من الموساد الإسرائيلي، وكيفية اللقاء مع المندوب الذى سيقوم باستلام الميكروفيلم من شكرى، وإذا تم ذلك.. فسيضع رجال مخابرات مصر يدهم على أول فرد في شبكة تعمل داخل مصر في منطقة القناة وربما في مناطق أخرى، وبالتأكيد المعلومات التى أرسلها "شكرى" كان بها معلومات صحيحة ليست ذات قيمة ومعلومات أخرى كثيرة مضللة..

كان "حاييم" في غاية السعادة بعد تلقيه أول رسالة وقام بالاحتفال مع زملائه في الموساد بنجاحه في زرع "شكرى" كعنصر جديد لإمدادهم

بالمعلومات بعد أن سقطت الكثير من شبكات التجسس التابعة لهم في أيدى رجال المخابرات المصرية، مما أصابهم بالصدمة وتوجيه اللوم والتوبيخ من أكبر رأس في وزارة الدفاع، "موشى ديان" شخصيًا..

فتحت "لاريسا" باب بيتها بعد أن أدارت المفتاح ببطء، والابتسامة الساحرة كما وصفها "سمير شاهين" لا تفارقها، وهى تتذكر كل كلمة وهمسة صدرت من "سمير" أثناء تناول العشاء، يا له من رجل رائع، رغم أن المطعم بسيط والطعام متواضع للغاية إلا أنه له مذاق ما زال في فمها..

أفضل ألف مرة من المطعم الفاخر الذى كانت فيه مع "إميليا" وأيضًا مع "بافو"، ذلك الخنزير الذى يضع طوقًا حديديًا حول رقبتها..

دين بمبلغ كبير لم تقترضه.. ومن وقت لآخر يصدر تهديداته لها..

وقد حصل منها بعض المال بالفعل ولا يزال يهددها بالمزيد..

اختفت ابتسامتها وهى تغلق الباب بعد تذكرها لهذا اللعين "بافو"..

ثم سرعان ما عادت الابتسامة إلى شفتيها بسماع همس "سمير شاهين" في أذنها بكلمات الإطراء والإعجاب..

التقت بـ "كاميليا" التي كانت مستيقظة تستذكر دروسها مع الدرس الجديد عن الشاعر "كفافى"..

تحدثا قليلًا، وكل منهما لا تعلم أن وراء الأخرى قصة وحكاية..

"كاميليا" لا هم لها الآن إلا الانتقام من الخنزير "يوسى كاتسير"..

أما "لاريسا" فيبدو أنها تعيش قصة جديدة يعزف فيها قلبها أجمل الألحان..

توجهت "إيفا" وهى فوق الكرسى المتحرك مع الست "علية" إلى أحد أكبر محلات الملابس بالإسكندرية، وطلبت من "نديم" الحضور معها ومساعدتها في انتقاء بعض الملابس الصيفية الخفيفة، استعدادًا لرحلة جزر البرتغال..

وداخل المحل في حجرة البروفة تساعد الست "علية" "إيفا" في ارتداء قطع الملابس واحدة تلو الأخرى، وتخرج إلى "نديم" كى يبدى رأيه..

وما يشير عليه تفعله.. فتشترى ما يعجبه وتعيد ما لا يعجبه..

تركوا "فايزة" بمفردها، التي كانت تستشيط غضبًا من عدم ذهابها معهم، وقد لاحظ "نديم" ذلك على وجهها وهى تودعهم عند باب فيلا العجمى..

لـــذا، اقترح "نديم" شراء بعض القطع من الملابس لـ "فايزة" كى لا تشعر بالإهمال من جانبهم، وقد رحبت "إيفا" بالفكرة..

وفى الصباح توجه جميعهم.. الباشا، والهانم، ونديم، وإيفا، وعلية، وفايزة إلى مطار النزهة بالإسكندرية للصعود إلى الطائرة المتجهة إلى "بونتاديلجادا"..

بعد التوقف في مطار "لشبونة" لبضعة ساعات..

وقد أخفى "نديم" جهاز الإرسال داخل حقيبته، وراجع كل التعليمات التي تلقاها من زملائه في جهاز المخابرات المصرية بدقة وعناية فائقة..

اتصل "سمير شاهين" من هاتف حجرته برقم الاستقبال لتجيب على الطرف الآخر "لاريسا"، التي دق قلبها بشدة عند سماع صوته، وبعد أن

ألقى عليها التحية وبعض عبارات الغزل طلب منها إن كان يستطيع أن يتناول طعام الإفطار في حجرته، أجابته أنها سوف تبلغ مطبخ الفندق لإحضار طعام الإفطار إلى حجرته في خلال عشر دقائق..

وقبل أن يغلق الخط، قدم دعوة إلى "لاريسا" للقاء على وجبة العشاء في مطعم متواضع يقدم الأكلات الشعبية اليونانية، قبلت وقلبها يرقص فرحًا..

وقبل المساء استعد "بهاء إسماعيل" أو "سمير شاهين" جيدًا لهذة المقابلة مع "لاريسا" لأنها مهمة للغاية وقد عقد العزم على أن يفاتحها في أمر العمل مع المخابرات العامة المصرية بشكل مباشر وصريح، راجع كل شيء، وارتدى ثيابًا بسيطة وتوجه إلى المطعم..

كانت الجلسة التي ضمت "لاريسا" مع "سمير شاهين" حول طاولة الطعام..

تتسم بالهدوء والرومانسية، تبادل المشاعر الرقيقة مع ضوء شمعة صغيرة مثبتة داخل فوهة زجاجة نبيذ فارغة، وخيوط الشمع المنصهر تتدلى حول عنق الزجاجة الخضراء الداكنة الموضوعة فوق مفرش كاروهات بلون أزرق فاتح وداكن، والموسيقى اليونانية الفلكلورية تهيم في المكان..

وإذا بـ "سمير شاهين" وبشكل مفاجئ يضع ظرفًا أمام "لاريسا" وطلب منها أن تفتحه..

ظنت "لاريسا" أنه ربما اشترى لها "كارت" به صور للزهور والقلوب الحمراء وكتب عليه عبارات ناعمة..

أخرجت بعض الصور والأوراق، إنها صور لها مع "إميليا" وصور أخرى مع "بافو"، وصور ثالثة مع "كاميليا"..

ثم إذا بها تفتح ورقة مطوية، إنها.. نعم أعرف هذه الورقة، إنه الشيك وهذا توقيعى، إنه الشيك الذى أجبرنى على توقيعه "بافو" من دون أن يضع المبلغ..

وإذا بها تنظر إلى المبلغ الذى حرره "بافو"، إنه أكثر من عشرين ضعفًا من قيمة فاتورة الطعام الفاخر الذى قام بدفعه، يا له من نصاب.. لص.. مزور..

نظرت إلى "سمير شاهين" وهى تتفحص الصور والشيك..

"لاريسا": "كيف لك الحصول على هذه الأوراق، من أنت؟ يا إلهى!".

"سمير شاهين": "كما يبدو لك، أنت كنت ضحية لعبة وكذبة نسج خيوطها حولك كل من هؤلاء الثلاثة أو الاثنين، "بافو" وبالطبع ليس هذا اسمه الحقيقى، وإميليا".

"لاريسا": "ماذا تقصد! هل كانت "إميليا" تكذب عندما كانت تغرق في البحر وقمت بإنقاذها! هل هى تمثيلية؟!".

"سمير": "لا أدرى تحديدًا، ربما كانت حقيقية، لكنها بمجرد أن علمت أنك ولدت بمصر بالإسكندرية، نقلت أخبارك إلى "يوسى كاتسير".

"لاريسا": "ومن يكون "يوسى كاتسير" هذا؟".

"سمير": "آه.. إنه "بافو"، اسمه الحقيقى "يوسى كاتسير"، ضابط مخابرات إسرائيلى".

"لاريسا"، تضع يدها على فمها، وتكتم الصرخة: "ضابط إسرائيلى!! ومن تكون أنت؟ وهل اسمك "سمير شاهين" حقًا؟".

"سمير": "الأسماء لا تهم كثيرًا، أنا ضابط مخابرات مصري، وأنا هنا لإنقاذك، أنا مكلف من قبل دولتى مصر..

الدولة التي ولدت أنِت فيها وتعلمت في مدارسها وسرت في شوارعها، أنا مكلف بحمايتك وحماية كل من شرب من نيل هذا البلد مصر..

وها هو الشيك الذى يذلك ويهددك به "بافو"، بين يديك الآن، انظرى إلى الرقم الذى كتبه في خانة المبلغ..

إنه عدو لنا جميعًا ولا بد من حمايتك قبل فوات الآوان..

وبما أننى هنا لحمايتك، لا بد وأن تثقى بى، وتنفذى كل ما أطلبه منكِ، لرد الضربة لهذا الشرير" بافو" ".

"لاريسا": "وماذا عن كلمات الغزل والإعجاب، هل هذه أيضًا تمثيلية؟".

"سمير": "لا.. انظرى إلى جمالك في المرآة لتعلمى أنك تستحقين كل عبارة إعجاب، ويكفى قلبك النقى الطاهر".

استطاع "سمير شاهين" أو "بهاء إسماعيل" استثمار حالة الغضب التي بدت عليها "لاريسا" من التلاعب بها وخداعها من قبل "بافو"

و"إميليا"، وأبدت الرغبة والموافقة على التعاون مع مخابرات البلد التي تربت بها وقضت أسعد أوقات طفولتها وشبابها..

بدا بعدها "بهاء إسماعيل" في شرح كل تفاصيل المهمة المطلوبة منها وهى تتلخص في التقرب من "بافو" ونقل كل المعلومات عنه..

قدم "بهاء إسماعيل" هدية فاخرة إلى "لاريسا" مع مبلغ من المال، مما زاد "لاريسا" حماسًا للعمل وبذل كل الجهد في إرضاء "بهاء إسماعيل"..

وكانت أولى الخطوات، هى عدم الحديث مع "إميليا" أو الذهاب في أي موعد محدد مع "بافو" وأن تتظاهر وتبدي غضبها الشديد أن راتبها يذهب بالكامل لسداد دينها إلى "بافو"، وقد أتقنت "لاريسا" دورها بالفعل فلم تكن تمثل، بل كانت غاضبة بالفعل وكأن الفرصة قد سنحت لها للتعبير عن هذا الغضب..

بعد أن سكن كل فرد في غرفته في الفندق القابع فوق كل مرتفع في جزيرة تابعة إلى "بونتا ديلجادا" "ponta Delgada"..

خرج نديم لتفقد المكان خارج الفندق ودار دورة في البلدة الصغيرة، وحدد الأماكن التي سيستخدمها لمراقبة وصول الحفار إلى الميناء، وكان أهمها مقهى على جبل مرتفع يطل على الميناء، وتحديدًا مدخل السفن إلى حوض الميناء المخصص لعملية الإمدادات بالوقود والطعام، ثم عاد "نديم" إلى الفندق لاصطحاب الجميع في نزهة في البلدة ومشاهدة غروب الشمس، استأذن الباشا والهانم في عدم الخروج لاحتياجهما للخلود إلى الراحة بعد يوم سفر شاق..

قام "نديم" بدفع الكرسى المتحرك القابعة فوقه "إيفا" بدلًا من الست علية، التي كانت تسير خلفهما، وبجوار "نديم" سارت "فايزة"، التي حاولت التقرب من "نديم" والحديث معه من دون أن يصل صوتها إلى الأخريات..

كان "نديم" يستمع إليها وفى نفس الوقت يلاطف ويحدث "إيفا"، مما أصاب "فايزة" بنوع من الغضب وشعرت أنها تأتى في المرتبة الثانية بعد إيفا، جلسوا على كرسى خشبى في إحدى الحدائق العامة، وقام "نديم" بشراء أقماع المثلجات لهم جميعًا..

ثم قام "نديم" بشرح بعض المعلومات من كتاب في يده عن الجزيرة والميناء..

هذا الكتاب قد حصل عليه من شركة السياحة التي نظمت الرحلة للفائز في المسابقة..

الاهتمام الأكبر كان منصبًا على "إيفا" في شرح المعلومات عن الجزيرة..

بدا التعب واضحًا على الست "علية"، التي استأذنت في العودة إلى الفندق للراحة وربما النوم قليلًا، سارت لخطوات عدة ثم التفتت إلى ابنتها "فايزة"، وطلبتها للذهاب معها إلى الفندق، مما أثار غضب "فايزة" مجددًا..

مرت الساعات على "نديم" و "إيفا" وكأنها لحظات معدودة..

تبادلا الضحكات، وهما يتجولان في الطرقات الضيقة في الجزيرة، مرا على سيدة عجوز تبيع الزهور، توقف أمامها "نديم" وترك "إيفا" فوق كرسيها المتحرك، وتوجه ناحية السيدة العجوز، واشترى بضع الأعواد من الزهور الحمراء، وحين هم بدفع ثمن الورد..

رفضت السيدة العجوز أن تتقاضى النقود، وإذا بها تسأل نديم عن الفتاة الجالسة فوق الكرسى المتحرك..

وقبل أن يجيبها "نديم" مدت يدها إلى رف خشبى بجوارها، والتقطت زجاجة بها ربما نوع من الزيوت، وناولته إلى نديم..

وطلبت من نديم أن يضع لها ملعقة في الصباح والمساء من هذا الزيت على كوب من عصير الطماطم، مع عمل تمرينات لتقوية عضلات الظهر والفخذين..

حاول "نديم" أن يدفع لها مبلغًا من المال، لكنها ردت عليه بابتسامة من دون أى كلام، ونظرت إلى "إيفا" بعطف وحنان..

شعر "نديم" بالتفاؤل مما سمعه من هذه العجوز، وقرر أن يجرب، ولما لا؟!

عادا إلى الفندق والسعادة والفرحة تملئان وجه "إيفا"، و"نديم" لا يتوقف عن الحديث والضحك معها..

راقبتهما "فايزة" من الشرفة بوجه غاضب تخرج النيران من كل جوانبه..

وبدأ "نديم" بوضع أول ملعقة في كوب عصير الطماطم، وفى قاعة الاستقبال في الفندق، جلس محاولًا تحريك أرجل إيفا بهدوء وحرص، وإذا

بموظفة الفندق تتوجه إليهما، لتعرض عليهما أن هناك مدربًا للياقة البدنية يعمل لخدمة النزلاء في الساونا والصالة الرياضية، فربما يستطيع المساعدة..

أبدى "نديم"سعادته بهذا العرض واتفق معهم، أى إدارة الفندق على عقد جلسات مع مدرب اللياقة لمساعدة "إيفا"..

الذى بدأ مهمته على الفور..

على حسب التعليمات التي تلقاها "شكرى" بخصوص تسليم الميكروفيلم لأحد عملاء الموساد في مدينة السويس، وضع "شكرى" الميكروفيلم في كيس بلاستيك، وقام بوضعه أسفل الحوض في حمام أحد المطاعم، ثم قام بوضع منديل أزرق في جاكيت البدلة التي يرتديها..

قام على الفور أحد الأشخاص الجالسين في المطعم وتوجه إلى حمام المطعم، ولم يكن يعلم أن هناك عيونًا تراقبه وترقب كل خطوة في حركته..

بعد أن غادر المطعم وبالتأكيد بداخل جيوبه يقع الميكروفيلم..

وهذا كان سر سعادة رجل المخابرات الحربية، الذى أخيرًا استطاع معرفة أحد رجال الموساد في السويس، الذى ربما سوف يدلهم على باقى أفراد الشبكة، وهو الصيد الثمين الذى كان ينتظره، وتم ذلك بمعاونة "شكرى"، وكان القرار بعدم إلقاء القبض على عنصر الموساد الذى تسلم الميكروفيلم..

لمعرفة أعوان وبقية افراد الشبكة..

ولم تمر أكثر من أربع وعشرين ساعة حتى تلقى "شكرى" رسالة مشفرة من "حاييم بن جدعون" يطلب فيه من "شكرى" عبور قناة السويس

لمقابلته في الضفة الغربية للأهمية وأخبره أن هناك من سيساعده للعبور للضفة الأخرى..

كاد "نديم" أن يقفز فرحًا وهو على قمة أحد الجبال في الجزيرة..

وقد شاهد عبر نظارته المكبرة.. قاطرة تجر خلفها حفارًا.. ويدخل ميناء "بونتا ديلجادا"..

قام على الفور بإرسال برقية مشفرة إلى جهاز المخابرات العامة من ثلاث كلمات..

(الحاج دخل المستشفى)، أى الحفار دخل الميناء..

وظل يتنقل بين شرفة غرفته بالفندق، الذى يطل على الميناء وبين الباشا والهانم وإيفا والست علية وفايزة، كى لا يشعر أحدًا منهم بغيابه..

وكانت شرفته مكانًا مناسبًا للغاية لمتابعة الحفار، والرؤية عبر نظارته كانت كافية ليرى الحفار بوضوح وهو قابع على رصيف الميناء، والعمال في حركة دؤوب ما بين الحفار والرصيف..

لم يستطع أن يخلد إلى النوم خوفًا من أى تطور أو حدوث أى جديد، وكما توقع لم يقض الحفار سوى ساعات قليلة في الميناء، حتى عاد مجددًا للإبحار عبر المحيط الأطلنطى، متجهًا إلى "داكارا" بالسنغال، وذلك حسب توقعات قائد المجموعة في جهاز المخابرات العامة المصرية..

استطاع بعدها النوم قليلًا ثم توجه للاطمئنان على عملية العلاج الطبيعى وكيف سارت الأمور في الساعات الماضية..

قامت "لاريسا" بحسب توجيهات من "بهاء إسماعيل" أو "سمير شاهين" بزيارة إلى "بافو" أو "يوسى كاتسير" في مكتبة في شركة مصايد أعالى البحار..

زيارة من دون موعد مسبق، تعجب منها "بافو"، الذى وجد اللين والكلام المعسول من "لاريسا"، أبدى اندهاشه وتعجبه، فقد عهد منها من قبل أنها دائمة التوتر وتشعر بالخوف، وتبدى عدم الارتياح لمقابلته وتشعر أيضًا بالحمل الثقيل من الدين والشيك الذى بحوزته..

سألها بشكل مباشر: "أنتِ لطيفة النهاردة.. على غير العادة.. ما السبب ياترى؟!".

"لاريسا": "في الحقيقة أنا أشعر بالحرج منك، كان لا بد أن أدفع لك اليوم جزءًا من الدين الذى على لك، لكن ليست في حوزتى أي نقود الآن، جزء من راتبى ضاع في بعض الإصلاحات في منزلنا..

لذا فكرت في القيام بزيارتك لتقديم الاعتذار".

وقبل أن تكمل "لاريسا" حديثها..

دخل عليهما فرد أمن الشركة بعد أن طرق الباب..

وأخبر "بافو" أن هناك قطعة من الحجارة سقطت من أحد الطوابق العليا في البناية حيث تقع الشركة، سقطت فوق سيارته..

نهض "بافو" مذعورًا، وركض خلف فرد الأمن، وصعدا إلى الطابق الأعلى".

تحركت "لاريسا" بسرعة وخفة وقامت بتثبيت "ميكرفون" صغير للغاية خلف برواز مثبت على الحائط..

جلست مكانها في انتظار قدوم "بافو"، الذى لم يكن يعلم أن ما حدث كان بترتيب "بهاء إسماعيل" وأعوانه..

ولم يكن "بافو" يعلم أيضًا بسرقة الشيك الخاص بـ "لاريسا" أداة الضغط الوحيدة التي يملكها..

عاد "بافو" بعد مرور وقت ليس بالقليل وهو يسب ويلعن..

لم يستطع التوصل إلى من قام بإلقاء الحجارة على سيارته ومن أى طابق تحديدًا..

* * *

هبطت الطائرة التي قلت الباشا وأسرته في مطار النزهة بالإسكندرية، واستأذنهم "نديم" أنه لن يستطيع إيصالهم إلى فيلا العجمى.. إذ لا بد أن يقوم بتسليم نفسه في وحدته العسكرية حيث انقضاء الإجازة ولا يستطيع التأخر ولو دقيقة..

رتب لهم سيارة أجرة تقلهم إلى العجمى، واتجه هو بمعاونة أحد أفراد جهاز المخابرات العامة المصرية.. إلى المطار ثانيةً، واستقل الطائرة المتجهة إلى باريس.. ومنها إلى مطار ابيدجان في ساحل العاج..

هذا حسب أوامر الضابط المسئول عن عملية تدمير الحفار..

إذ قام بوضع عيونًا في ميناء "داكار" بالسنغال وأيضًا زرع عيونًا في ميناء ابيدجان في ساحل العاج تحسبًا إذا فشلت العملية في السنغال..

فسوف يعيد المحاولة مرة أخرى في ميناء آخر، والمتوقع هو ميناء ابيدجان لساحل العاج، وكان يعتمد على ملامح "نديم" الأوروبية في الحركة بحرية من دون أن يثير الشكوك، إذ كانت عيون رجال الموساد الإسرائيلى منتشرة وتلاحق كل غريب يأتي إلى البلدة.

* * *

أصيبت "كاميليا" بضيق شديد في صدرها أثناء سيرها في الطريق لتجد هذا الخنزير أمامها، "بافو"، "من أين يأتي؟! وكيف يظهر فجأة؟! هل هى مصادفة أم أنه يتبعها في كل مكان أو يرسل من طرفه من يتبعها ويرصد حركاتها ليظهر هو وقتما يحلو له؟!

يقف أمامها بابتسامة بلهاء، لا تعبر إلا عن شخصية كريهة، غير محببة، ابتسم لها أثناء تحيته، ليعبر لها عن احتياجه للكلام معها، ومعها هى تحديدًا..

وافقت على دعوته على كوب من القهوة على مضض، ولكن عزمت أن تكون المرة الأخيرة التي ربما ترى وجهه الغبى مرة أخرى..

مجرد أن جلست معه على الطاولة، أرادت مضايقته، فبادرت بسؤاله، وهى تشير إلى حاجبها الأيسر: "ما هذه الندبة التي فوق حاجبك الأيسر؟".

تغيرت ملامحه واختفت الابتسامة البلهاء من فوق وجهه الكريه، لتحل محلها علامات الضجر والغضب..

"بافو": "اعتقد أنه سبق أن سألتنى عن هذا الجرح من قبل، وذكرت لك أنها حادثة قديمة".

"كاميليا": وهى تظهر التعجب والاندهاش: "أنا!؟ أنا سألتك.. لا أتذكر.. ربما".

استاذنها "بافو" بالذهاب إلى الحمام، انتهزت هى الفرصة لغيابة، وأخرجت زجاجة السم من حقيبتها التي لم تفارقها، وهمت بفتح الزجاجة ووضع بعضًا من بودرة السم في قهوة "بافو"..

واذا بها ترتبك وهى تلتفت يمينًا ويسارًا ويداها ترتعشان..

أسقطت بعضًا من البودرة في فنجان قهوة "بافو"، وهى تكاد أن يغمى عليها من فرط التوتر والخوف..

مرت بطيئة وكأنها سنوات إلى أن عاد "بافو" من الحمام، جلس في مقعده، بعد أن اعتذر لـ "كاميليا" عن التأخير..

أمسك الفنجان بيده وهو يحكى لـ "كاميليا" عما حدث له في الشركة صباح اليوم..

وأن هناك حجرة سقطت على سيارته.. أحدثت بها بعض التلفيات، لكنها تعمل..

ثم وضع الفنجان على الطاولة مرة أخرى و"كاميليا" تضع يدها على قلبها الذى يدق بسرعة شديدة..

وإذا "ببافو" ينادى على النادل ويحدثه بغضب: "هذه القهوة باردة، كيف لى أن استمتع بقهوة باردة، إنه من أسوأ الأيام في حياتى اليوم، خذ هذه، وأتنى بفنجان آخر ساخن وتأكد أنه ساخن جدًا".

بسرعة حمل النادل الفنجان المسموم.. وسار به بعيدًا..

حاولت "كاميليا" تهدئة "بافو"، وأرادت مغادرة المقهى ولكن باءت محاولتها بالفشل، يا إلهى إنه كان قاب قوسين أو أدنى من أن يرتشف بعض رشفات وينتقل بعدها إلى العالم الآخر، ليستريح الشرفاء من إنسان حقير مثل هذا وتشعر هى بالفخر وتخبر العالم كله أنها هى من خلصت الإنسانية من شروره وفساده، وانتقمت لأسرتها مما قام به من قتل وهدم وتشريد.

أخرج "بافو" قلمًا من جيب سترته، وأمسك بمنديل ورقى..

وبدأ يكتب بعض السطور باللغة العبرية وهو يرتشف قهوته الساخنة..

"كاميليا" تراقبه وتقرأ بوضوح ما يكتبه، بدأ بكتابة تاريخ اليوم ثم شرح ببساطة مقابلته مع "لاريسا" في مكتبه وما حدث للسيارة إلى أن وجد قهوته الباردة في المقهى، الذى لم يكن يدرى أنها قهوة الموت، قهوة مسمومة وقد نجا من الموت من دون أن يدرى..

وإذا بـ "كاميليا" تسأله: "لقد لاحظت أنك تكتب شيئًا ما في كل مرة أتقابل فيها معك".

رفع "بافو" رأسه عن الورقة وتوقف القلم في يديه وأطال النظر إلى "كاميليا"، وبعدها أجاب ببضع كلمات في صورة تساؤل لكنها تخفى مشاعر الضجر والغضب الذى لا زال يشتعل داخله: "صرتِ تسألين كثيرًا".

فهمت هى ما يقصده لكنها لم تلق بالًا، وكأنها تقول سوف اسأل كيفما أشاء ووقتما أشاء، يكفى إهدار الوقت بلا فائدة..

حاول بعدها "بافو" أن يبتسم وهو يسأل عن سوق أدوات صيد الأسماك في الإسكندرية وهل يستطيع أن يجد لشركته مكانًا في هذا السوق؟

جلس "شكرى" أمام "حاييم جدعون"، ضابط المخابرات الإسرائيلى، في قاعدة عسكرية بسيناء المحتلة، وهو يتصفح عددًا من الصور، ويبدو على وجهه علامات عدم الرضا..

ألقى "شكرى" عليه سؤالًا: "يبدو أن الصور لا تعجبك أو زوايا التصوير سيئة، الدبابات غير واضحة؟".

نظر إليه "حاييم": "على العكس، زوايا التصوير ممتازة، لكن جودة الكاميرا وكفاءة العدسة غير جيدة بالمرة، لا بد من إيجاد حلًا، دعنا نتقابل ثانيةً بعد موعد الغداء، اذهب الآن لتتناول طعامك".

اجتمع بعدها "حاييم جدعون" مع "شاؤول بن عامي" وأحد قيادات الموساد ذو الخبرة الواسعة، وانتهى بهم الاجتماع بأنه لا بد من تسليم "شكرى" كاميرا أخرى أكثر دقة ومتطورة للغاية، وكان اعتراض "شاؤول بن عامي" أن إسرائيل لا تملك من مثل هذه الكاميرا الحديثة إلا قطعتين فقط، كيف لنا أن نضحى ونضع ثقتنا في "شكرى" بهذة السهولة..

حاييم: "لاحظ يا شاؤول أن كل التقارير الواردة تصب في أن السادات لن يحارب، لكننى شخصيًا لا أثق في السادات، إنه ثعلب، وبالتأكيد إنه يقوم بعمل تمويه، ولا بد أنه يستعد الآن في الخفاء..

لذا علينا جمع كل معلومة وتحليلها جيدًا وكشف مسرح العمليات في منطقة القناة، فإذا اتخذت مصر القرار بالهجوم علينا، فلا بد لها من نقل كميات كبيرة من الجنود والمعدات إلى منطقة غرب قناة السويس..

وهذا دور "شكرى" والآخرون لكشف حقيقة تلك المعلومات بالصور الواضحة كى نفهم ونحدد نوعية الأسلحة، للاستعداد لها جيدًا".

ضابط الموساد الثالث: "نعم.. أنا أوافق "حاييم" الرأي، نضحى بكاميرا حديثة في سبيل الحصول على معلومات وصور واضحة ودقيقة..

ما الفائدة من تخزين هذه الكاميرا هنا لدينا، وعميلنا يقوم بالتصوير بكاميرا قديمة وبدائية إنه الجنون ذاته..

كما أننى اقترح أن نقوم بتدريب "شكرى" على التصوير باحترافية أكثر وأيضًا تدريبه على فنيات الطبع والتحميض..

ربما يقوم بطبع الصور وتسليمها مع الميكروفيلم، خوفًا من تلف الميكروفيلم قبل أن يصل إلينا..

هيا.. لا تضيعوا وقتًا أكثر من ذلك، تعالوا ندرس هذه الصور جيدًا وحتى إن كانت غير واضحة، ونكتب تقريرًا عن المعلومات التي جاءت بها ونرسل نسخة منها إلى القيادة العسكرية..

ربما يكون لديهم رأى في كيفية الاستفادة من تلك المعلومات..

أما عن السادات إذا كان سيحارب أم لا.. فعلينا العمل على أسوأ الفروض، أن السادات اتخذ قراره بالحرب وعلينا الاستعداد جيدًا ونقوم بدورنا بجمع المعلومات وتحليلها وإرسال ما لدينا إلى قادة الجيش.. هم من سيحددون درجة الاستعداد أو أن الأمر نزهة بالنسبة لهم إذا أقروا أن مصر لن تحارب على الأقل في السنوات القليلة المقبلة".

عاد "حاييم" لمقابلة "شكرى" بعد الانتهاء من طعام الغداء..

وصحبه إلى قاعة مخصصة للتدريب على التصوير وطريقة تحميض وطبع الصور..

ثم قام بتسليمه إلى أحد المتخصصين للعمل على تدريبه ومعه الكاميرا الجديدة.. الحديثة للغاية.. مع التشديد عليه على أهمية تلك الكاميرا وأنه لا يوجد مثلها بالعالم كله إلا أربع نسخ فقط، اثنتان مع إسرائيل ومثلهما داخل جهازات المخابرات المركزية في واشنطن..

تحرك الحفار مرة أخرى من ميناء "داكارا" بالسنغال متخذًا طريقه من أمام سواحل غرب أفريقيا بالأطلنطى، وكان مجموعة العمل المصرية وعدد من الضفادع البشرية تستعد للنزول في مياه ميناء "داكارا"، إلا أنهم تراجعوا بعدما شاهدوا مغادرة الحفار، وكان أكثر الناس سعادة هو الضابط قائد المجموعة، إذ لم يكن يتمنى تفجير الحفار بميناء "داكارا"،فهو قريب جدًا من قاعدة بحرية تابعة للبحرية الفرنسية، وبالطبع فإن الأمر سيكون في غاية الخطورة والحرج، وربما تتحرك القوات في القاعدة البحرية الفرنسية لملاحقة من قام بالتفجير، لذا فقد تنفس الصعداء من مشاهدة الحفار يغادر ميناء "داكارا"، وأعطى أوامره للمجموعة للاستعداد للعودة إلى مصر إلى أن تصدر لهم تعليمات جديدة..

في هذه الأثناء، يراقب "نديم" الموقف في ميناء ابيدجان، وقد علم أن هناك حركة غير عادية في المدينة، علم بعد السؤال، أن هناك استعدادات أمنية مكثفة لاستقبال بعثة الفضاء الأمريكية، إذ من المقرر زيارتها إلى ابيدجان في هذه الأيام، أرسل برقية إلى المخابرات المصرية يخبرهم فيها بذلك وهو

يعتقد أن هذه الترتيبات الأمنية المشددة وانتشار رجال الأمن الأمريكى سوف يكون عائقًا في تنفيذ العملية حال وصول الحفار لميناء "أبيدجان"..

لكن الضابط قائد المجموعة كان له رأى آخر، إنها فرصة ممتازة بانشغال عناصر الأمن المحلية التابعة لساحل العاج بمساعدة رجال الأمن الأمريكى في تأمين وصول وتحركات بعثة رجال الفضاء..

وهذا سيعطى لهم فرصة جيدة للتحرك، وتنفيذ المطلوب من دون الاصطدام بعدد كبير من رجال الأمن والشرطة.

* * *

قامت الهانم بالاتفاق مع أخصائى علاج طبيعى، لمباشرة العمل مع "إيفا"..

وفى إحدى المرات، ذهبت الست "علية" لإحضار الزيت الذى اشتراه "نديم" من السيدة العجوز في جزيرة "أزوريس" في ميناء بونتا ديلجادا، لوضع بضع قطرات منه في عصير الطماطم الطازج، فلم تجد قارورة الزيت، بحثت عنها في كل مكان، وقامت بسؤال الباشا والهانم إذا كان أحدهما قد رآها..

وعندما سألت "فايزة" ابنتها لاحظت ارتباكها وهى تجيب بالنفى..

فايزة: "لم أرها، طبعًا لم أرها.. مالى أنا وزجاجة قارورة بها بعض الخزعبلات من سيدة عجوز نصابة".

لم تشعر "علية" بالارتياح لإجابة فايزة، وحدث بينهما شجارًا وتعالت أصواتهما مرتفعة، حضر على إثرها الباشا والهانم إلى الحجرة التي تجمع "علية" و"فايزة"..

وانتهى الأمر أن قالت الهانم، موجهة كلامها إلى "فايزة": "إذا لا تعلمين عن القارورة شيئًا كما تقولين، دعينا نفتش خزانة ملابسك".

غضبت "فايزة" وهى تبكى بشدة وارتفع نحيبها، ووقفت أمام الخزانة الخشبية القديمة، وهى تضع يديها منعًا لفتحها..

تقدمت منها "علية" وسحبتها بعيدًا وقامت بفتح الخزانة، وأشارت إلى الهانم لكى تتقدم وتبحث بداخلها، ولم تمض أقل من دقيقة حتى عثرت الهانم على القارورة..

نظرت إلى الباشا ثم نظرت إلى "فايزة" بكل غضب..

غادرت هى والباشا الغرفة، وهى تقول لـ "فايزة": "حسابك معايا بعدين".

وقبل أن يغادرا انهالت يد "علية" على وجه فايزة بصفعة قوية، فصرخت "فايزة" من شدة الألم..

انهارت من البكاء وهى تصرخ: "حرام عليكم، أنا دائمًا الوحشة، أنا دائمًا الجانية، مع إننى في الحقيقة المجنى عليها، الكل يحب "إيفا"، الكل يتحدث عن جمال وبراءة "إيفا"، وهى قعيدة على كرسى متحرك، وأنا!! أنا!! ماذا عنى أنا!! لا يلتفت لى أحد وكأننى غير موجودة، الكراسى والطاولات لهم أهمية أكثر منى، منذ صغرى وأنا ارتدى ملابس "إيفا" القديمة، وألعب بعرائسها التي ملت وضجرت منهم، الكل يلاطفها ويداعبها، وأنا فقط أتلقى الأوامر، حتى "نديم" الطفل الذى كنت أرى فيه فتى أحلامى، عندما شب وصار رجلًا، لم يهتم بأحد إلا" إيفا" ".

ثم انهارت في البكاء..

سمعت الهانم والباشا كل كلمة صدرت من قلب وصدر "فايزة" الذى يحترق غيرة من "إيفا"، مما زاد من خوفهما على ابنتهما المسكينة، التي يحاول معها مدرب اللياقة كل جهده كى تسير بضعة خطوات..

ويبدو أن المهمة قد تنجح، إذ قطع صمتهما مدرب اللياقة وهو يركض ناحيتهما ويزف إليهما خبر أن "إيفا" استطاعت الوقوف بمفردها..

يا لها من فرحة غطت على كل مشاعر الحقد والكراهية التي ألقت بها "فايزة" في أركان المكان...

انهالا بالقبلات على "إيفا" التي قالت: "فين "نديم" يشوفنى وأنا واقفة".

أنهى "شكرى" فترة تدريبه على الكاميرا الجديدة والحديثة للغاية..

كما أبدى براعة مذهلة في سرعة التحميض والطبع مع الجودة العالية في إظهار الصور وأيضًا في استخدام الكاميرا من دون أن يلحظه أحد..

إذ يستطيع التصوير وهو يسير في الطريق أو حتى وهو جالس على كرسى في مقهى بلدى..

كانت النتائج رائعة ونقل هذا من قام بتدريبه إلى الضابطين، "حاييم جدعون" و"شاؤول بن عامي"، الذى أبدى غضبه وأصر على عدم موافقته لهذا التدريب وإعطاء الكاميرا إلى "شكرى"، متعللًا أنه ما زال لا يشعر ناحيته بالارتياح، وأنه متأكد أن المخابرات المصرية بالتأكيد وراءه..

وأنه يخدعهم ببراءته هذه وسذاجته التي يظهرها لهم..

رد عليه "حاييم" بأن الأمر خرج من يديهم وأن القيادة، قيادة الموساد، قد وافقت على تدريبه وإعطاءه الكاميرا، إنهم هناك في "تل أبيب" يعرفون أكثر ولم يكن لهم لإعطاءه مثل تلك الكاميرا إلا بعد أن اطمأنوا لكل حركاته، وأنه مخلص لهم ويظهر الولاء لهم.. وذلك من خلال صور الدبابات التي قام بتصويرها في طريق السويس وهى متجهة إلى ناحية الضفة الغربية للقناة..

برم "شاؤول" شفتيه مستسلمًا لما سمعه وهز رأسه معلنًا رفضه..

استطاع "بهاء إسماعيل" ورفاقه سماع ما يدور داخل مكتب "أبو جميل" أو "يوسى كاتسير".. خصوصًا كل حوار تم مع "إميليا" بفضل الميكروفون الذى زرعته "لاريسا" عندما زارته..

كانت هناك معلومات على جانب كبير من الأهمية، وقد أزالت الكثير من علامات الاستفهام لدى رجال المخابرات المصرية..

قدمت "إميليا" تقريرًا شفهيًا وآخر مكتوبًا إلى "بافو" عن شكها في تجنيد بعض العملاء الجدد من المصريين، بعدها سألها "بافو" عن "لاريسا" فهى لم تلتق بها منذ فترة، وتركت الأمر له..

فإذا به يطلب منها أن تعاود الاتصال بها والتقرب إليها، فهو لا يرتاح إلى سلوكها في هذه الأيام، ولا مانع من أن تقوم بزيارتها فى الفندق، والحديث معها في كل شيء وأى شيء لربما نستطيع أن نفهم ما يدور حولها هذه الأيام، وإذا صحت شكوكى فسوف نضعها تحت المراقبة على الفور..

سمع "بهاء إسماعيل" ذلك الحديث، الذى أعطاه الفرصة في الحذر من لقائه بـ "لاريسا"، وعليه التريث بعض الشيء خوفًا من كشف أمره وأمرها..

تحركت الضفادع البشرية من القاهرة متجهة إلى ساحل العاج عبر باريس..

فور تلقيها الأوامر، فقد ظهر الحفار في ميناء ابيدجان، وعلى رأسهم برقية "نديم" الذى شاهد الحفار بنفسه..

كان السفير المصرى في ابيدجان في استقبال رجال الضفادع البشرية المصرية..

واصطحبهم على الفور مع قائد المجموعة إلى منزله، وهناك تمت كل الترتيبات..

والانتظار لهطول الليل للتحرك إلى الميناء حيث الحفار قابع.. والأضواء المثبتة على الحفار والقاطرة تضيء المكان، وكذلك تواجد بعض أفراد الأمن التابعين للموساد الإسرائيلى على متن الحفار والقاطرة..

قام قائد المجموعة بالتعرف على عروسين حديثى الزواج، وصمم الاحتفال بهما، فقام بشراء بعض الألعاب النارية وأطلقها في الهواء، أحدثت صوتًا وضوءًا كثيفًا، نزل رجال البحرية، الضفادع البشرية، إلى المياه حاملين معهم المتفجرات والألغام..

هرع رجال الحراسة التابعين للموساد في زورق مطاطى إلى الشاطئ للتحقق مما يحدث على الرصيف، وجدا العرسان وبعض الاحتفالات

المصاحبة للألعاب النارية، وكانت المسافة من الرصيف إلى مكان الحفار هى كيلو متر واحد..

وبعد مرور حوالى الساعة، ظهر الثلاثة رجال عائدين بسلام..

إذ كان قائد المجموعة في انتظارهم، الذى استقبلهم سريعًا وصحبهم إلى بيت السفير مرة أخرى، وقاموا بتبديل ملابسهم بعد أن أتموا المهمة بنجاح وثبتوا الألغام في ثلاثة أعمدة من أعمدة الحفار، وقاموا بضبط وقت الانفجار ليكن بعد ساعتين..

غادروا بيت السفير متجهين إلى مطار "ابيدجان"، وقبل الوصول إلى المطار، اهتزت العاصمة "ابيدجان" على ثلاثة انفجارات في الحفار، الذى مال على أحد جوانبه وغطس جزء كبير منه في مياه الأطلنطى، بينما السعادة والفرحة عمت قلوب الثلاثة أبطال من رجال البحرية المصرية، وكذلك القائد الذى كان يتابع المشهد عبر شرفة غرفته بالفندق، وكذلك "نديم" الذى رقص قلبه فرحًا لسماع انفجارات الحفار..

تمنى وقتها لو كانت "إيفا" معه ليحكى لها عن قصة ذلك الحفار اللعين واستعادة مصر لكرامتها بتفجيره وحرمان إسرائيل المحتلة من التنقيب عن بترولنا داخل مياهنا الإقليمية.

اتخذ "شكرى" طريقه عائدًا بمساعدة أحد عناصر الموساد الإسرائيلي، وبصحبته أحدث وأعلى كاميرا في العالم، فقد كان رافضًا حمل الكاميرا معه، خوفًا من ضياعها أو تعطلها، فهى مسؤلية كبيرة، لكن أمام

إلحاح "حاييم جدعون" رضخ في النهاية، لكنه لم يتنازل عن شرط الحصول على رزمة من الدولارات قبل أن يبدأ التحرك في طريق العودة..

وبعد أن وصل لبداية الضفة الغربية، تركه عنصر الموساد، وعاد إلى الضفة الشرقية حيث قواعد الاحتلال الإسرائيلي، اتخذ "شكرى" طريقه، وشعر أنه مراقب، بالطبع لا بد أن "حاييم بن جدعون" قد أرسل من يراقبه وكلفه بمهمة تتبعه في كل مكان..

تصرف "شكرى" بشكل طبيعى للغاية.. كأى إنسان مرهق ومتعب من السفر عبر صحراء سيناء، ثم عبور القناة في زورق مطاطى صغير، إلى أن وصل إلى مدينة السويس، توجه إلى منزله المتواضع للغاية كى يخلد إلى الراحة والنوم..

وما إن دخل إلى البيت حتى وجد الصول "عبدالعاطى" في انتظاره..

الصول "عبدالعاطى" هو شخص من مجندى الجيش الثالث وهو كثير الشبه بـ "شكرى"، يشبهه لدرجة لا يمكن تخيلها، وكأنه توأم أو "فولة واتقسمت نصفين" كما يقولون..

تم ذلك بتخطيط من ضباط المخابرات الحربية، الذين كانوا يعلمون أن شكرى سيكون مراقبًا للتأكد من ولائه إلى إسرائيل..

ما إن دخل شكرى البيت حتى بدل ملابسه وأعطاها إلى الصول "عبدالعاطى"، الذى ارتدى ملابس شكرى، وارتدى شكرى بذلته العسكرية..

وبعد مرور بعض الوقت خرج الصول "عبد العاطى" على أنه "شكرى"..

وبالطبع تابعه من هو مكلف بمراقبته.. تجول "عبدالعاطى" في سوق المدينة واشترى بعض الطعام، وقضى بعض الوقت في المقهى، ثم عاد إلى بيت "شكرى"..

وبالطبع بعد خروج "عبدالعاطى" ببعض الوقت، خرج "شكرى" في بذلته العسكرية ومعه حقيبة، واتجه إلى مبنى المخابرات الحربية..

قص على الضباط هناك ما حدث بالتفصيل، وذلك في وجود أحد رجال المخابرات العامة المصرية، وسلم إليهم الكاميرا الحديثة..

تناولوا الطعام سويًا، وبعدها بدأ الترتيب للمرحلة القادمة وما سيقوم به "شكرى"، وماذا سيقوم بتصويره بتلك الكاميرا الحديثة، التي كانت كنزًا بالنسبة لرجال المخابرات المصرية وفرحوا بها للغاية.. الآن توجد كاميرتين لدى الولايات المتحدة وكاميرا لدى إسرائيل وكاميرا لدى مصر، هؤلاء هم الأربع نسخ في العالم..

ولم تمض أكثر من أربع وعشرين ساعة حتى تم وضع خطة للقبض على كل عملاء وجواسيس إسرائيل، وبالفعل تم إلقاء القبض على جميع العناصر..

إلى آخر عنصر كان يراقب "شكرى"، وبالطبع كان بحوزتهم مجموعة من الأحبار السرية والمظهرات وكتب الشفرة وأجهزة الإرسال والاستقبال، ومبالغ لا بأس بها من الدولارات..

وهنا أتى دور استعمال الكاميرا الحديثة، إذ قاموا بتصوير عناصر الشبكة كاملة مع جميع المضبوطات..

وقام "شكرى" حسب الموعد المتفق عليه بإرسال الصور إلى الجانب الإسرائيلي الذى كان في انتظار الرسالة..

وما أن قاموا بالتعامل مع الرسالة وفكها وطبع الصور التي جاءت بها، التي تعمل عبر الأقمار الصناعية..

تم تحميض وطبع الصور، ليسود الصمت في حجرة اجتماع رجال الموساد "حاييم جدعون" و"شاؤول بن عامي" ومعهم مدير المخابرات..

الصور بها عملاءهم وجواسيسهم الذين أنفقوا عليهم الأموال الطائلة واستغرقوا السنوات في زرعهم وتدريبهم..

الآن هم وأجهزتهم والكاميرا الحديثة في قبضة رجال المخابرات المصرية..

انهالت المكالمات الهاتفية في جميع أرجاء مبنى الموساد الإسرائيلي وسط صرخات أجراس الهواتف.. كان البكاء والنحيب يعزف ألحانًا وصلت أصداؤها إلى رجال المخابرات المصرية، عندما يبكى الرجال، نعم الخسارة ثقيلة، فادحة جعلت "جولدا مائير"، رئيسة وزراء إسرائيل، تكيل السباب والتوبيخ إلى "موشى ديان"، وزير الدفاع، الذى بدوره قام بصب جم غضبه على مساعديه وأقال مدير المخابرات العسكرية، وكذلك تم إقالة رئيس جهاز الموساد..

ولم تمر إلا ساعات قليلة، حتى أتاهم نبأ تدمير حفارهم، أداة إزلال القيادة المصرية، نعم قام المصريون بتدمير الحفار الذى تجره قاطرة هولندية في ميناء ابيدجان، النيران تشتعل به وقد مال على جانبه داخل مياه الأطلنطى..

الكوارث لا تأتى فُرادا، من خبر سيء إلى الآخر، ومن صراخ إلى عويل إلى نحيب، إلى إقالات واستقالات، وقد وصلت إلى حد الانتحار..

فقد أطلق اثنان من قادة الموساد الرصاص على رأسيهما، الانتحار والموت أشرف وأهون مما شاهدوه في الثلاثة أيام الأخيرة على أيدي رجال المخابرات المصرية، سقوط جميع شبكات التجسس بكل معداتها وأجهزتها، خداع "شكرى" والكاميرا الحديثة الآن بحوزة المصريين إلى الحفار المنتظر قدومه، وتفجيره قبل أن يصل إلى البحر الأحمر..

الثامن من مارس عام ١٩٧٠، أسود يوم في حياة إسرائيل، تدمير الحفار، وسقوط جميع العملاء..

عقدت القيادة في الموساد الإسرائيلي بحضور عناصر المخابرات العسكرية، وكذلك مساعد وزير الدفاع الإسرائيلي، اجتماعات عدة خلصوا منها بضرورة الرد على ما حدث وتوجيه ضربة عاجلة وقاسمة للمخابرات العامة المصرية..

وبعد سماع الكثير من الآراء والاقتراحات، استحسن الجميع اقتراحًا شيطانيًا قدمه أحد القادة في الاجتماع، وهو الاستعانة بالضابط السابق بالجيش ورجل المخابرات حاليًا المتواجد بأثينا باليونان "يوسى كاتسير"،

المعروف عنه شدة العنف والشراسة وكذلك كم الكره الذى يحمله للمصريين، بالإضافة إلى إيمانه بالقضية وحقوق دولة إسرائيل وشعب إسرائيل المختار كما رباه أباه الحاخام..

وأضاف الضابط: "اقترح سفر "يوسى كاتسير" إلى القاهرة والقيام بتفجير أهم المعالم السياحية بالقاهرة، المتحف المصرى بالتحرير، سوف تكون بمثابة ضربة قاصمة وفيها الرد الكافى على كل ما أصابنا من إخفاقات، وربما نستطيع أن نتبعها بضربات أخرى، ونرى الحسرة والخيبة على وجوه رجال المخابرات المصرية، تخيلوا معي، دخول ضابط مخابرات إسرائيلى عبر مطار القاهرة من دون علمهم، ووضع قنبلة داخل المتحف، ثم يعود عبر مطار القاهرة وهم نائمون".

استحسن كل إبليس حاضر للاجتماع الفكرة وتعالت أصواتهم الشيطانية بالموافقة على الفكرة، وتشكيل فريق عمل للاتصال بـ "يوسى كاتسير" ووضع الخطة المناسبة لتنفيذ المهمة بكل دقة وإتقان.

* * *

بعد انتظار لثلاث ساعات، أخيرًا خرجت "كاميليا" من الجامعة لتجد أمامها "بافو" أو "يوسى كاتسير" ليطلب منها اصطحابها لتناول طعام الغداء..

اعتذرت لإحساسها ببعض الأرهاق..

ألح في طلبه، وكأنه يستعجل موته، هكذا فكرت "كاميليا"، وصوت داخل عقلها يناديها، أنها الفرصة السانحة لوضع السُم في طعامه، ربما يكون اليوم آخر الأيام التى ترى فيها وجهه الكريه..

وافقت على مضض..

طلب كل منهما طعامه، وقبل أن يهم "بافو" بتناول أول قطعة لحم، جاءه النادل ليخبره أنه مطلوب عبر الهاتف، "اتصال تليفونى لك سيدى"..

وضع "بافو" شوكة الطعام ونهض وهو ناقم على من حرمه من تناول أول قطعة لحم، إنها "إميليا" على الخط تخبره بأن الدنيا مقلوبة في تل أبيب، ومطلوب منه التوجه إلى المطار فورًا من دون حقائب للسفر إلى تل أبيب للأهمية..

استمع "بهاء إسماعيل" لصوت "إميليا" تتحدث في الهاتف من المكتب، وما طلبته من "يوسى كاتسير" عبر الميكروفون الذى ثبتته "لاريسا" من قبل في مكتب "بافو"..

وفى أثناء المكالمة، أخرجت "كاميليا" زجاجة السُم ووضعت بعض الحبيبات فوق قطعة اللحم الخاصة بطبق "بافو"، إنها الفرصة السانحة، جاءت هذه المكالمة في صالح خطتها..

تظاهرت بتناول طعامها وعيناها مثبتتان ناحية كابينة الهاتف، إذ أنهى "بافو" المكالمة، واتجه مسرعًا ناحية الباب، وهو يشير إلى "كاميليا" ما معناه "لا بد أن أغادر فورًا"..

إنها النجاة من الموت للمرة الثانية بعد نجاته من فنجان القهوة المسموم..

أخذت قارورة الملح الصغيرة الموضوعة على الطاولة وفتحتها وسكبت الملح كاملًا فوق قطعة لحم "بافو"، وكذلك سكبت قارورة الفلفل الأسود كاملًا فوق اللحم خوفًا من أن يأكلها أحد فيموت أو تأكلها قطة أو كلب..

الموت لا يستحق إلا لكل قاتل جبان، لا يستحقه إلا الخنزير "يوسى كاتسير"..

نهضت بعد أن دفعت الحساب، وداخلها هواجس وأفكار متلاحقة.. مالها أصبحت تعشق القتل! تتمنى قتل "يوسى كاتسير"، وتنتظر موته..

هل صارت مجرمة؟ أم أنه حق مشروع للانتقام للأب والأم والخال؟!

عقد "صبرى عبدالهادى" و"بهاء إسماعيل" اجتماعًا لمناقشة توابع سفر "يوسى كاتسير" العاجل وبهذه الطريقة، من المطعم إلى المطار ثم إلى تل أبيب، وكذلك محاولة "كاميليا" الثانية بوضع السُم في طعامه بعد القهوة..

فقد كانت عيونهم تراقب وتلتقط الصور في كل مقابلة تجمع "كاميليا" مع "بافو"..

قاموا بوضع تقريرًا مفصلًا وأرسلوه إلى القاهرة إلى مبنى جهاز المخابرات العامة مصحوبًا بالصور والتسجيلات الصوتية لكل ما دار داخل مكتب "يوسى كاتسير".

* * *

في مقعد الطائرة المجاور للنافذة، يجلس "نديم" مبتسمًا في رحلته العائدة من ابيدجان إلى القاهرة، ينظر عبر النافذة ليشاهد ميناء ابيدجان بالكامل ويظهر وسطه بوضوح الحفار المحترق، يسترجع معه شريط كل ما حدث منذ أن غادر مع الباشا وأسرته إلى جزر البرتغال، حتى وصوله إلى ابيدجان وسماعه أجمل الأصوات، أصوات انفجار حفار العار الذى قهر إسرائيل التي لا تقهر..

عاد "نديم" أيام عدة إلى الوراء، لتشغل عقله صورة "إيفا"، وهى تحاول تأدية التدريبات بكل همة وعزم والحرص على تناول زيت السيدة العجوز في كوب عصير الطماطم.

تذكر أيضًا وقوف "فايزة" بالشرفة، وهى تستشيط غضبًا مما ألقى الخوف في قلبه من حقد وغيرة "فايزة"..

وما أن هبطت الطائرة إلى أرض المطار، مطار القاهرة، حتى توجه "نديم" إلى مبنى جهاز المخابرات العامة، لتقديم تقريره وتلقى التعليمات المطلوبة في المرحلة القادمة..

وعند خروجه من مبنى المطار التف حوله بعض من سائقى التاكسى ظنًا منهم أنه أجنبى ويحمل العملة الصعبة، إلى أن تحدث إليهم بالعربية، حتى ظهر الغضب على وجوههم وانفضوا من حوله، مصري بملامح أوروبية.

* * *

امتد اجتماع "يوسى كاتسير" مع قيادات الموساد الإسرائيلى لفترة طويلة تم فيها وضع كل تفاصيل خطة رحلته إلى القاهرة، مع اصطحابه لأحد العناصر غير المعروفة للمخابرات المصرية، فاختار أن تكون "كاميليا" في صحبته لهذه الرحلة..

عاد بعدها على الفور إلى أثينا، وبعد أن أخذ بعض الوقت للراحة ظهر أمام "كاميليا" مرة أخرى يقدم الاعتذارات والتوسلات كى تسامحه على مغادرته المطعم بهذة الطريقة، معللًا ذلك أنها كانت تصب في مصلحتها..

"كاميليا": "مصلحتى!! كيف هذا تتركنى في المطعم وتغادر بهذه الطريقة وتدعى أنك تعمل لصالحى".

"بافو": "تعالى نشرب كوبًا من العصير في ذلك المقهى، وأنا أشرح لكِ كل شيء، لقد تلقيت مكالمة من صديق لى صاحب شركة سياحة، قد وعدنى سابقًا أن يمنحنى تذكرة مجانية لى وشخص آخر معى، إما إلى إسطنبول أو القاهرة، أو بالى بإندونيسيا..

وطلب منى في المكالمة الحضور فورًا لأن هناك من يريد الحصول على هذه التذكرة المجانية غيرى، وبالفعل قابلته في الشركة، شركة السياحة، واخترت أن تكون وجهتى إلى القاهرة كرحلة سياحة وعمل، وأيضًا فكرت أن تكون التذكرة الثانية من نصيبك كى تزورين أسرتك، وكنت أعلم أن هذا الأمر سيفرحك للغاية".

لم تعلم "كاميليا" ما ترد به، هل هو صادق وإن هذا ما حدث أم أنه شغل وخطط رجل مخابرات؟ وأن في الأمر شيئًا ما غير نظيف..

أبدت سعادتها بالعرض، وسألته عم موعد السفر..

"بافو": "بعد بكرة.. بعد ثماني وأربعين ساعة نكون في مطار أثينا متجهين إلى القاهرة، وسوف اصطحب معى عينات لأدوات الصيد لعرضها على شركة المصايد بالإسكندرية في الوقت الذى تزورين فيه أسرتك".

"كاميليا": "بعد يومين؟! وقت غير كافٍ بالمرة، أريد أن اشترى الكثير من الأغراض".

"بافو": "أغراض مثل ماذا؟ ملابس؟ يمكن شراءها غدًا، وأنا أعرف محل ملابس موديلاته رائعة وأسعاره رخيصة وصاحبه صديقى".

"كاميليا": "ليس هذا فقط، حقيبة سفرى مكسورة أريد شراء حقيبة جديدة".

"بافو": "لا عليكِ.. سأعطيكِ أنا حقيبة ممتازة هدية لكِ.. سأضع فيها فقط عينات من أدوات الصيد وعلبة شيكولاتة هدية لصاحب الشركة بالإسكندرية، وبقية مساحة الشنطة لكِ، تضعين فيها ما تشائين".

لم تجد "كاميليا" ما تقوله، وأجابت بـ"نعم" لكن السؤال الأخير: "متى موعد العودة كى أرتب مع إدارة الجامعة؟".

"بافو": "بعد أربعة أيام فقط".

* * *

غادر "نديم" مبنى جهاز المخابرات العامة المصرية متجهًا إلى محطة قطارات رمسيس وهو في حيرة من أمره، أيتجه إلى رصيف قطارات بور سعيد كى يزور عم حجازى؟ فقد مضت فترة طويلة للغاية منذ تطوعه في

الجيش وذهابه إلى المنطقة الشمالية العسكرية لحضور فرقة تدريب للرصد والاستطلاع، ثم التحاقه بالعمل لدى المخابرات العامة، إلى الآن لم يزره مرة واحدة ولم يدخل حجرته التي لا بد واعتلاها العنكبوت وأنجب فيها عناكب صغيرة..

أم يتجه إلى رصيف قطارات الإسكندرية للاطمئنان على الباشا وأسرته؟ خصوصًا "إيفا"، وهل حدث أى تقدم في علاجها..

قلبه جذبه وألقى به داخل قطار الإسكندرية، ومنها إلى فيلا العجمى..

وقبل أن يضع "نديم" إصبعه على جرس باب الفيلا الخارجي..

وجد الباب يفتح، وتقف خلفهُ "إيفا"، نعم إنها "إيفا" واقفة على عكازين، وليس هناك أي أثر للكرسى المتحرك ولا للست "علية" خلف الكرسى..

إنها "إيفا" واقفة ممشوقة القوام، طويلة، جميلة بشعر أشقر ناعم وعينين زرقاوين مثل أبيها الباشا، لم يشعر بجمالها قط عندما كانت جالسة على الكرسى المتحرك، الآن هى واقفة حتى ولو كانت تستعين بعكازين، لكنها تحرك قدميها وتدب برجلها على الأرض..

لم يشعر إلا وهو يحتضنها بين زراعيه وقد تركت له نفسها ووضعت رأسها على صدره ودموعها تنهمر في صمت، تأخذ نفسًا عميقًا داخل صدره وكأنها تشم رائحة ضلوعه القوية وتنهدت وهى تشعر بالأمان أخيرًا..

هو من له الفضل في علاجها، ووقوفها على قدميها..

الباشا يقف خلف النافذة من الطابق الأعلى، ولم يتمالك نفسه من البكاء، وهو يرى فرحة ابنته حتى ولو كانت في حضن "نديم"، أحيانًا البراءة يمكن أن تصل إلى أبعد الحدود حتى ولو كان الارتماء في حضن غريب.

أعطى "بافو" حقيبة سفر فاخرة ومميزة لكاميليا وبها بعض العلب التي تحتوى على عينات أدوات الصيد، ولكن كان أيضًا بجوار العينات داخل العلب أصابع المتفجرات، وكان بالحقيبة أيضًا علبة معدنية من نوع فاخر من الشيكولاتة أخبرها أنها هدية لصاحب الشركة بالإسكندرية، سيقدمها له عند توقيع عقود الصفقة.

وصلت تعليمات رجال المخابرات المصرية إلى "صبرى عبدالهادى" و"بهاء إسماعيل"..

بما أنه تم استدعاء "يوسى كاتسير" بهذه الطريقة وهذه السرعة، إذًا لا بد وأن يكون في الأمر شيء جلل، لا بد أنهم يحضرون لشيء ما خطير، ربما تكون ضربة من جانب الصهاينة للرد على عملية الحفار..

فالمطلوب هو مراقبة تحركات "يوسى كاتسير" و"إميليا" مراقبة دقيقة وبحذر، وموافتنا بالجديد كل يوم أو ساعة وساعة إذا لزم الأمر..

وبالفعل كانت العيون وراء "يوسى كاتسير" وهو متجه إلى مطار "أثينا" بصحبة "كاميليا"..

حتى عندما وصل القاهرة، كانت التعليمات أن يتركوه يمر عبر المطار كأى سائح عادى من دون التعرض له ومنحه تأشيرة وختم الدخول أيًا كانت الجنسية التي يتخفى وراءها..

خرجا من المطار سويًا، "بافو" و"كاميليا"، وتوجها إلى أحد الفنادق بوسط القاهرة، هكذا كان طلب "بافو" من "كاميليا" بقضاء يومين بالقاهرة لزيارة المعالم السياحية ويومين بالإسكندرية، تتوجه هى لزيارة أسرتها ويتوجه هو إلى شركة تجارة أدوات الصيد كى يتمم صفقة أدوات الصيد والتوقيع على العقود.

* * *

قضى "نديم" وقتًا ممتعًا مع الباشا وأسرته، تحسنت فيها حالة "إيفا" كثيرًا مع ارتفاع روحها المعنوية، واستطاعت بمساعدة "نديم" السير من دون العكاز وهى ممسكة يده..

استأذنهم "نديم" في السفر إلى بورسعيد ومنها إلى بورتوفيق لزيارة "عم حجازى" والاطمئنان عليه..

كانت فرحة طاغية لـ "حجازى" برؤية "نديم" رغم عدم علمه بطبيعة عمله إلا أنه كان متأكدًا أنه يبلى بلاءً حسنًا في صفوف الجيش المصرى أيًا كان موقعه..

صعد بعدها "نديم" إلى حجرته فوق سطح البناية..

فتح الباب، ولم يكن هناك عنكبوت واحد كما توقع، كانت نظيفة وكأنه قد تركها بالأمس القريب..

وعلى الطاولة الصغيرة وسط الحجرة، وجد "نديم" خطاب "كاميليا" أخته..

فتحه قرأ ما فيه وعيناه تغرورقان بالدمع..

مسح وجهه بذراعه، وقرأ الخطاب ثانيةً..

إنها "كاميليا" أختى، إنها بخير، خطها رائع وأسلوب الكتابة وصياغتها ينُم عن مستوى تعليم جيد للغاية، أحمدك يارب..

وفى نهاية الخطاب عنوان المنزل بحى العطارين بالإسكندرية..

هرع خارجًا إلى أقرب تاكسى يقله إلى محطة القطارات المتجه إلى الإسكندرية رغم أنه توه قادم من الإسكندرية بعد أن غادر فيلا العجمى..

الآن هو عائدًا إلى الإسكندرية إلى أخته الحبيبة "كاميليا"..

يبدو أن الإسكندرية هى كلمة السر في لقاء الأحباب..

كم أُحب هذه المدينة وأريد أن أقضى بقية حياتى فيها..

وصل إلى الإسكندرية عند غروب الشمس، وتوجه إلى العنوان الذى في الخطاب..

صعد الدرج، وتردد في ضغط جرس الباب، فقد كان قلبه يدق بشدة..

إنها لحظات قليلة وتفتح له "كاميليا" أخته الباب، هل ستعرفه؟ وهل سيعرفها؟ وماذا سيقول أو يفعل؟ يشعر أنه طفل صغير يبحث عن أمه..

ضغط جرس الباب، سمع أصوات خطوات قادمة من خلف الباب،

فُتح الباب، وقف "نديم" واجمًا وهو ينظر للحظات قبل أن يستطيع النطق..

سيادة العقيد "فكرى الصباغ"!!!

غادر "نديم" منزل "كاميليا" ومنزل العقيد/ "فكرى الصباغ" بعد مرور ساعة..

شاهد صور لـ "كاميليا" بعد أن صارت شابة لكنها نفس الفتاة التي بصحبة "لاريسا" باليونان، زاد خوفه عليها ولم يطلع العقيد "فكرى" على الموقف الذى تواجهه "كاميليا"، ومحاولات "يوسى كاتسير"، ضابط المخابرات الإسرائيلي، تجنيدها لحساب دولة الاحتلال، ما هذه اللعبة التي يلعبها القدر!

لقد كان يجلس في قاعة المحاضرات ويقوم بالتدريس له العقيد "فكرى" وهو لا يدرى ان أخته تعيش في بيته ويعاملها كابنة له..

ويشاهد أخته بصحبة "لاريسا" وبصحبة الخنزير "يوسى كاتسير" وهو أيضًا لا يعلم أنها أخته، الآن تنفك الطلاسم تباعًا وتُحل الألغاز، لكن الصدمة قوية للغاية، ولا بد من التحرك فورًا قبل وقوع الكارثة..

بعد الاتفاق مع القيادة، اتخذ قراره بالسفر إلى اليونان لإنقاذ "كاميليا"..

وما أن وصل إلى أثينا لم يكن يدرى أن "كاميليا" تقضى ليلتها الأولى بالقاهرة، وكأن القدر يزيد من صعوبة وتعقيد اللعبة ويتعمد حرمانه من أخته..

اجتمع مع "صبرى عبدالهادى" و"بهاء إسماعيل" ليزُف إليهما خبر أنه يعرف الفتاة التي بصحبة "لاريسا"، وقبل أن ينطق بالمعلومات، بدأ "صبرى" بقراءة التقرير الذى ورد من القاهرة بخصوص الفتاة، اسمها "كاميليا" أبو زيد وتعيش في الإسكندرية في بيت العقيد "فكرى الصباغ" الذى تبناها هو وزوجته مدام "إسعاد".. إلى آخر التقرير.

"نديم": "رائع لكن الجديد فوق هذا التقرير، أنها أختى، نعم.. هى أختى "كاميليا" التي افترقت عنى منذ كنا أطفالًا صغارًا في بورتوفيق..

وقص عليهم كل ما حدث خصوصًا حادثة يوم ضرب الضابط "خنزير" "يوسى كاتسير" ووضعه لـ "كاميليا" أمام جنزير الدبابة ثم هدم بيتهم وبداخله الأب والأم والخال..

"صبرى": "هنا أنا فهمت لماذا تضع "كاميليا" السُم في قهوة "يوسى كاتسير" تارة وفى طبق اللحمة تارة أخرى؟ تريد قتله والانتقام لها ولأسرتها".

"نديم": "أي سُم، عما تتحدث؟!".

أخرج صبرى الصور وأطلع "نديم" على كل ما فاته منذ مغادرته اليونان في مهمته التي لم يكن يعلم عنها أحد وهى مراقبة الحفار..

شعر "نديم" بالفخر من محاولات أخته "كاميليا" لوضع السُم في طعام هذا الخنزير لقتله وإراحة العالم من شروره..

وأثناء تصفحه للصور توقف عند صورة تكررت أكثر من مرة وفى أكثر من لقاء "يوسى كاتسير" يكتب في قُصاصة ورقية بعض السطور، يا ترى ماذا يكتب؟!

ماذا يعنى هذا التصرف؟ دار النقاش بين المجموعة حول هذا الأمر، وخلصوا إلى أنه ربما ينسى كثيرًا ويحاول أن يكتب بعض الملاحظات لينقلها إلى دفتر مذكراته فيما بعد..

ولكن هل من ينسى يصلح أن يكون ضابط مخابرات، إنه غير منطقى.. لا..

هذا التفسير غير صحيح، إذًا ماذا يفعل بتلك القُصاصات الورقية؟ وأين مذكراته؟ فقد فتشنا بيته مرتين، مرة بمعرفتك أنت يا "نديم" ومرة أخرى بمعرفة أحد رجالنا، وفى المرتين لم يتم العثور على تلك المذكرات اللعينة.. الآن ما العمل؟ ماذا سوف تفعله الآن يا "نديم"..

"نديم": "لا بد وأن أعود إلى القاهرة في الصباح لأكون بجوار أختى وأنقذها من هذا المجرم، أنتم لا تعرفونه كما أعرفه.. فهو بلا ضمير.. بلا أخلاق".

"صبرى": "لا تقلق على أختك "كاميليا"، زملاؤنا في جهاز المخابرات بالقاهرة قاموا بتحليل شخصيتها وكل ما يتعلق بها حتى اللغة الجسدية..

وبالتأكيد تأكدوا من سلامة موقفها، وسوف يكون هناك من يوفر لها الحماية ويضمن سلامتها، لا داعى لتدخلك يا "نديم" ربما يفسد كل شيء، هى مواطنة مصرية ورجالنا سيعملون على البقاء عليها سالمة وفى أمان، لا تقلق، ولكن يمكنك أن تسافر إلى القاهرة، لتكون قريبًا، لكن لا تتدخل وانتظر حتى ينتهى رجالنا من مهمتهم، فهم يراقبون ويسمعون كل شيء عن "يوسى كاتسير"، الذى غروره صور له أنه غير مُراقب ومتخفى باسم مستعار وأن السلطات المصرية لا تعلم عنه شيئًا، دعه غارقًا في أوهامه ومن يضحك أخيرًا يضحك كثيرًا.

* * *

طرق "بافو" باب غرفة "كاميليا" وطلب منها الحصول على عينات أدوات الصيد لمراجعتها قبل السفر للإسكندرية، وأخبرها أن تستعد للخروج للتنزه في القاهرة.

سألته: "أين سنذهب؟!".

"بافو": "أقترح زيارة المعالم السياحية والتنزه في نهر النيل وتناول الطعام المصرى، وأى شيء آخر يطرأ في رأسنا".

عاد "بافو" إلى حجرته ومعه أربع علب كرتونية، التي بداخلها عينات الصيد وأيضًا أصابع الديناميت..

أخرج أصابع الديناميت وربطهما ببعض بشريط لحام كهربائى.. وقام بتوصيلهم بعداد تنازلى (تايمر)، ووضعه داخل حقيبة صغيرة ووضع فوقها بعض قطع من الملابس.

عاد إلى غرفة "كاميليا"، وأعاد إليها علب أدوات الصيد، واصطحبها إلى الخارج..

بعد أن أعادت "كاميليا" علب عينات أدوات الصيد داخل حقيبة السفر بجوار علبة الشيكولاتة..

انطلقا سويًا عبر سيارة أجرة إلى ميدان التحرير، واقترح "بافو" عليها زيارة المتحف، المتحف المصرى بالتحرير..

"بافو": "هل زُرت المتحف المصرى بالتحرير من قبل؟".

"كاميليا": "لا.. كنت دومًا أتمنى زيارة المتحف لكن دائمًا ما يحدث ما يعوقنى من دون إتمام الزيارة".

كانت عيون المخابرات المصرية تراقبهم خطوة بخطوة، بالإضافة إلى أنه كان على رجال المخابرات ان يكونوا سباقين بخطوة أي عليهم توقع ما هى الخطوة القادمة لهذا اللعين "يوسى كاتسير" قبل أن يخطوها ويكونوا على استعداد لهذه الخطوة وفى استقبالها..

وهذا ما حدث بالفعل.. فقد توقع رجال المخابرات أن ما بداخل الحقيبة التي يحملها ما هو إلا متفجرات، لذا عليهم إيقافه أو إبطال مفعول المتفجرات قبل أن يتهور ويفجرها، خصوصًا أن القاهرة مدينة مزدحمة للغاية وستكون النتيجة كارثية، لذا قاموا بتجهيز عدد أفراد من خبراء المفرقعات..

وعندما شاهدا "يوسى كاتسير" و"كاميليا" متجهان ناحية المتحف، استعدوا بوضع عناصر من مكافحة المفرقعات داخل المتحف، مرا خلال بوابة الدخول بعد أن اشترا التذكرتين لدخول المتحف..

تجولا في الطابق الأرضى وإذا بـ "بافو" يضع الحقيبة التي في يده خلف أحد الثماتيل في المتحف من دون أن تراه "كاميليا"..

ثم استأذن منها أنه لا بد وأن يغادر المتحف لشعوره بالتعب والجوع الشديد، وأنه لاحظ وجود مطعم على الرصيف الآخر المقابل للمتحف..

وافقته "كاميليا" على الخروج، وتوجها بعد أن عبرا الشارع إلى المطعم في الجهة المقابلة للمتحف، مطعم يقدم وجبة الكشرى المصرية الشهيرة..

في هذه الأثناء توجه خبراء المفرقعات وأخذوا الحقيبة من خلف التمثال، وأخذوها جانبًا وبسرعة واحترافية قاموا بقص الأسلاك الموصلة بين (التايمر) وأصابع الديناميت شديدة الانفجار، وبذلك تم إبطال مفعول القنبلة..

جلس "بافو" على طاولة بجانب الزجاج ليكشف بسهولة ورؤية واضحة موقع المتحف، كى يستمتع بلحظة انفجار المتحف المصري..

وأثناء تركيز بصره عبر النافذة الكبيرة، وجد من يسحب يديه ويشد وثاقه وراء ظهره بالأساور الحديدية، واقتادوا معه "كاميليا" وسط ذهول الجميع في مطعم الكشرى.

للمرة الأولى منذ سنوات تعبر مدام "إسعاد" عن غضبها الشديد من زوجها العقيد "فكرى الصباغ"..

"إسعاد": "كيف لك أن تتركنى هكذا نائمة وأنت تقابل "نديم" في بيتنا، كان عليك أن توقظنى، كان نفسى أشوفه، أليس هذا "نديم" الذى كنا نبحث عنه في كل مكان، أليس هذا من كسر قلب ابنتنا "كاميليا"، وعندما يظهر تتركنى نائمة وتتركه يغادر من دون أن آراه، لم أكن أتوقع منك هذا، حتى ولو كنت تقصد خير، إننى اعتبره ابنى حتى وإن لم أربيه صغيرًا، لكنه له مكانة في قلبى إكرامًا لأخته.. لابنتنا "كاميليا".

* * *

توجه "نديم" من مطار القاهرة إلى مبنى المخابرات العامة المصرية، وهناك علم أنه قد تم القبض على "يوسى كاتسير" والفتاة التي معه "كاميليا"، وهما الآن في طريقهما إلى مكان ما، لبدء التحقيقات معهما..

توجه "نديم" إلى مكان التحقيق وطلب أن يقابل "كاميليا" وبالطبع تفهم زملاءه من رجال المخابرات وقاموا بترتيب لقاءً له مع أخته "كاميليا"..

لم يستطع "نديم" الجلوس، صار يجول الحجرة ذهابًا وإيابًا إلى أن فُتح الباب وظهرت "كاميليا"، لحظات من الصمت جمعتهما، لم تكن لحظات طويلة..

إذ قطع الصمت ارتماء "كاميليا" في أحضان "نديم" ودموعها تنهمر بشدة، ارتاح قلبها بعد معاناة، وجدت أخيها، من يحمل الهم ويكمل المهمة وهو من سيقوم بالانتقام لها ولأبيها وأمها وخالها..

ارتاح جسدها بعد شهور وسنوات من الخوف على فقدان "نديم"

ارتخى جفناها وأغلقت عيناها وراحت في إغماءة وهى في أحضان "نديم".

* * *

استمرت التحقيقات مع "يوسى كاتسير"، الذى قاوم كثيرًا وأنكر كل شيء إلى أن واجهه رجال التحقيقات بكم من الصور والتسجيلات الصوتية وأهمهم صوره وهو يضع حقيبة المتفجرات خلف أحد التماثيل في الطابق الأول من المتحف المصرى بالتحرير..

لم يستطع المقاومة كثيرًا وبدأ في الاعتراف بكل شيء من دون أية محاولة للكذب أو الخداع..

قام فريق بتفتيش غرفته وغرفة "كاميليا" بالفندق..

تم العثور على علب عينات أدوات الصيد ومعهم علبة الشيكولات، التي لم يكن بها أي قطع شيكولاتة ولكن العشرات والمئات من القصاصات الورقية المكتوبة باللغة العبرية وبأقلام أحيانًا زرقاء وأحيانًا أحبار سوداء أو حمراء..

كانت القصاصات في حالة جيدة، أرسلها رجال المخابرات إلى القسم الفني الذى قام بتفريغها وترتيبها حسب التاريخ، وهذه هى الخدمة التي قدمها "يوسى كاتسير" إلى رجال المخابرات أنه كان يكتب التاريخ في كل قصاصة ورقية منذ أن بدأ في كتابة المذكرات منذ أكثر من عشرين عامًا..

تم الترتيب وتفريغ محتوى كل قصاصة، ثم ترجمتها من اللغة العبرية إلى اللغة العربية وجمعها في كتاب، إنها مذكرات "يوسى كاتسير"، وعندما سألوه عن علبة الشيكولاتة أجاب بأنها هذه هى مذكراته التي كان يظن الجميع أن كتابتها كانت تتم بشكل تقليدى كأية مذكرات مكتوبة في دفتر، لا.. إننى كنت أكتب على أية ورقة أجدها أمامى، وأضعها داخل علبة الشيكولاتة الفارغة..

تنفس رجال المخابرات الصعداء.. تمت المهمة.. الحصول على مذكرات الجاسوس "يوسى كاتسير"، التي تحوى على كنز من المعلومات عن الجيش الإسرائيلي وقياداته وضباطه والمشاكل التي في الجيش الإسرائيلي والثغرات وأنواع الأسلحة ومستوى التسليح.. وأمور كثيرة أخرى عن المخابرات الإسرائيلية (الموساد) وقياداته وطرق التجنيد للعملاء المصريين والعرب.

مر وقت طويل من دون أى اتصال من "يوسى كاتسير" بقيادات الموساد، أو "إيميليا" في أثينا، وتسربت معلومات تفيد القبض عليه بالقاهرة وأنه الآن في حوزة رجال المخابرات العامة المصرية..

فاقت "كاميليا" لتجد حولها "نديم" والعقيد "فكرى الصباغ" ومدام "إسعاد"، "الآن تبدأ حياتى الحقيقية"، هكذا قالت "كاميليا".

أمر العقيد "فكرى الصباغ" أن يعود معهم "نديم" ويقيم معهم..

"الصباغ": "لا تنسى أننى قائدك يا نديم، أيضًا أنا أبو أختك، إذن أنا أبوك، وهذه ماما "إسعاد" أمك، فهى تحبك قبل أن تراك وكفاية أننى أخذت دشًا باردًا بسببك من ماما إسعاد".

وافق "نديم" على الانتقال للعيش معهم ومحاولة تعويض ما فاته هو وأخته "كاميليا" ثم أخبرهم برغبته في التوجه إلى العجمى، أصرت "كاميليا" على الذهاب معه بعد أن استمعت للقصة كاملة منذ ان افترق عنها في بورفؤاد، فهى متشوقة لرؤية "إيفا" والباشا والهانم حتى الست "علية" و"فايزة"..

وانضم إليهما في الذهاب للعجمى العقيد فكرى وزوجته "إسعاد"..

أجواء أسرية رائعة، الجميع في غاية السعادة، وكان أكثرهم سعادة هو الباشا الذى شعر بالاطمئنان على "إيفا" والهانم، إذا حدث له أي شيء فهما في أيد أمينة، خصوصًا بعد أن عاد "نديم" إلى أخته ومعهما العقيد "فكرى"..

كانت "إيفا" تتحرك بين الجميع في خفة الفراشة، فقد بدأت عهدًا جديدًا..

وفى تلك الليلة أعلنت عن حبها لنديم..

قامت المخابرات المصرية بتسريب بعض مقتطفات لوكالات الأنباء العالمية من مذكرات "يوسى كاتسير" مما أصاب إسرائيل بالجنون..

الاجتماعات تنعقد في كل مكان "مجلس الوزراء" بقيادة "جولدا مائير"، واجتماعات أخرى في وزارة الدفاع برئاسة "موشى ديان"، وأخرى في "الشاباك"، وهو الأمن الوطنى الإسرائيلي، وثالثة أو رابعة في جهاز الموساد الإسرائيلي..

الاستقالات والإقالات بالجملة، البكاء والصراخ في كل مكان..

ضربوا ودمروا لنا الحفار، والآن القبض على أهم ضباطنا "يوسى كاتسير"، وقبلها الإيقاع بجميع شبكات التجسس وسقوط العملاء قبل سقوط أوراق الشجر في الخريف، وكذلك الحصول على الكاميرا الحديثة، نعم إنه حقًا خريف دولة إسرائيل..

وأخيرًا الفضيحة العالمية التي تناقلتها جميع وسائل الإعلام العالمية..

سطور من مذكرات "يوسى كاتسير"، إن المصريين قد وصلوا إلى المذكرات قبلنا، والآن صاحب المذكرات ملقى في سجونهم وبالطبع حصلوا على كل معلومة صغيرة كانت أو كبيرة منه.

أيام سوداء تعيشها دولة الاحتلال بعد أن تم كسر يدها وأنفها.. وفقأ عيناها.. حالات من الانتحار.. وتغيير قيادات بالكامل..

كل هذا في ظل احترام كبير ورعب من رجال المخابرات المصرية.. رجال الظل.

طلبت "كاميليا" من "نديم" أن يصحبها في الذهاب إلى بورتوفيق لزيارة أمها و أبيها وخالها، حيث يرقدون في سلام، زيارة المقابر وقراءة الفاتحة أمام المقابر، تدعو "كاميليا" بالرحمة والمغفرة لثلاثتهم..

تبكى حزنًا عليهم ولكن أيضًا فرحًا بالانتقام لهم والإيقاع بمن تسبب في موتهم لكن هذا لا يكفى.. هكذا قالت بصوت مسموع وهى توجه حديثها إلى "نديم" الواقف إلى جوارها..

"نديم": "ماذا تقصدين؟ إنه الآن في قبضتنا في السجن، وسيواجه أقصى عقوبة، لا تقلقى".

"كاميليا": "كنت أتمنى قتله بنفسى، ساعدنى، أريد وضع السُم له في طعامه داخل السجن".

"نديم": "هذا مستحيل، نحن دولة قانون، أنا لا أقصد أنه لا يستحق، بل يستحق أكثر من القتل بكثير، وأنا شخصيًا أتمنى أن أقتله بيدى، لكن للأسف هو لا يساوى كل هذا الجهد، دعى القيادة السياسية تستفيد منه ومن ورائه أقصى استفادة أفضل من أن نطعمه ونسقيه مجانًا في السجن، وأيضًا أفضل من قتله، قريبًا سيفرح قلبك".

في هذه الأثناء كانت هناك مُباحثات بين الجانب المصرى والجانب الإسرائيلي برعاية الصليب الأحمر في ترتيب عملية لتبادل الأسرى..

وافقت مصر لكن نقطة الخلاف أعداد المفرج عنهم من الأسرى من كل جانب..

مصر طلبت الإفراج عن عشرة مصريين مقابل كل إسرائيلى، أما بالنسبة للبطة الكبيرة أو الخنزير الكبير "يوسى كاتسير" فالإفراج عنه مقابل مائتى أسير مصري في السجون الإسرائيلية وهو العدد المتبقى في السجون الإسرائيلية..

فإذا تمت المبادلة فلن يكون هناك أي سجين أو أسير مصري في السجون الإسرائيلية، الذين تم أسرهم أثناء حرب ١٩٦٧.

اعترضت إسرائيل على طلبات مصر المبالغ فيها، لكن القيادة المصرية أصرت على طلباتها أو إلغاء عملية التبادل الأسرى من أساسها..

وافق الجانب الإسرائيلى، فاليد العليا الآن لمصر، هى من أهانت إسرائيل مرارًا في كل عملية مخابراتيه كان التفوق لمصر، والذل والخيبة هى من نصيب رجال الموساد وقيادات الجيش الإسرائيلى..

وكفى حصولنا على أحدث الكاميرات المستخدمة في عالم التجسس وأيضًا أسر واحتجاز أهم ضباط الجيش سابقًا ورجل المخابرات حاليًا.. الخنزير.. والحصول على مذكراته بما تحوى من معلومات وأسرار، مذكرات جاسوس.

أنهت "كاميليا" زيارة المقابر بصحبة أخيها "نديم"، وقررا هما الاثنان زيارة "عم حجازى" للاطمئنان عليه..

هناك في بيت حجازى، كان يستمع إلى تفاصيل بطولة الحصول على الكاميرا الثمينة من صاحب العملية نفسه، من "شكرى" كانا يشربان الشاي،

ويتبادلان القصص عما حدث من بطولات في حرب الاستنزاف، الذى شارك فيها "حجازى" مع مجموعة من الفدائيين..

كانت مفاجأة جميلة برؤية "شكرى" لـ "كاميليا" و"نديم"..

قلبهما يدق بسرعة وقوة، يتبادلان النظرات بينما الحديث دائر بين "نديم" و "حجازى"..

انطلقت الشرارة الأولى لسهام الحب النقى بين "شكرى" و"كاميليا"، وتجدد العهد من دون أن ينطق أحدهما بكلمة..

جمع بينهما حب الطفولة ممزوجًا بحب الوطن والإخلاص له، وكأنهما يتفقان على استكمال المسيرة سويًا حتى تحرير كل شبر في أرض سيناء التي عاث فيها العدو فسادًا..

عاد "نديم" و"كاميليا" إلى الإسكندرية إلى حى العطارين؛ لاستكمال الحكاوى بصحبة الأب الطيب العقيد فكرى الصباغ والأم الحنون "إسعاد".

على ضفاف القناة وبوساطة من الصليب الأحمر..

بدأت عملية تبادل للأسرى جميعًا، إذ انتقل جميع الأسرى المصريين من الجانب الإسرائيلى ليتلقفهم الجانب المصرى بسيارات وحافلات وسيارات للإسعاف..

وانتقل جميع الأسرى الإسرائيليين من مصر إلأى الجانب الإسرائيلي في الضفة الشرقية ما عدا "يوسى كاتسير" كان هو آخر من يغادر وقبل أن

يتحرك في الصعود على القارب الصغير بوجود مندوب الصليب الأحمر والانتقال إلى الجانب الإسرائيلي..

ظهر الثلاثة: "شكرى"، "نديم"، و"كاميليا".

تقدمت "كاميليا" من "يوسى كاتسير"..

شعر هو بالرهبة حين رأها، وتذكر كل ما حدث في اليونان..

"هل تذكر من أنا؟"، هكذا قالت "كاميليا".

"يوسى": "نعم.. أنتِ "كاميليا".. أثينا.. أنا "بافو" أو هكذا كنت استخدم هذا الاسم المستعار، اتضح لى الأمر الآن، كم كنت مغفلًا".

"كاميليا": "لا.. دعنى أذكرك.. أنا الفتاة الصغيرة التي ضربتك بحجر على حاجبك الأيسر، وأسالت دماءك القذرة في بورفؤاد..

وقمت أنت بوضعها أمام جنزير دبابتك.. وضربت بمدفع دبابتك طلقة شيطانية ليتهدم البيت ويموت الأهل".

"يوسى": "غير معقول.. أنتِ.. ومنذ ذلك الوقت تلاحقيننى غير معقول.. لا أصدق.. أشعر بدوار.. أنا "يوسى كاتسير" يحدث لى كل هذا.. ومنكِ أنتِ!!".

رفعت "كاميليا" يدها التي كانت تخفيها وراء ظهرها وهى ممسكة بحجر مدبب يشبه الحجر الذى ضربته به على حاجبه الأيسر عندما كانت في العاشرة من عمرها، وانهالت بالحجر على الحاجب الأيمن فوق عينه، سالت الدماء وهى تبكى وتضحك وتقول: "الآن حاجبك الأيمن كى تتذكرنى بشكل أفضل".

تدخل من حولها وهى تضحك ودفعوا "يوسى كاتسير" ودماؤه تسيل على وجهه إلى داخل القارب الصغير، الذى انطلق يشق مياه القناة إلى الضفة الغربية المحتلة، التي لا بد وأن تتحرر قريبًا وتعود إلى حضن الوطن..

وفى صوت واحد قال الجميع: "إلى الجحيم يا خنزير".

داخل القارب الصغير يقف "يوسى كاتسير" واضعًا يده على حاجبه المفتوح محاولًا إيقاف الدماء، وإلى جواره مندوب الصليب الأحمر وأيضًا أحد الجنود الإسرائيلية، قام "يوسى" في حركة سريعة بخطف سلاح الجندى الإسرائيلي ورفعه مع اهتزاز القارب، ثم صوبه الى رأسه وضغط على الزناد، لتنطلق رصاصة داخل رأسه، ليسقط في القارب مع أصوات هى الأخيرة التي سمعتها أذنه.. "خنزير".

هنا ارتاح قلب "كاميليا" وشعر "نديم" و"شكرى" بالفخر بالخلاص ممن عاث في الأرض فسادًا..

* * *

عاد ثلاثتهم.. وفى صباح اليوم التالى.. استيقظ الشعب المصرى بأكمله على فاجعة.. إذ قامت طائرة إسرائيلية بالإغارة على مركز الحسينية بمحافظة الشرقية، وألقوا قنابلهم الخبيثة على مدرسة بحر البقر الابتدائية، أطفال صغار أبرياء في عُمر الزهور تهدمت المدرسة فوق رؤوسهم.

مات أكثر من ثلاثين شهيدًا عند ربهم، وتم جرح أكثر من خمسين آخرين، هكذا هو العدو الإسرائيلي الجبان..

لم يستطع الرد أو منازلة رجال مخابرات مصر، فرد على كل الضربات التي وجهت له بضرب مدرسة أطفال أبرياء.

أطفالنا في الجنة وأنتم إلى زوال هكذا صرخ الشعب المصرى في صوت واحد.

"أطفالنا في الجنة وأنتم إلى زوال"..

سرح "نديم" بخياله بعد سماعه خبر ضرب مدرسة بحر البقر..

عاد إلى الوراء أكثر من خمسة عشر عامًا، إنها نفس المدرسة التي كان يتمنى الالتحاق بها، وكان يشاهد الأولاد والبنات وهم ذاهبون بهمة ونشاط إلى المدرسة من وراء النافذة ذات القضبان الحديدية في منزل الخالة "اعتماد" و"عم عطوة"..

ياه.. كم أحب هذه المدرسة وكانت حلمًا من أحلامه بالالتحاق بها واستكمال تعليمه..

يموت طلابها وطالباتها بكل دم بارد وخسة من شياطين العدو الإسرائيلي..

هل يظنون أنهم بذلك انتقموا؟ لا إنهم لوثوا ودنسوا أيديهم أكثر وأكثر، وسيأتى اليوم قريبًا، وقريبًا جدًا لنطردهم من سيناء..

ويعيشون التيه الذى عاشوه على زمن النبى "موسى عليه السلام" طيلة أربعين عامًا..

كتب عليهم التيه وكتب عليهم أن يكونوا منبوذين، مكروهين في كل بِقاع الأرض، أرض الله التي لا تقبل إلا كل طاهر وتلفظ كل خسيس..

انتبه على صوت "إيفا" وهو يسير إلى جوارها على رمال شاطئ العجمى ضمها إلى صدره، ونظر إلى عينيها الزرقاوين طويلًا بعينيه الزرقاوين أيضًا..

"نديم": "هل تعلمين لماذا أنظر إليكِ طويلًا هكذا؟".

"إيفا": "لا.. لماذا؟".

"نديم": "كى أغسل روحى من براءة عيناك بعد كل الشرور التي أجدها في الدني، عيناك هى الحوض الطاهر الذى استحم فيه كلما زادت الخسة والدناءة من حولى.. أنتِ يا "إيفا" رمز الخير والجمال، وهذا كل ما احتاجه في هذه الحياة".

* * *

قامت "كاميليا" بتوجيه الدعوة إلى "لاريسا" وأسرتها.. عم "أنطون" وطنط "نارفارا"..

لحضور حفل زفافها..

في حفل أنيق مُبهر في حديقة فيلا العجمى، أُقيم حفل زفاف "إيفا" على "نديم"، وأيضًا زفاف "شكرى" على "كاميليا"..

السعادة تعم المكان.. أدام الله السعادة على الجميع..

* * *

تمـــت

أعمال أخرى صدرت للكاتب و المؤلف

مـروان مُنيـــــــر

Facebook: www.facebook.com/marwan.monir.5
Website: www.MarwanMonir.com

- **عاشقة الظلام..... رواية**
- **كابتن فيليبس..... رواية مترجمة**
- **أسرار بصريــة..... كتاب سياسي مترجم مع نقد وتحليل**
- **نادي ديوارس..... رواية**
- **ريشة في هوا..... رواية**
- **قلب لا ينــام..... رواية**